شذا من السيرة

(٢)



الدعوة

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

شذا من السيرة

(٢)

الدعـــوة

إعـــداد

أحمد بن مهني مصلح
عاشور بن يوسف كسكاس
ميـلاد بن مهنـي بن حـريز

الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

تقديم

الحمد لله الذي شرف رسله بتكليفهم بأعظم وظيفة وهي الدعوة إلى دينه .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة فصلت / ٣٣) .

والصلاة والسلام على الرسول الداعية القدوة فلا أسوة بغيره كانت حياته نموذجا عمليا لأدب الدعوة وكسب القلوب ، واستنقاذ الأنفس فالعيش مع دعوة الله عبادة وسعادة رغم ما فيها من عقبات وتضحيات .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (سورة يوسف / ١٠٨)

وبعد :

فتعتبر دعوة النبي ﷺ نموذجا متفردا بين الدعوات فقد استطاعت أن تحقق خلال عمرها القصير الذي لم يتجاوز عقدين ونيفا من السنوات نجاحا باهرا ، ومأثرة في التغيير فعالة وعظيمة ، فقد جعلت من القبائل العربية المتناحرة أمة واحدة يسودها التآخى والتكافل في مدة قصيرة ، وهي نقلة متميزة لم تحققها دعوة في مدة مماثلة .

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب بعنوان :

(الدعوة من خلال سيرة رسول الله ﷺ) نريده منارة يستضيء بها القارىء المسلم في طريق الدعوة ويستهدي بنورها مقتديا بسيد الدعاة محمد بن عبدالله ﷺ .

فالكتاب ليس بحثا في السيرة وإنما هو عرض لمواقف دعوية التزمنا فيه بمتابعة رسول الله ﷺ في مختلف مراحل الدعوة وركزنا على صلة الأحداث بموضوع الدعوة وراعينا ما أمكن الترتيب الزمني لأهم مراحل حياة الداعية في مكة ثم في المدينة دون تقيد بتفاصيل أحداث السيرة المتسلسلة .

وتوخينا في كتابتنا المنهجية التالية :

* الدعوة : عرفنا فيها الدعوة ومواصفات الداعية

* الدعوة في مكة : تابعنا فيها مراحل الدعوة ومميزاتها وموضوعاتها ووسائلها وهموم الداعية وعالمية الدعوة .

* الدعوة في المدينة : تعرضنا فيها لمميزاتها وموضوعاتها وأساليبها وأشكال الدعوة من بعوث ورسائل ووفود .

* نتائج الدعوة : تبعنا فيها مسيرة دعوته ﷺ بعد الغزوات والفتوح وانتصارات الدعوة على يد الجيل المتخرج من مدرسة النبوة.

قد يلاحظ القارىء تكرار بعض الموضوعات في أكثر من مرحلة مثل السرية أو تزكية النفس ... لكن التمايز واضح بين

السرية المطلقة وسرية التنظيم وبين التزكية من مرحلة إلى أخرى.

أما موضوع التوحيد فهو أهم موضوعات هذه الدعوة فقد واكب الكتاب كله واستمر الحديث عنه من أوله إلى آخره .

كما يلاحظ القارىء عدم ورود الصلاة على الرسول في بعض المواضع ـ وهذا نادر . فليتدارك ذلك بالصلاة عليه ﷺ .

كما حرصنا عند عرض المواقف الدعوية على اقتطاع ما يناسب ويتصل بالدعوة ولجأنا إلى الاختصار معولين على ثقافة الداعية واطلاعه على أحداث السنة ، وإحاطته بتفصيلها ، وسمحنا لأنفسنا بترجيح بعض الأحداث بعد استقرائها وتتبعها من مصادر متنوعة .

وقد استعنا بجملة من المراجع القديمة والمعاصرة والمتنوعة ولم نعتمد الإحالة على المصدر إلا إن اقتضي الأمر ذلك .

كما أثبتنا ــ عند الحديث عن الرسائل كشكل من أشكال الدعوة ــ نصوص الرسائل الموجهة إلى الملوك ووضعنا بعض الجداول الموضحة لنتائج الدعوة لأهميتها كما اخترنا بعض الخرائط لتحديد أماكن تحرك الداعية وصحابته .

ولا نزعم بهذا الإسهام المتواضع في الحديث عن الدعوة أننا أمطنا بالموضوع وإنما سعينا إلى تجلية بعض المواقف المشرفة التي خلفها رسول الله ﷺ لكل الدعاة من بعده حتى يهتدوا بهديه ويستنوا بسنته ويسيروا على نهجه ويتبعوا طريقة دعوته على بصيرة

فيحققوا الثمرات المرجوة . قال عليه السلام (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها).

نسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل والإخلاص في كل موقف وحال وأن يتقبل عملنا هذا خالصا لوجهه إنه سمع مجيب.

وصلى الله وسلم على إمام الدعاة وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا : الدعوة

(١) ـ تعريف الدعوة :

الدعوة مأخوذة من الدعاء ، ومن معانيها ، النداء والصيحة والحث .

وقد جاءت هذه المعاني في القرآن الكريم منها

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

فصلت ٣٣

أي لا أحد أحسن قولا منه ، ومن أحسن قولا من الداعى إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ .

وقوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾

يونس ٢٥

أي يحث الناس على اتباع الطريق الموصل إلى الجنة ونوجز هذه التعريفات في القول بأن الدعوة مفهوم شامل لكل طلب ونداء .

أما في الاصطلاح فقد حاول العلماءإعطاء الكلمة مفاهيم متعددة لتجتمع في نهاية الأمر على هدف واحد .

ـ فالدعوة هي عمليةإبراز للمبادىء الإسلامية وتنفيذها في الواقع الحسىَ الملموس .

ـــ وهي كذلك قيام العلماء المختصين في الحقل الشرعي بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بدينهم ودنياهم .

ـ أو حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقيق العزة في الدنيا والفوز بالنعيم الأبدى يوم القيامة .

ويمكن أن تعرف الدعوة بأوسع من ذلك :

فهي حركة إحياء للنظام الإلهى الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عله وسلم ، وإحياء لموات القلوب السائمة في ظلمات الضلال والكفر .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

(الأنفال ٢٤)

أ ـ الدعوة من خلال القرآن :

يعد القرآن الكريم المرجع الأول والأساسى للدعوة والدعاة

فقد حوى موضوعات الدعوة ومناهجها وقضاياها ومن آيات القرآن العزيز يستمدّ الدعاة زادهم ، وعلى هداهم يرسمون مناهجهم ، ومنه يأخذون أساليبهم ، وفي ضوئه يرومون هداية الناس بما يلائم طبائعهم ونفسياتهم ، ويعالجون أمراضهم ، وبه يصقلون أفكارهم ، ويشحذون عزائمهم ، ويزيلون غبار الإثم والفواحش عن قلوبهم وبصائرهم .

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ الأحزاب ٤٥ ـ ٤٧

وقد جاء في القرآن الكريم أن تبليغ رسالة السماء مهمة الرسل عليهم السلام ، وكلهم دعوا الناس إلى الالتزام بتعاليم رسالة السماء التى تقوم على أساس التوحيد و إفراد الله بالعبادة .

ـ فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه :

﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ الاعراف ٦٣

ويقول لهم ﴿ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ (نوح ٢ ـ ٣)

ـ وهذا هود عليه السلام يقول لقومه :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾

(الأعراف ٦٨)

ـ وهذا محمد ﷺ يقول له ربه عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾

(المائدة ٦٧)

وقد حدد القرآن الكريم مهمة الرسول متمثلة في التبليغ ودعوة الناس إلى المبادىء التى بعث من أجلها .

وقال الله تعالى :

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

(النور ٥٤)

وصدق الله العظم إذ يقول :

﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

(النحل ٣٥)

كما استعمل القرآن الكريم عددا من الكلمات للتعبير عن تبليغ الدعوة وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقد استعمل كلمة «أنذر»

في قوله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾

(المدثر ١/ ٢)

وقوله أيضاً

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

(الشعراء ٢١٤)

كما استعمل كلمة «أدع» في مواضع عدة نقتصر على ذكر بعض منها .

قال تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف ١٠٨)

وقوله عز وجل :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾

(النحل ١٢٥)

وقوله تعالى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾

(الشورى ١٥)

ومن خلال هذه الآيات البينات نرى أن القرآن الكريم

خاطب المرسلين عامة ومحمدا ﷺ خاصة بوجوب تبليغ الدعوة للناس .

كما بينت هذه الآيات أن مهمة الدعوة إلى الله تعالى تلزم أتباع الرسل من الدعاة في كل عصر .

وقد تميزت الأمة الإسلامية بالخيرية لأنها اشتركت مع رسول الله ﷺ في شرف حمل الرسالة وتبليغها للناس ، والقيام بالدعوة إلى الله تعالى وهو مبدأ عظيم تتوارثه الأمة جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران ١٠٤)

وقال أيضا: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾

آل عمران ١١٠

ب ـ الدعوة من خلال السنة النبوية الشريفة :

تُعدّ السنة النبوية الشريفة المرجع الثاني للدعوة والدعاة . فهي تمثل منهجية رسول الله ﷺ في الدعوة ، ومادَّة الدعاة التي يستقون منها موضوعاتهم ، وعلى ضوئها يحلون مشكلات الناس ،

وعلى مبادئها يرسمون خططهم في الدعوة .

بنورها يهتدون ويبصرون معالم الدعوة ، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى دين الله القويم .

إذا تتبعنا منهج الرسول في مجال الدعوة نراه يُجهِد نفسه ويربي أصحابه ويوجههم إلى تحمل مسؤولية الدعوة وأمانة التبليغ .

وقد جاءت أحاديثه الشريفة تبين للناس أهمية الدعوة متمثلة في تحريص الدعاة والعلماء على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير قيام .

قال عليه الصلاة والسلام :

«يا أيها الناس مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر» [1] .

وقال أيضا : «من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبِعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا» [2] .

وقال أيضا : نضَّر الله امرأً سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فربَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع» [3] .

وكان عليه الصلاة والسلام في دعوته يبين لأصحابه أن هذا الدين الذي يدعوهم إليه إنما هو دين يسر وليس بعسر بل كان كثيرا ما يوصيهم بالتيسير على الناس وفتح أبواب الخير أمامهم يقول ﷺ :

---

(١) رواه الطبراني .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

«إن الـدين يسر ولن يشاد الـدين أحـد إلا غلبه ، فسـددوا ، وقاربوا ، وأبشروا واستعينوا بالْغُدوة والروحة وشيء من الدُّلجَة» [1].

كما كان عليه السلام يقول لأصحابه إذا بعثهم لتبليغ الدعوة:

«يسروا ولا تعسّروا وسكنوا ولا تُنَفّرُوا» [2].

كما أن السنـة الشريفـة تعلّم الـدعاة الـرفق بـالنـاس وحسن العطاء . وهـذا السلوك الرفيع نلمسـه في واقع حياته عليـه السلام . وهـذا مسلك محمـود في كسب قلـوب النـاس وسيرة رسـول الله ﷺ حافلة بالمواقف المشرفة .

نذكر منها على سبيل المثال موقفه عليه السلام مع سفانة بنت حاتـم الطائي الذي جعـل أخاها عـدي بن حاتم يقبـل مسرعا إلى رسول الله ليعلن إسلامه بين يديه .

كـان الـرسـول ﷺ يكسب قلـوب النـاس بتكـريم فضـائل أخلاقهم القـديمة وإزالـة الريب والعلل التى تعتمل في صـدورهم بالمناقشة الوديعة والمنطق السليم والسماحة في العطاء ، وكرم الوفادة ونبل الأخـلاق . ولا يخفى على كل داعيـة أن القـرآن الكـريم دعـا المسلمين إلى تحمل أمـانة التبليـغ وهدد كل من يتقـاعس عن هـذا الواجب ، وبنفس النسق جـاء التحريض على الدعـوة إلى الله تعالى في سنة المختار عليه الصلاة والسلام وهو القائل :

«بلغوا عني ولو آيـة»

---

(١) رواه البخـاري .
(٢) رواه البخاري [باب الأدب] .

من حديث يحدد فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام المسلك الصحيح لكل داعية إذ يقول فيه :

«وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» [1] .

هكذا كان رسول الله ﷺ يعمل مع الناس في حقل الدعوة يدعوهم فيها إلى الاسلام :

وهكذا فإن السيرة مرجع أساسي بعد كتاب الله العزيز في مجال الدعوة ونهج متكامل للدعاة ينهلون منه مبادىء الإسلام العالية في كل مكان وزمان .

---

(١) رواه البخاري .

(١) حاجة الناس إلى دعوة الرسول ﷺ

ظل العرب منتشرين في أطراف جزيرتهم يبحثون عن المرعى والكلأ ، ويقنعون بأعمال التجارة ، عاكفين على أصنام لهم يعبدونها ويقربون لها القرابين .

وقد بلغت الوثنية فيهم أوجها وصبغت حياتهم في مختلف ميادينها ، فسيطر نظام الطبقات الجائر ، وبلغ ظلم رؤساء القبائل غايته يملكون رقاب الناس ويستغلون الضعفاء وينتهكون الحرمات .

وانحط مركز المرأة فيهم إلى درجة منكرة ، تفشى فيها الزنا، وأصبحت البغايا ينتشرن في أنحاء البلاد ، يعرفن بصواحب الرايات الحمر ، وظهرت جريمة وأد البنات ، وسيطر الربا وفشت الإباحية .

كما بلغت العصبية القبلية أوجها . تثار الحروب لأسباب تافهة ، وتسفك الدماء استجابة لنزوات النفوس المريضة ، وتغلب الشهوات على الناس فتنزل بالعقول إلى درجة الحيوانات بعد أن تفقدها صوابها .

وإلى اليمين والشمال تنتشر عقائد وثنية كالبوذية والهندوكية . ومبادىء إلحادية كالمانوية والمزدكية وانحرافات فكرية وعقائدية

تتزعمها اليهودية المحرفة والمسيحية الزائفة .

كما بلغت الدولة الرومانية في ترديها وهبوطها إلى أسفل الدركات ، وسقطت الحضارة الفارسية في وحل الانحلال والهبوط الأخلاقي وتخبطت في متاهات الإلحاد والكفر والوثنية وبلغت درجة يستحيل لأي قائد سياسي مهما أوتى من سلطة أو ذكاء أو قدرة على أن يصلح الأوضاع المنهارة في كل الميادين .

فكانت هذه الحالة تؤذن بخطر اضمحلال العنصر البشري . بل لعلها تستغيث وتنادى النجدة ، وهي في حاجة شديدة إلى من يأخذ بيدها ويرد لها اعتبارها ،فَأَنْقَذَ الناس من الضياع الفكرى والهبوط السلوكى الذي شاع في كل مكان .

هذا الضياع هوى بقيمة العقل من مستواه الإنساني إلى دركات الحيوانيةفَأَنْقَذَ الانسان رشده بل أصبح الناس كالسباع المفترسة يعيشون في متاهات الأدغال لا يجدون لأنفسهم مخرجا ولحياتهم هدفا ورشدا .

الناس إذًا في حاجة إلى من يخرجهم من هذه الظلمات الحالكة إلى نور يبصرون به طريقهم .

وهم في أشد الحاجة إلى من يرسم لهم سبل الرشاد ، ويزيل عنهم أسباب الغفلة ، ويهديهم إلى ما يسعدهم ويعيد إليهم الفضيلة ويمسح عنهم غبار الآثام ليطهرهم ويزكيهم .

إن ظهور زعيم سياسي مقتدر في هذه الأجواء العفنة ليصلح

من أحوال الناس ويحارب الظلم ويعيد العدل إلى نصابه أمر متعذر بل يستحيل ذلك لأن الخرق اتسع على الراتق .

وظهور داعية إلى مكارم الأخلاق أو إلى نبذ الحروب ونشر الأمان أمر متعذر كذلك لأن المشكلة استفحلت إلى درجة أنها يصعب ترقيعها وإصلاحها .

فالمشكلة عميقة الأغوار لايقوم بأمرها زعيم وداعية إلى إصلاح ما تعطب في المجتمع البشري .

إذن فلابد من رسول يستمد دعوته من الوحي ويصلح القصبة من جذورها .

لابد إذن من إعادة الإنسان إلى رشده ، ولايكون ذلك إلا بآرجاعه إلى توحيد خالقه وربط الصلة الوثيقة به والخضوع له وحده دون سواه .

ويشهد التاريخ بل وتذكر الكتب السماوية أنَّ هذه الأعباء الجسيمة لايقدر علها إلا رسول مؤيد بالوحي ومسدد الخطى من الله تبارك وتعالى .

لذا فإن الظروف آنذاك تشعر بقرب ظهور نبي مبعوث بالوحي للناس ، وهو الكفيل بأداء مهمة إصلاح ما تعطب وجمع ما تشتت.

واختار الله تعالى لهذه المهمة الشاقة خير الناس واصطفى لها من اجتمعت فيه كل المحامد ، إنه محمد بن عبد الله حبيب الله

وصفيه وخير خلقـه وسيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعـالى عليه وسلامه .

٢ـ مواصفات الداعية :

أ ـ العناية الإلهية :

إن الاتصال بعلم الغيب والتلقي عن الله سبحـانه لا يتحمله كل إنسان بل تحتـاج الرسالـة ومسؤوليـة التبليغ عن المولى عزّ وجلّ إلى استعداد خاص ليس كل إنسان مرشحا له .

فالله يصطفـي من خلقه من هـو أهل لحمل الأمانـة العظيمة وهو أعلم بمن يصلح للنبوة والرسالة .

قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

(الزخرف / ٣١ـ٣٢)

والدعـوة إلى الله وظيفة الأنبيـاء والأولياء والصـالحين ولشرف هذه المهمة فقـد ربى الله نبيّه محمدا ﷺ فأحسن تربيتـه . قال عليه السلام «أدبني ربي فأحسن تأديبي »

(رواه الألبانيّ فى السلسلة الضعيفه)

وقد رعاه الله وشملـه بعنايته لأن دعوة النـاس إلى الحق تحتاج إلى إعداد وترويض على الخير وتهذيب للنفس وتعويد لها على الصبر

والاحتمال فما جاء نبي بمثل ما جاء به محمد ﷺ إلا عودي .

ومن سنة الله في اصطفاء رسله أن يبعث الرسول في منعة من قومه وأن يكون من بيت شرف وحسب ونسب ، ولقد حاز محمد ﷺ الشرف كله فهو أشرف مخلوق في هذا الوجود .

«قام النبي ﷺ على المنبر فقال : من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله عليك السلام قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب : إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا » .

(رواه الترمذي)

إن الدعوة إلى الله من أعظم المناصب القيادية في الأمة فالداعية مربّ ومزك للأنفس ومفتاح نجاح الدعوة تتمثل في شخصية الداعية ، لذلك لابد أن يجتمع في الداعية رسوخ في العلم وبسطة في الجسم وفصاحة في القول وولاية وإرشاد كما اجتمع ذلك في محمد ﷺ .

إن الرسالة اصطفاء وأختيار فالداعية يحتاج علما بالشريعة حتى يبلغ أحكام الدين محتاج إلى قوة جسدية كي يقوم . بأعباء الدعوة .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

(الأنعام / ١٢٤)

لقد اختار الله محمـدا من أشرف بيت ومنحه بلاغة مـؤثرة فلا ينطق إلا حقا وقـد أوتي جوامع الكلم وهيأه لاستيعاب مـا أوحى به إله ، فعلى من نذر نفسه للدعوة وتصـدر لتحمل أعباء تبليغ الرسالة أن يتـزود بـالعلم النـافع الشـامل ويعمـل بـذلك العلم وأن يأخـذ بنصيب من التقوى كطاقـة تزوده بما يحتاجه في مسيرة الـدعوة . وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابـه على فقه مراتب الأعمال فميـزوا بين ما يجوز وما لا يجوز ، ولم يعظموا هينا ولم يهونوا عظيما ، ولم يقـدموا فرعا على أصل ، ولا نـافلة على فـريضـة ، وهـذا الزاد لا يأتي عفـوا ، ولا يكتسب ارتجالا بل يحتـاج إلى همّة ويتطلب عـزمـا مـن الـداعيـة ومجاهدة للنفس .

ومن أهم وسائل إعداد الله لرسوله وتربيته لمهمة تبليغ الرسالة والدعوة إليها :

١ ـ إمداده بالوحي وإعداده جسميا وبيانيا

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم / ٣ـ ٤)

٢ ـ توفيقـه إلى الأخـلاق الكـريمة من رجـاحـة عقل وحلم وعبقرية.

قال تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم / ٤

٣ ـ تزهيـده في زخارف الدنيا فلا يمد عينيـه إلى ما متع الله به

أصنافا من الخلق زهرة الحياة حتى لا يكون همه محصوراً في الدنيا وشواغلها .

ولقد أثمرت تربية الله له فوفق في دعوته وأخرج جيلا فريدا تصدى لحمل أمانة الإسلام وسار الصحابة على درب الداعية الأول محمد ﷺ . مستفيدين من خبرته وتجربته الدعوية الثرية .

ب ـ الداعية هو القدوة :

وجه الله سبحانه المسلمين إلى اتباع رسله وآقتفاء آثارهم

قال عز وجل :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

(الأنعام / ٩٠)

وخص نبيّه محمدا ﷺ بأن يكون موضع القدوة

فقال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب / ٢١)

فالنبي الداعية أولى الناس بالالتزام بتطبيق ما يدعو إليه حتى يقتدي به أتباعه قال تعالى على لسان شعيب :

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾

(هود / ٨٨)

إن الأنصار يثقون بـالداعية عندما لا يجدون تناقضـا بين قوله وسلوكـه فهو يتقـدمهم فيما يأمر به ويسبقهم في تجنـب كل ما ينهى عنه .

أما إن بعُد الداعيـة بأخلاقه عما يدعو إليـه تفر الناس منه ولم يتأسوا به .

قال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾

(البقرة / ٤٤)

إن محمدا ﷺ هو سيـد ولد آدم ورسـول رب العالمين الموحى إليه والمؤيد من ربه وهو قـدوة الناس جميعا ويخطىء في حق الرسول الـداعيـة مَنْ يقدمـه على أنـه إلـه تلقى من الله فقط ، فإن الله يختـار خلقـه لأداء رسالتـه . وجـانب القـدوة البشرية هـو الـذي يستطيع الناس أن يتبعوا محمدا فيه .

أما جانب الوحي فقد أنتهى مع رسول الله ولذلك اختـار الله لرسالته بشرا يمكن أن يقتدى به ولم يصطف ملكاً .

وقـد تمكن النبي الـداعية مـن التأثير في أتباعـه وٱستقطـابهم باستقـامته فالنـاس لايتأثرون بلسان المقـال بقدر ما يتأثـرون بلسان الحال .

إن السلوك المصدق للقول هو سر نجاح الداعية وهو المؤهل المهم لإمامته والعامل الأقوى في هدايته .

قال تعالى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾

(الشورى / ١٥)

وقد كان محمد وصحبه مصدر الأسوة في التجرد والخشية وإيثار الآخرة . فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال «من كان مستنا فليستنّ بمن قد مات فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا . أختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ولإقامة دينه فأعرفوا لهم فضلهم وأتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطتعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم . رواه).

هذه ثمار مدرسة محمد ﷺ صاروا موضع قدوة بعد معلمهم وأسوتهم .

يقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في فضل القدوة وأهميتها :

(من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتهذيب نفسه قبل تهذيب غيره وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ومعلم نفسه أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم)

لقد كان محمد ﷺ حريصا على ربط الناس بدعوته وكان يوجههم إلى اتباعه والتأسي بأفعاله قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

(آل عمران / ٣١).

كما كان عليه السلام يعوّد أصحابه على التزام أوامره والأخذ عنه . قال «خذوا عني مناسككم ـ رواه » وقال أيضا «صلوا كما رأيتموني أصلي ٠ رواه).

إنه بشر مثلنا يطبق ما يدعونا إليه ولكن الناس إذا طلب منهم الداعية أن يتبعوا الرسول في أمر من الأمور ردوا عليه بقولهم : هذا رسول الله ونحن لسنا رسلا .

وهي كلمة حق أريد بها التنصل من المسؤولية والتهرب من التطبيق العملي للإسلام . صحيح إن محمدا رسول الله ولكنه حقيقة نعم القدوة ومصدر الأسوة . لم يكن عليه الصلاة والسلام يؤثر سلامة نفسه أو أقاربه عند الغرم والتضحية . فهو الأول في صفوف القتال لايكتفي بإصدار الأوامر من بعيد بل يواجه العدو حتى يشج وجهه وتكسر رباعيته ويقدم للمبارزة في بدر عمه حمزة وابني عميه علي وعبيدة ـ إنه ﷺ السباق لكل خير دعا إليه والمتجنب لكل ما نهى عنه .

ج ـ الصبر على متاعب الدعوة :

إن محمدا ﷺ هو مبعوث العناية الربانية ليغير المجتمع ويحوّل وجهته وينشئه من جديد في معتقده وأخلاقه وأعماله وشعائره . وقد وقف النبي الداعية أمام مخالفيه المعاندين ٥ ابرا على كيدهم وحسدهم وفتنتهم واضطهادهم . لقد آذته قريش في نفسه

وفي أصحابه بالقول والفعل وباليد واللسان . بسلاح الاستهزاء والافتراء والضغط العائلي والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية وبسلاح التعذيب البدني ولكن رسول الله صبر وصابر وأصطبر .

لقد صدع ﷺ بالحق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ونهى عن الفسق وكشف الباطل وتصدى للظلم فتعرض إلى المحنة والابتلاء وواجه حملة تشويه لسمعته وأتهاما بالكذب وقوطع وأوذي وشرّد لكنه لم يضعف لأن الصبر على دعوة الناس هو طريق النصر مهما كانت العقبات .

قال تعالى :

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

(إبراهيم / ١٢)

لقد زاول النبي وظيفة الدعوة إلى الله بكل ثبات وجلد وتحمل متاعبها الكثيرة وصبر على مشاقها ومن أهم ما واجهه من معوقات :

إعراض الناس عن دعوته فليس أشق على النفس من أن يدعو النبي بملء فيه مبشرا ومنذرا فلا يجدإلا قلوبا غلفا وآذانا صما

قال تعالى :

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾

(فصلت / ٤ ـ ٥)

لكن رسول الله ﷺ لا يتأثر من موقف الإعراض خاصة وربه يوجهه إلى الصبر والتزام الحكمة في الدعوة .

قال تعالى :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(النحل ١٢٦ ـ ١٢٨)

ومن متاعب الدعوة ما لقيه النبي ﷺ ـ وكل من سار عل نهجه ـ من أذى الكفار بالقول والفعل فرغم ما يبذله من إخلاص في إنقاذهم وجلب الخير لهم والحرص على نصحهم لكنهم يقابلون حكمته ﷺ بالعنف والاعتداء هو يدلهم على الخير وهم يقذفونه بالشر ويتهمونه بما ليس فيه .

وقد يمتد الطغيان إلى ماله فينهب وبدنه فيعذب وحريته فتسلب وبيته فيطرد منه وحرماته فتنهك بل ونفسه فتقتل .

قال تعالى :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

(آل عمران / ١٨٦)

إن رسول الله في مقدمة ركب الدعوة عاني كثيرا من :«طول الطريق واستبطاء النصر واشتداد المحن لكنه مع ذلك آمن أن النصر لدعاة الحق لا يتحقق إلا بعد ليل طويل من المصاعب المتلاحقه والمحن المتعاقبة تبلغ معه القلوب الحناجر ويزلزل الصف المؤمن .

قال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

(البقرة / ٢١٤)

إن المكاره التى تحف بالدعوة تعجز عن حملها الكواهل وتنوء بها الظهور فالناس لن يرضوا بمن يطلب منهم التحرر من عاداتهم وأهوائهم ومألوفاتهم وأوهامهم .لكن الداعية يصبر ويكابد إعراضهم ، إنه يطلب منهم الوقوف عند حدود الله فيما أحل وما حرّم ، وهو مطلب ثقيل على الناس يقاومونه ويحاربون دعاته بكل سلاح وليس أمام الداعية إلا الاعتصام بالله والتسلح بالصبر في وجه كل عدوان قال علي بن أبي طالب : «الصبر سيف لا ينبو ومطية لا تكبو وضياء لا يخبو» .

فمهما أظلمت الدنيا في وجه الداعية ولو رمي من كل قوس

فإن الصبر بلسم الجراح وطريق النصر والعاقبة للتقوى

قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (يوسف / ١١٠)

٣ ـ منهجية الدعوة :

أ ـ أسلوبه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى وحكمته في تبليغها :

بدأت بعثة محمد ﷺ منذ أن نزلت عليه الآيات الأولى من سورة العلق :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(١ ـ ٥ العلق)

ثم فتر الوحي مدّة جعلت الرسول محمدًا (ﷺ) يشك في الأمر ولما نزل الوحي للمرة الثانية

بقول الله تعالى : بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾

(١ ـ ٨ المدثر)

اطمأن له وتيقّن من الرسالة وعلم أنه رسول الله حقًا ومكلف بالدّعوة إلى الله تعالى .

ومنذ ذلك الحين بدأت مرحلة جديدة من حياته (ﷺ) وهي تحمّله لعبء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة وإنذارهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده وهجر ما هم عليه من عبادة الأوثان وارتكاب الإثم والعدوان ، لذلك أمره تعالى أن يصبر على ما يلاقيه من مشقة وأذى في سبيل دعوته .

فما المنهج ؟ وما الطريق الذى سيسلكه رسول الله (ﷺ) لإقناع هؤلاء الناس وهو يعلم أنهم أحرص ما يكونون على باطلهم ؟ وما الطريقة المجدية لإقناعهم أن ما هم فيه باطل وأن ما جاء به حق من عند الله؟

وجعل (صلى الله عليه سلم) يفكرّ ليجد المدخل السهل الذى يدخل منه إلى قلوب هؤلاء الناس المصرّين على ضلالهم .

فأخذ يلتمس أصحاب القلوب اللينة والنفوس المستعدة للهداية وقبول الحق ، بدأ بخلطائه وصحبه وبمن يثق فيهم ويطمئن إليهم فجعل يدعوهم إلى الإسلام سرّا مستعملا كل وسائل الرفق والحكمة واللين ..

وكان (ﷺ) حريصا على أن لا ينكشف أمر الدعوة في بدايتها للقرشيين خشية أن يهبوا للقضاء عليها وهي في بدايتها .

والدّاعية محمد (ﷺ) يعلم أن قريشا لاتحارب أحدًا كما

تحارب من يخالف دينها .

فالقيام بمهمّة الدّعـوة إلى الله تعالى أمر شاق وصعب ولذلك هيأ الله تعالى رسوله ليكـون في مستوي هذه المهمة وزوّده بصفات لا تتوافر عند غيره من صبر ولين وحلم خـاصة وأن المباديء التي جاء بها تُعدّ ثورة صريحة على مبـادىء القرشيين وعداءً صارخـا لديانتهم ولذلك وجب على الدّاعية محمد (ﷺ) أن يكون ليّنا ما أمكن رحيما رفيقا في دعوته مع التكتّم والتزام السرّية فيما يدعو إليه ...

ـ وبـالحكمة والموعظـة الحسنة وبـالاتصال المبـاشر والإقناع تمكنّ الـدّاعية محمـد (ﷺ) من إقنـاع الكثيرين ممّن حولـهُ بالـدّين الجديد فاستجـاب له من أراد الله له الهداية من رجال مكـة ونسائها مخفيا إسلامه عن أهل مكة .

ـ ومن حكمته (ﷺ) أنه كان يسرّ إليهم تعاليم الدّين الجديد ويطلب منهم أن يكتمـوا أمرهم وأن يخفوا صـلاتهم حتى لا تتسرب أنباء هذه الدّعوة إلى قريش فتقضي عليها وهي ما تزال في المهد .

ـ وكـان للأسلوب الـذى اتبعه الدّاعيـة محمد (ﷺ) أثر كبير لدخول عدد لايستهان به في الإسلام فكان (ﷺ) يعاملهم معاملة لم يتعـوّدوا عليهـا من قبل ، كـان يتلقاهم بـالبرّ والتكـريم والترحـاب ويبسط لهم وجهه ويسوّي بينهم.

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

(١٥٧ الأعراف)

وهكذا كان الداعية محمد (ﷺ) مثلا أعلى لأتباعه بخلقه ودينه وتسامحه ولطفه وحكمته فهم يتبعونه ويقلدونه ويترسّمون خطاه فيما يقول ويفعل ، ويطيعونه طاعة الإكبار والحبّ والإخلاص .

بهذا الأسلوب الرائع والحكمة البالغة في الدعوة الي الله تعالى كسب الرسول الكريم أنصارًا عديدين رغم الحيطة والحذر في بداية دعوته وفي المرحلة السرية منها .

كل ذلك يعود إلى أن الرسول (ﷺ) كان يعرف قومه لأنه عاش في أوساطهم واختلط بهم وشاركهم في التجارة وسائر شؤون الحياة فكان معروفا عندهم بالصدق والأمانة وكانوا معروفين عنده إذ كان يميّز ويعرف من منهم يتّصف بالاستهتار والحقد ومن منهم الموصوف بالسماحة واللين والطيبة فهو يفرّق مثلا بين عميّه أبي طالب وأبي لهب ويعرف ما الأسلوب النافع لكّل واحد منهما .

ولما دعاهما إلي الإسلام بحكمته المعهودة اقتنع أبو طالب بصواب دعوة ابن أخيه لكن نفسه لم تطاوعه عل مفارقة دين آبائه أما أبو لهب فقد رفضها رفضا قاطعا وهذا أمر يتوقع منه لانصافه بالتعصّب لوثنيته وسفاهته وجهله واندفاعه وغضبه فهو لايبالي أن يعادي أقرب المقرّبين إليه .

ـ بهذا الأسلوب الحكيم الذي سلكه الدّاعية محمد (ﷺ) نفض يده من أبي لهب إذ لا خير فيه ولا فائدة من التأسف عليه لأنه معاند مكابر وفي الآن نفسه كسب جانب أبي طالب والغالبية العظمي من بني هاشم .

ـ ومنذ ذلك الوقت دبّت العداوة بين أبي لهب وبين بني هاشم فوقف معظمهم صفّا واحدًا وراء الرّسول (ﷺ) يحوطونه ويمنعونه من كيد الأعداء .

ب ـ معايشته ﷺ لواقعه وقدرته على حل المشكلات :

* معايشته لواقعه :

منذ أن أكرم الله تعالى محمدًا (ﷺ) بالنبوة وأمره بتبليغ الرّسالة عاش مع الناس وخالطهم وغشي مجالسهم يدعوهم إلى الله تعالى وحذّرهم مما هم فيه بعد أن اعتزلهم قبل نزول الوحي عليه .

ولذلك كان (ﷺ) ملمّا بشؤون عصره واعيا بمشكلات الناس على اختلاف أنواعها يحزنه حالهم فهو يعلم علم اليقين فساد عقيدتهم وانحرافاتهم والأوهام التي يؤمنون بها كما كان يعلم شططهم في الشهوات وكان مدركا لتفاهة الأسباب التي تقوم عليها حروبهم لذلك اختاره الله تعالى لتبليغ دعوته ليصلح من شأنهم ويعيدهم إلى رشدهم بعد أن فقدوه وللوصول إلى هذه النتيجة أوحى الله تعالى إليه بالأسلوب الذي ينبغي أن ينتهجه معهم .

قال تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(١٢٥ النحل)

فمخالطته (ﷺ) لقومه لاتعني موافقتهم أو مجاملتهم أو مشاركتهم في الأعمال المنكرة وهو المعصوم من كل ذلك بل القصد منها الاقتراب منهم للتعرّف على أحوالهم واختيار أنسب الوسائل لإصلاحهم .

فكانت عشرته (ﷺ) لهم بدافع من الدّعوة إلى الله تعالى ، فإذا ما زار شخصا أو تعارف معه أو رافقه فإن كل ذلك نابع من رغبته (ﷺ) في دعوته إلى الخير وإخراجه من الظلمات إلى النور بإذن ربِّه .

*** قدرته الفائقة على حلّ المشكلات:**

وجدت مشكلات عويصة في المجتمع الذى كان يعيش فيه رسول الله (ﷺ) احتاجت إلى من يقوم بحلها ، ولا يتمكن من ذلك إلاّ من أوتي كفاءة عالية وقدرةً فائقة على حل مثل هذه المشكلات .

والدّاعية محمد (ﷺ) بما أوتي من فطنة وذكاء وبما عرف به من حكمة واتزان في معالجة الأمور تمكن من حل أصعب المشكلات وأعقدها ووجد لها الحلول السريعة والمناسبة بكل بساطة قبل البعثة وبعدها ومن بين هذه المشكلات :

* وضع الحجر الأسود في مكانه :

هـدمت الكعبـة وعند إعـادة بنـائها اختلف وجهـاء قـريش فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسـود في مكانه وكادوا يقتتلون ، وبعد التشاور قرّروا الاحتكام إلى أول داخل إلى البيت الحرام .

وكان الـوافد الأول محمـداً (ﷺ) فهبّـوا جميعا وقـالوا : هـذا الأمين ، هذا محمد رضينا به حكما .

وكحلّ سريع لهذه المشكلة أشـار محمد (ﷺ) بوضـع الحجر الأسـود في ثوب على أن تأخـذ كل قبيلـة بناحيـة منـه وأمرهم بـرفع الثـوب ليأخذ الحجـر بيديـه الكريمتين فيضعـه في مكانـه ، ثم بني عليه .

بهذا الرأي الصـائب الذي رضي بـه الجميع وباركـه منع أهل مكة من الدّخول في حرب يعلم الله حجم أضرارها .

* الحلول السريعة لمشكلات الهجرة :

لما ظهرت دعوة محمد (ﷺ) اشتد الأذى عليه وعلى أتبـاعه ، وكحل لهذه المشكلـة نصحهم بـالتـوجّـه إلى الحبشـة لأن بها ملكـا عادلا لا يظلم عند أحد .

إلاّ أن هذه الهجـرة لم تكن كافية ولم تستـوعب كل الأنصار إذ تواصل الأذى والاضطهاد ففكرّ رسول الله (ﷺ) في مكان آمن يلجأ إليه المسلمـون بعيدا عن مكـة فأمر أصحابـه أن يتوجّهـوا إلى يثرب المكـان المضمـون الـذي يـؤويهم وأشـار عليهم بـالخروج فـرادى

وجماعات حتى لايتفطّن إليهم العدوّ.

وبهذا الرأي السديد والحلّ الموفق فوّت الرّسول (ﷺ) الفرصة على الكفار من أن يمنعوا أبناءهم وإخوانهم من مغادرة مكة واللجوء إلي يثرب .

ولم تكن الهجرة إلي المدينة هروبا من الأذى وفرارًا بالدّين فقط إذ لو كانت كذلك لكانت الهجرة إلى الحبشة كافية بل كانت الخطة مدروسة وكان الحل هذه المرّة شاملا وجذريا وذلك لقيام دولة إسلامية مستقلة ينعم مواطنوها بالأمن والاستقرار فيها .

*** مشكلات المجتمع الجديد بالمدينة :**

ولمّا وصل رسول الله (ﷺ) وأتباعه يثرب واستقرّوا بها واجهوا مصاعب أخرى تختلف عن مشكلات العهد السابق نتيجة لتركيبة المجتمع الجديد من مهاجرين وأنصار ويهود وكفار ومنافقين .

فما الحلول التي توصل إليها رسول الله (ﷺ) لحل مشكلات جديدة أكبر حجما من سابقاتها ؟

ـ المشكلة الاقتصادية :

كان اليهود قبل مجيء الرّسول (ﷺ) إلى المدينة مسيطرين على التجارة ومحتكرين لها إذ لايوجد بالمدينة إلاّ سوق تجاري واحد يسيّره اليهود بأبشع طرق الكسب من ربا واحتكار وغش .

وما كادت تستقرّ الأمور بالمدينة حتى أنشأ رسول الله (ﷺ) سوقا للمسلمين يستغنون به عن سوق اليهود ويعتمدون به على

أنفسهم وينافسون به اليهودَ خاصة وأن المهاجرين من مكة امتهنوا التجارة وحذقوها .

ـ قضية الانسجام في المجتمع الجديد :

حتى ينسجم المسلمون بعضهم ببعض وهم من قبائل شتى شرع لهم رسول الله (ﷺ) سنّة الإخاء لإيواء المهاجرين وجعل لكل واحد منهم أخا أنصاريا لتكون هذه الأخوة أعمق من أخوة النسب .

وتؤكد الروايات أن الأنصار كانوا يختصمون على المهاجر كل يريد أن يضمّه إلى نفسه حتى أنه لم ينزل مهاجري على أنصاري الاّ بقرعة .

بهذه الروّح التي بثّها رسول الله (ﷺ) في أتباعه حُلت مشكلة من أكبر المشكلات الاجتماعية .

ـ المشكلة السياسية :

وتقتضي إيجادَ صيغة ملائمة يتعايش بها الناس عموما على اختلاف مللهم إذ يتكون المجتمع المدني قبل وصول المهاجرين إليه من قضاعيين (أقدم سكان المدينة) ومن الأوس والخزرج ومن اليهود ، إلاّ أن الأوس والخزرج انتزعوا السيادة والرئاسة من قضاعة وتغلبوا على اليهود ولكنهم لم يتمكنوا من إقامة دولة موحّدة بل اشتهروا بالحروب ، واستغل اليهود هذه العداوة ليوقدوا نار الفتنة بينهم .

ولما وصل الرسول (ﷺ) المدنة استبشروا وفرحوا بمقدمه وآمنوا به واستمعوا إليه وأسلموا الزعامة إليه وانقادوا لأوامره .

ـ وبحكمته المعهودة أوجد (ﷺ) وثيقة تحدّد علاقة الناس بعضهم ببعض وهي أوّل وثيقة سياسية في الإسلام يأمر الرسول الدّاعية بكتابتها تجمع كل هذه الأطراف المتنازعة والمتناحرة وتكون دستورًا يتعايش بمقتضاه كل من في المدينة .

ـ وقد رضي بهذه الوثيقة كل من علم بها واطلع على بنودها التي تدعو إلى حرّية المعتقد وحرّية الفكر وتحدّد الحقوق والواجبات وتحقن الدّماء .

فكتب رسول الله (ﷺ) كتابا بين المهاجرين والأنصار ودعا فيه اليهود وعاهدهم وأقرّهم عل دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

ـ مشكلة المنافقين :

لم يكن في مكّة نفاق لأن المسلمين هناك مستضعفون ولما هاجر رسول الله (ﷺ) والمسلمون إلى المدينة وكوّنوا دولة وسلطانا ونظاما وقوة ظهر النفاق .

ـ كان المنافقون يظهرون الولاء والطاعة وفي آن واحد يكيدون للدّعوة الجديدة وللدّاعية محمد (ﷺ) لتعطيل انتشار الإسلام بأساليب ماكرة من بينها :

ـ أنهم كانوا يحيكون مؤامرات سرّية مع اليهود لإثارة الفتن

وتشكيك المسلمين في قيادتهم وانتصاراتهم وتخذيلهم عن الجهاد.

فكانوا بذلك أشدّ خطرا عل الإسلام والمسلمين من الأعداء المجاهدين إلاّ أن القرآن فضحهم وكشف نواياهم وأحقادهم .

ومن الأمثلة على هؤلاء ما قام به عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين إذ سبّ رسول الله (ﷺ) وشتمه بقوله : «سمّن كلبك يأكلك ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وسمع زيد بن الأرقم المقالة ووعاها على حداثة سنه وهو غلام ونقل الخبر كما سمع إلى رسول الله (ﷺ) وعنده عمر بن الخطاب . فقال عمر : مر عباد بن بشر فليقتله .

فقال رسول الله (ﷺ) : فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

ـ ومشى المنافق إلى رسول الله (ﷺ) وحلف بالله أنه ما قال ولا تكلمّ ويعلم الدّاعية محمد (ﷺ) أن رأس المنافقين كاذب .

ونزل القرآن يفضحه وتأكد الجميع من الخبر فتقدّم الابن إلى رسول الله (ﷺ) راجيا أن يتولى قتله رغم أنه لا يوجد من الخزرج من هو أبرّ بوالديه منه وقال : إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفس أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار !

ـ فقال رسول الله (ﷺ) موضّحا منهج دعوته:

«بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا»

ـ كـان بإمكـان رسول الله (ﷺ) أن يبطش بالمنـافقين إلاّ أنه فضل مـواجهـة مكرهم بتـوعيـة الجماعـة الإسلاميـة وتحصينهـا من الـدّاخل عقيدة وفكـرا وخلقا وبـذلك يعزل المنـافقين عن المجتمع والتأثير فيـه بقوّة الحجـة والبرهـان والبيـان والإقناع لا بقـوة البطش والسلطان الـذي قد يجعل منهم أبطـالا أو قد يكون سببـا في تفريق كلمـة الجماعـة المسلمـة بـدافع من النصرة والتعـاطف معهم من أقاربهم وعشائرهم .

ـ ذلك هو الحلّ الـذي اختاره الـداعية محمـد (ﷺ) لمعالجة موقـف المنافقين فأوكل الأمـر إلى ذويهم ، فكان إذا أحدث المنـافق الحدث كان القوم هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنّفونه...

عندها قال رسول الله (ﷺ) لعمر : كيف ترى ياعمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته .

قال عمر : قـد ـ والله ـ علمت لأمر رسول اللـه (صلى الله عليه وسلم) أعظم بركة من أمري .

ـ مشكلة اليهود :

ومن المشكـلات العـويصة التـي تشكل خطرا على الـدّعـوة الإسلامية من بـدايتها في هذه المرحلة الجديـدة مشكلة اليهود حيث سارع الـرّسول محمـد (صلى الله عليه وسلـم) إلى إيجاد حّل مناسب لها يضمن الأمن والاستقـرار والطمأنينـة في المجتمع . فحّـرر وثيقـة تعترف بمواطنة اليهـود للمدينة وتعدّ معـاهدة سليمة بين المسلمين

واليهود ومن أهم بنودها :

أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأن بين اليهود والمسلمين النصر على من حارب أهل الصحيفة .

وبهذا أبرم الرّسول (صلى الله عليه وسلم) معاهدة مع اليهود وعدّوا مواطنين في هذه الدّولة يدينون بالطاعة والنصيحة لحاكمها وقائدها محمد (صلى الله عليه وسلم) ..

ـ ولكنّ اليهود الذين أظهروا الاستسلام في بداية الدّعوة ما لبثوا أن كشفوا عن نواياهم الحقيقية وعداوتهم للإسلام والمسلمين وتملكهم الحقد والغيظ لمّا رأوا ثبات الدّاعية محمد (صلى الله عليه وسلم) ومدعويه وانتشار هذه الدّعوة بسرعة غير مألوفة واقبال الناس عليها .

ـ فبدأ أحبار اليهود ينشطون في التشكك في هذه الدّعوة وإثارة الشبهات بين المسلمين فأصبحوا يسألون الرّسول (صلى الله عليه وسلم) أسئلة ماكرة إلاّ أن القرآن سارع إلى ردّ شبهاتهم ودحض أباطيلهم ثم إن الرّسول الداعية ما كان ليعاقب بالشبهة والظنة وإنما انتظر عملا محسوسا لمعاقبتهم .

ـ فلما اعتدى يهود بني قينقاع على كرامة امرأة مسلمة وهبّوا لقتال المسلمين حاربهم وأجلاهم .

ـ وكذلك كان مصير بنى النضير .

ـ أما يهود بني قريظنة فقد خانوا العهد وارتكبوا إثما لايغتفر

فحكم (صلى الله عليه وسلم) بـالقتل على مقاتليهم وسب نسائهم وذراريهم .

ـ تلك هي الطـريقة التي اتخذها رسول اللـه (صلى الله عليه وسلم) للقضـاء على يهود المدينـة ، ومن حكمتـه (صلى اللـه عليـه وسلم) أنـه تدرّج في حـربه مع اليهـود ولم يقاتلهم جميعـا في معركـة واحـدة ، ولكن حينما أجـرموا عـاقبهم على جـرمهم وأراح المسلمين من شرّهم وكيدهم .

تلك هي الكيفيـة التي كـان رسـول اللـه (صلى اللـه عليـه وسلم) يعـالج بها القضايـا مستعصية الحل ، يعـالجها بكل بسـاطة وجد لها الحلول الملائمة بسرعة فائقة .

ثانيا : الدعوة في عهدها المكّي

١ ـ مراحل الدعوة

٢ ـ ميزاتها

٣ ـ موضوعاتها

٤ ـ وسائلها

٥ ـ دعوته ﷺ لأقاربه .

٦ ـ دعوته لبطون قريش

٧ ـ أوائل من أسلم

٨ ـ هموم الداعية

٩ ـ الرحلة من أجل تبليغ الدّعوة

١٠ ـ دعوته ﷺ للجنّ .

١١ ـ عرض نفسه على القبائل .

(١) مراحل الدعوة :

مرت الدعوة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدورين متميزين :

- الدور المكي وقد دام ثلاث عشرة سنة .
- الدور المدني وقد تواصل عشر سنوات .

ويشتمل كل دور على مراحل وتمتاز كل مرحلة بخصائص ، ونستطيع تقسيم الدور المكي إلى ثلاث مراحل :

* مرحلة الدعوة السرية
* مرحلة الدعوة الجهرية في أهل مكة .
* مرحلة الدعوة الجهرية خارج مكة .

(أ) الدعوة سرا :

ابتدأت هذه المرحلة من بعثة النبي ﷺ ونزول قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق - العلق / ١) في غار حراء واستمرت ثلاثة أعوام حتى نزل قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ - الشعراء / ٢١٤)

قوله عز وجل :

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ - الحجر / ٩٤)

ومن الحكمة أن تبدأ الدعوة سرا حتى لا يقضى عليها في

مهدها وحتى لا يفاجأ أهل مكـه بما يثيرهم فيكون رد فعلهم شديدا وقـاصما . وقد خطـا رسـول الله ﷺ أولى خطـوات الـدعوة بغـرض الإسـلام على ألصق النـاس بـه مـن آل بيتـه : زوجتـه خـديجة بنت خويلد ، ومـولاه زيد بن حارثة وابن عمـه علي بن أبي طالب ، ومن أصـدقـائه أبى بكـر . ثم وسع النبي الـداعيـة دائرة الاتصـال بمن تـوسم فيـه خيراً وبكل من تـوقع منه حبّ الخير وقبـول الحق . وقـد أسلم هـؤلاء المدعوون لأنهم يعـرفـون صدق رسـول، الله صلي اللـه عليه وسلم : وأجـابوا دعوتـه وأصبحوا أعوانا نشيطين في الـدعوة : فقد بادر أبو بكر بالاتصال بمن يثق به فأسلم الرعيل الأول سرا .

وكان الـرسول عليـه السلام يجتمع بهؤلاء السـابقين متخفيا لأن الـدعوة مـا تـزال في أول أمـرها فـرديـة وسريـة . فعند أداء الصـلاة يـذهبـون إلى الشعـاب ويستخفـون من قـومهم ، وقـد نمت روابط الجماعـة المؤمنـة وأقامت عـلاقـاتها على التعـاون في تبليغ الرسـالـة والتمكين للدعوة .

ثم نزل القـرآن يكلف الرسـول ﷺ الصدع بالحق والإنـذار علنا ومجابهة الباطل والـوثنية ، وقـد انضم إلى الدعـوة في هذه المرحلـة ما يقـرب من ستين عنصرا بين رجل وامـرأة تكون القـاعـدة الأساسيـة التي تمّ اختيـارها وتـربيتها بما يـؤهلها لتكـون ثابتـة عند مواجهـة الكفار .

ومن أهمّ سمات هذه المرحلة:

أنها تقـوم على الاصطفـاء الشخصي وتقـديـر الـداعيـة لطبيعـة

المدعو ، فالقلـوب أقفال يملك مفاتيحها فيـدخل إليها وتستجيب له .

كما تتسم هذه المرحلة من الدعوة بـالعموم فليست خاصة بطبقة معينـة بل لقد أتقن الـرسـول ﷺ اختيار الأفـراد دون أن يتقيد بفئـة دون فئة إذ أسلم في هـذه المرحلة الأحـرار والعبيد والرجـال والنساء والشيوخ والفتيان وفي مختلف العشائر والفروع القرشية .

وقد بلغت السرية في هذه المرحلـة أن المسلمين لم يعلنوا موقفهم تجاه الأصنـام ولا تعلن العقيـدة إلا لمن يـرجى انضمامـه للجماعـة المسلمة فليس إعلان الدعوة هدفا قائما في هذه المرحلة.

والأصل أن لا يظهـر المسلمـون المخالفـة في شيء ، مع التركيـز لدى المستجيبين للـدعوة على بناء العقيدة السليمـة حتي يتكون من هؤلاء النـواة الأساسية التي تتحمل أعبـاء الدعوة والمواجهـة ويقوم على أكتافها البناء الإسلامي الشامخ بعد ذلك .

(ب) الدعوة جهرا :

في نهاية المرحلـة السرية ولما بلغ عدد المستجيبين ثمانيـة وثلاثين رجـلا أقــدم الصحـابـة بتخطيط وإذن من القيــادة النبيـوة ، علي المخاطرة بإعلان الدين الجديد وتوضيح مباديء الدعوة بين الناس ، وكانوا مستعدين لتحمل الأذى النـاجم عن تلك العلنية ، فقد لحق بــالصــديق وأبي ذر أذى شـب بــدا لكنهما صبرا واحتمــلا ذلك الاضطهاد في سبيل الله .

وكان نـزول آية الحجـر ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٩٤) وآيـة الشعراء ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤) إيـذانـا ببدء الـرحلـة الجهريـة حيث استجاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم لأمر ربه فدعا بني هاشم فحضروا فقال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

«إن الـرائد لا يكـذب أهلـه والله لـو كـذبت النـاس جميعـا مـا كذبتكم ، ولو غـررت الناس ، والله الذي لا إله إلا هـو إنى لرسول اللـه إليكم خاصـة وإلى النـاس كافـة واللـه لتمـوتن كما تنامـون ، ولتبعثن كما تستيقظـون ولتحاسبنّ بما تعملـون ولتجـزون بالإحسـان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها الجنة أبداً أو النار أبدا(١)

فأعلن عمه أبـو طالب وقوفـه بجانبه يحوطه ويمنعـه غير أنه لا يفارق ديـن عبد المطلب ، أمـا عمه أبـو لهب فخذلـه وحرض قـومه علي معاداته والأخذ على يديه .

وإثر تعهد أبي طالب بحمايته صعد النبي جبل الصفا وصرخ يا صباحـاه ! فاجتمع إليـه بطون قـريش ومن لم يستطيع الخروج أرسل من يأتيه بالخبر ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« أرأيتم ان أخبرتكم أن خيـلا بـالـوادي تـريـد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا .

قال : فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟

فنزل قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ المسد / ١

(١) جمهرة خطب العرب ح (١) ص ١٤٧

(٢) مميّزات الدعوة في مكة :

إن سنة الله في مخلوقاته في مرحلة التكوين أن يرافقها ضعف وعجز عن مواجهة العوامل المضادة . والدعوة ينطبق عليها هذا القانون فلابد أن تصان في مرحلتها التكوينية من كل ما يهددها . لذلك سار النبي ﷺ في دعوته بمكة على منهج يحفظ الدعوة : فاختار أن يدعو في سرية وأن يصطفي عناصر دعوته ممن يثق بهم وأن يدعوهم فرداي ويهتم بتكوينهم فإذا قويت شوكتهم أعلن دعوته وجهر بمبادئها .

أ ـ السرية :

لقد رسم رسول الله صلي الله عليه وسلم خط السير للدعاة في بناء الجماعة ، والدعوة في مرحلتها الأولى ، فاعتمد السرية كمبدأ أساسي في الدعوة : فقد انتقى أتباعه على أساس الاطمئنان إليهم والثقة بهم . واجتمع بهم في مكان آمن وأبعد ، في الشعاب لأداء الصلاة مختفيا ، كل ذلك من أجل تأمين الدعوة . كما كان عليه السلام ينظم خلايا العمل السري الذي يجري في دار الأرقم وغيرها مثل مهمة خباب بن الأرت في بيت سعيد بن زيد ومثل بيعة العقبة الأولى والثانية وكل ما هو تنظيمي يجب كتمانه وإسراره .

إن السرية صفة ملازمة لدعوة رسول الله في كل مراحلها فعلى امتداد حياة النبي بمكة يلاحظ بوضوح التزامه جانب الكتمان فقد كانت دار الأرقم في مكان آمن لايهتدي إليه المشركون والأرقم شاب فقير لا يفكر الكفار أن محمدا صلي الله عليه وسلم يأوي إلى بيته .

وقد أمر النبي عليه السلام عمرو بن غبيسة أن يكتم إسلامه ويلحق بأهله .

فالسرية في العهد المكي كانت بمثابة صندوق تحفظ فيه خطبة العمل الجماعي ويصان فيه الجانب التنظمي من الدعوة بهدف حمايتها في أول طريقها ، وهي أمان من العيون المتربصة وقد أحسن الرسول عليه السلام استخدام الكتمان في الزمان والمكان مع الأتباع والخصوم .

إن السرية أسلوب تمليه ظروف الدعوة بما يتناسب ويكافيء المصلحة العامة للجماعة المسلمة وقد كان قدوة الدعاة طوال الفترة المكية يتكتم على معظم الأحداث المهمة مثل بيعة العقبة كما كان يعمي الأخبار ويلزم السرية لدى اتصاله بأتباعه وحتى مع مخالفيه .

ب ـ انتقاء العناصر :

تميزت مرحلة الدعوة السرية في مكة بقيامها على الاصطفاء للأفراد الذين ينضمون إليها فقد كان عليه الصلاة والسلام يختار اللبنات الأولى للدعوة ممن يقدّر أنهم مواضع ثقة وذوو طبيعة مألوفة ومعادن كريمة يتسم فيهم الاستجابة لهذه الدعوة . وقد كان لخلق رسول الله السهل المجيب دور في اكتساب الأنصار : وفق في آختيار العناصر واستطاع النفاذ إلى القلوب ، فبدأ بمن ينتظر منه موقفا إيجابيا من الدعوة أما من غلب على ظنه أنه سيرفض الدعوة أو يكون سببا في كشفها وهي في أولى خطواتها ـ فلا يسارع إلى دعوته . ورغم الاصطفاء الشخصي والاختيار المدروس فإن دعوته ﷺ لم

تكن خاصة بطبقة معينة بل لقد حرص مع الانتقاء علي تعميم دعوته بين كل فئات المجتمع ومن مختلف العشائر القرشية والقبائل المتفرقة .

شمل الاختيار الأحرار والعبيد والرجال والنساء والشباب والشيوخ والتجار والعمال ، ووسع الاصطفاء عشائر ، بني هاشم وبني عبد شمس وبني مخزوم وبني تيم وبني عدي وبني زهرة وبني سهم وبني جمح وبني أسد وبني عامر .

ولم يقتصر الانتقاء لعناصر الدعوة علي قبيلة قريش بل توسع إلى قبائل هذيل وغفار وبني سليم .

ولقد كان اختيار النبي محمدا ﷺ لأفراد الرعيل الأول دقيقا لأنهم يمثلون القاعدة الأساسية للدعوة .

وراعى النبي الداعية مواهب كل عنصر فأحسن صقلها وتوجيهها ، ولم يكن كل الأفراد متماثلين في قدراتهم فلكل فرد شخصيته وقدراته لكنه يتكامل مع غيره بتربية رسول الله ، والمهم أن يكون العنصر موضع ثقة وتظهر فيه علامات الاستجابة للدعوة فيضم إلى الجماعة ويتلقى مبادىء الدعوة .

ونتيجة لقيام دعوة رسول الله ﷺ على الاصطفاء مع إتقان التربية منذ بداية الدعوة فقد تخرج من مدرسة محمد ﷺ جيل قوي أستطاع أن يثبت أمام المحن المزلزلة التي تعرضت لها الدعوة في مراحلها الأولي بمكة وتمكن هذا الرعيل الأول أن يحمل أمانة تبليغ الدعوة ونشرها في الآفاق بعد وفاة الداعية الأول محمد ﷺ .

ج ـ الإتصال الفردي :

إن الطريق الأول لإخبار الناس بمبادىء الدعوة وإبراز أهميتها حتى يتسع فهم الناس لها وتستوعب عقولهم تعاليمها هو الاتصال الفردي .

فقد عرض النبي ﷺ دعوته وخبره على زوجته خديجة كما عرض أمره على ابن عمه علي بن أبي طالب (ثم إن عليّا جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما ـ النبي وزوجته ـ يصليان فقال علي : ما هذا يا محمد ؟ فقال النبي ﷺ : دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده وإلي عبادته . فقال علي : فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب . فقال رسول الله ﷺ : « ياعلي إذا لم تسلم فاكتم » فأسلم علي كرم الله وجهه .

ولم يكن منهج الاتصال الفردي مقصوراً علي أهل بيته بل كان ﷺ يأتي من يثق فيه من الأقارب والأصدقاء فيطلعه على دعوته على انفراد ثم يطلب منه الإستجابة للدعوة وأن يكتم ذلك الاتصال مطلقا سواء وافق أو لم يوافق حرصا من الرسول الداعية ألاّ تنكشف الدعوة وألا تتعرض لخطر الإجهاز عليها وهي في بداية الطريق .

فبعد تكوين النبي عليه السلام للمجموعة المؤمنة الأولى في بيته والتي تضمه هو وزوجته ، بدأ الاتصال بمولاه زيد وابن عمه علي وصديقه أبي بكر وبحاضنته أم أيمن الحبشية .

ولما كثر عدد أتباعه نظم رسول الله ﷺ اتصاله بأفراده في مكان سري هو دار الأرقم . وكـان عليه السلام لا يسمع بقادم يقـدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده .

ولاتصال الرسول بالمدعو أتصالا فرديا حسنات كثيرة منها :

* أن الاحتكاك بالأفراد يتيح للداعية التعرف علي العنصر المراد كسبه للدعـوة عن قرب فيتعرف علي وضعه ومشـاكله ويسهل عليه التشخيص والتوجيه والمعالجة .

* وفي الاتصال المفـردى يواجه الـداعية أسئلـة المدعو بتفصيل وإقناع لا يتوفر في أجواء الاتصال العام .

* والـدعوة الفـرديـة وسيلـة جديـة ومثمـرة يمكن أن يحقق بها الداعيـة نتيجة طيبـة ويتوصل إلى إقنـاع المدعو فيستجيب للـدعوة بأيسر التكـاليف وفي أقصر الأوقـات خـاصة إذا سـادت الثقـة بين الداعية والمدعو .

« لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها »

د ـ تكوين عناصر الدعوة :

تـدرج النبي ﷺ من مـرحلـة الـدعـايـة والتعـريف بـالـدعـوة وإيصالها إلى الأفـراد المصطفين إلى مرحلة الإعـداد والتكوين في دار الأرقم وهي دار عند الصفا اتخذهـا النبي ﷺ منتدى يجتمع فيه بمن تبعه في دعوته يعبدون اللـه سرا ويلقنهم أصول الإسلام ويتعهدهم

بالتربيـة ويكمل بناءهم النفسى والـروحي حتى يؤهلهم في مـرحلة التنفيـذ للعمل والإنتاج وتحقيق مـا يطلب منهم من تضحية وبـذل وجهاد .

وقـد استمر النبي ﷺ في تـربيتهم على الثبـات والاستهانـة بكل أذى في سبيل عقيـدتهم استجابـة لأمـر اللـه له أن يصبر نفسـه مع أتباعه .

إن طريق الدعـوة شاق وطويل ولابد لسـالكه من تكوين عميق حتى يتحمل فتنة أعداء الدعوة . قال تعالى على لسان لقمان :

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾

(لقمان / ١٧)

وقـد أمـر رسـول اللـه ﷺ كل فـرد في تلك المرحلـة بكف اليـد والصبر على أنواع الإضطهـاد المسلط من طـرف كفار مكـة واعتمد عليه السلام أسلوبـا سهلا في إعداد أتباعه ونشر دعوتـه متدرجا في تكـوينه لـلأفـراد بتعاليم الإسـلام حسب أهميتهـا ومـراعيا لأفهـام المستجيبين ومقدار استيعابهم .

وقد حدد الله مهمة الرسول ﷺ بأنه :

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾

(آل عمران ١٦٤)

وهي مسـؤوليـة ضخمـة ورسـالـة عظيمـة تمثل في تحويل عقل

المدعو من الأمية إلى العلم والمعرفة ، وفي تطهير نفسه وسلوكه من الضلال والرجس إلى الرشد والتزكية ولا يتم ذلك إلا بتكوين عن طريق التربية والتعليم .

وقد سلك محمد ﷺ في المرحلة السرية طريقة توزيع المستجيبين للدعوة إلى خلايا صغيرة يتراوح أفرادها بين ثلاثة إلى خمسة وتجتمع يوميا أو دوريا في أماكن وأزمنة مختلفة لتتكون وتتربى علي مبادىء الدعوة الكريمة .

إن المنهج النبوي في تكوين الفرد بمكة كان متوازنا يتناسب مع الفطرة والحاجات والنوازع البشرية لينشأ بناء الفرد سليما : فقد حرص محمد ﷺ علي تكوين عناصر دعوته بإفراغهم من قيم الجاهلية وإحلال فضائل الإسلام محلها ، لقد حارب ﷺ الجمود والتقوقع والزهد والعزلة وغلَّب في أفراده الإيجابية على السلبية .

قال عليه السلام : (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والنائية فإياكم والشعاب وعليكم الجماعة والعامة والمسجد .

وقال ﷺ (لا رهبانية في الإسلام) .

إن عناصر التكوين في الجماعة الأولى هي : كتاب الله وسنة رسوله وحضور شخص النبي عليه السلام وتعهده لتلك الجماعة فكانت أفضل جيل لأعظم مربّ . فبدون ذلك التكوين الذى تلقاه الصحابة وتلك التربية الحكيمة التي شملهم بها رسول الله ﷺ لما تحققت أهداف الدعوة وأثمرت نجاحا وانتشارا واسعين .

ومن قـواعد التكويـن التي حض عليها صلـوات الله وسـلامه عليـه الاستمـراريـة في عمل البر فـالقليـل الـدائم خير من الكثير المنقطع (أىّ الأعمال أحب إلى اللـه ؟ قـال : أدومهـا وإن قل) كما كـون النبي عليـه السـلام أصحـابـه على خلق الاعتـدال والتـوسط وندبهم إلي ترك الغلو فقال (يسروا ولا تعسروا ويسروا ولا تنفروا)

ويتضح منهج رسول اللـه في إعداد رجل الـدعوة في قوة فـراسه ونفاذ بصيرتـه في انتقاء أصحابه وإسنـاد المسؤوليات المنـاسبة لهم . فقد اكتشـف رسول اللـه ﷺ في صاحبه عبـد الله بـن مسعود رضي الله عنه علامات النجابة ــ رغم قصره ونحافة جسمه وفقره ورشحه ليكون غلاما معلمًا ثم إماما قـارئا مرشدا . لأنه وجد فيه محبة للعلم ولاحظ سمات الـذكاء . وتـردد عبد اللـه على النبي الداعيـة ليسمع القـرآن والحديث فتيقظت فيـه دوافع العلم وأسلم مع السـابقين وشجعـه الـرسـول كلما سأل : إنك غـلام معلـم تحسن الإصغـاء وتستطيع التعلم . وكان يحثه على التفرغ لطلـب العلم ويقربه منه في الحضر والسفر ويحب أن يسمع القرآن منه . وقد حقق هذا الموهوب نتائج باهرة إذ كان أول من جهر بـالقرآن بصوت ندي وقلب جريء ، وساهم في قتـل الطاغية أبي جهل دون أدني خـوف ، وأخيرا بفضل تكوين رسول الله يصير ذلك الراعي المغمور من أئمة الصحابة .

قـال عليه السـلام (من أحب أن يسمع القـرآن غضا كما أنـزل فليسمعه من آبن أم عبد) .

إن قـوة الأسـاس في أي بنيان تتنـاسب مع الثقل الـذي سيقـام

عليه وبما أن حمل الدعوة هو أثقل أمانة ورّثها رسول الله ﷺ لأصحابه فقد راعي عند تكوينهم أن يكون حامل الدعوة قويا وأهلا لحمل الرسالة العظيمة وزوّده بما يثبته أمام كل العقبات والمحن فلم تسجل حالة ضعف أو ارتداد في عناصر الرعيل الأول بل كانوا قمما شامخة في البذل والثبات .

إن السلامة من كل ثغرة عند التكوين ووضع الأسس هو الضامن لعدم تخلخل البناء وقد أحسن رسول الله إعداد عناصر دعوته بمكة .

هـ- الجهر والإعلان :

جهر النبي ﷺ بالدعوة وأظهرها استجابة لأمر ربه لما أنزل عليه ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ - الحجر / ٩٤)،

فكان عليه السلام يخرج إلى الأسواق والمجامع ونوادي قريش ومواسم الحج فيعلن في الناس « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » (رواه أحمد) أخرج ابن سعد في طبقاته (عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : أمر رسول الله أن يصدع بما جاءه من عند الله وأن ينادي الناس بأمره وأن يدعوهم إلى الله فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا إلى أن أمر بظهور الدعاء (الدعوة) . وعن الزهري قال : دعا الرسول ﷺ إلى الإسلام سرا وجهرا فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به كفار قريش وكفار قريش ، غير منكرين لما يقول فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبد

المطلب لَيُكَلِّمُ من السماء ! فكان كذلك حتى أعاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فتنكروا لرسول الله عند ذلك وعادوْه) أخرجه ابن سعد .

وقد ذعرت قريش عندما رأت المشهد المهيب وهي لا تكاد تصدق ما تشاهد : لقد خرج المسلمون من دار الأرقم في صفين : على رأس أحدهما (أسد الله) حمزة بن عبد المطلب وعلى رأس الآخر (الفاروق) عمر بن الخطاب ، وأمام الجميع إمام المتقين وسيد المرسلين محمد رسول الله وتوجهوا إلي الكعبة ليطوفوا حولها معلنين إسلامهم وليصلوا لله دون استخفاء . فأخذت قريش الدهشة وتساءلت : هل بلغ المسلمون من القوة ما يجعلهم يعلنون أمرهم متحدّين نفوذ قريش وهيبتها فلم تحل بينهم وبين الكعبة .؟

ولما رأى الكفار ظهور الإسلام وجلوس المسلمين حول الكعبة أسقط في أيديهم فقد فشا أمر الدعوة في مكة ومنذ أن أسلم حمزة وعمر تعالت أصوات المطالبة بالجهر .

قال حمزة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ :

(أظهر دنك فو الله ما أحبّ أن لي ما أظلته السماء وأنا علي ديني الأول) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَّما أسلم : « يارسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا » ؟ قال بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم . قلت : ففيم الخفاء يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ قال عليه

السلام : (يـاعمر إنا قليل قد رأيـت ما لقينا) فقال عمـر : والذي بعثك بـالحق لا يبقى مجلس جلسـت فيـه بـالكفـر إلا جلست فـه بـالإيمان ــ فسمي الفـاروق لأنـه فـرق بين الحق والبـاطل وطـالب بصراحة ومنذ بداية إسلامه بإعلان الحق .

وتوالي إعـلان الدعـوة فقد انطلق عبـد الله بن مسـود رض الله عنه إلى المقـام في الضحى وقريش في أنـديتها فتلا بعضـا من سورة الرحمن فتأمله الكفار وقـالوا : إنه يتلو ما جاء بـه محمد فضربوه لكنه تجرأ وأعلن الدعوة وأسمعهم ما يكرهون .

وأصبح المسلمـون يغشـون الكعبـة ويطوفـون حـولها ويصلـون ويجهرون بالقرآن لا يخافون قريشا . ودعا الصحابة إلي الدين الجديد علنـا وقـد عـز علي قـريش أن يجاهـرهـا النبي وصحبـه بـالإسـلام ويتحدوا نـواديها فيغشوهـا ويوضحوا مبـادىء الدعـوة وازداد عداء الكفار للـدعوة عندما عـرض رسول الله ﷺ إلى دينهم فعابـه وسفه الأحـلام وسب الآلهة وضلل الآباء وبلـغ فى إعلان سلمي الخطـوط الرئيسية للدعوة .

وقد عد الصحابة إسلام عمر عـلامة بارزة في الجهر الدعوة فعن صهيب بن سنان الرومي قال :

(لما أسلم عمـر ظهر الإسـلام ودعي إليه عـلانية وجلسنـا حول البيت حلقـا وطفنا بـالبيت وانتصفنـا ممن غلظ علينـا ورددنا عليـه بعض ما أتي به) .

ومهما كانت السريـة ملازمة للدعـوة في جانبها التنظيمى فـلابد

من المخاطـرة بإعلان الدعـوة لأن مبادئها لا يمكن إخفـاؤها حيث تبرز على صاحبها سلوكا وثمرة .

ولذلك ربي النبي ﷺ أتباعه على الصدع بـالحق والجهر بالدعوة وتحمل الأذى النـاشيء عن ذلك وقد اقترن الأمـر بجهريـة الدعـوة بـالتـوجيـه إلى الصبر والصفح عن المشركين وتجنب الصـدام معهم ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ـ الحجـر / ٩٤) إذ لا يـزال المسلمـون في مـرحلة الاكتفـاء بـالتبليغ وكف اليد فـلا انتقـام ولا ثأر لإهانـة بل أحتمال وإغفاء ومصابرة) .

(٣) ـ موضوعات الدعوة :

بُعث رسـول الله ﷺ رحمة للعـالمين وداعية للثقلين ، يـرسم لهم صراط الله المستقيم ويبشّر لهم مبادىء الدين القويم .

جـاء على فترة من الـرسل يـدعو بـدعـوتهم ويسير على نهجهم مستجيبا لأمر ربه عز وجل القائل له :

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)

كـانت دعـوته عليـه السـلام وتقوم على أسـس متينة ومبـادىء سامية كما تسعى إلى تحقيق المسلم الـرباني والمجتمع المتكامل والأمة القيادية الرائدة وبذلك :

ـ يغرس عقيدة التوحيد
ـ ودعوة الناس إلى الإيمان بالبعث والجزاء
ـ وتزكية النفوس .

أ ـ الوحدانية المطلقـة :

الدعوة إلى اللـه تعالى وحده المقصد الأساسي لـدعوات الرسل . بعث محمد رسول الله صلوات الله عليـه وسلامه ليخرج الناس من الشرك إلى الوحدانية ، ومن الظلمات إلي النور و ويبين لهم أنه ما من إله إلاّ اللـه ، وانه تبـارك وتعالى واحـد أحد فـرد صمد . وأنـه تعالى وحده المختص بـالوحدانية المتفرد بـالربوبة الـذي يستحق أن يُعبد دون سـواه ، ولـه تعنـو الـوجـوه وتنحنى الـرقـاب وتخضع لعظمتـه وجلاله كل الكائنات .

قال تعالى :

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾

(طه ١١١)

جاء الرسول ﷺ يبين للناس أن الله تباك وتعالي متصف بكل صفات الكمال منزه عن كل نقصان يتصوره عقل أو يتخيله انسان :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

الشورى ١١

كما جاء عليه السلام يدعو الناس الى الله تعالى ويوضع لهم فكرة الربوبية الصحيحة ، فلله الخلق والامر ، وله تعالى الحكمة البالغة ، وهو المدبر لكل شيء ، المتصرف في ملكون السماء والأرض .

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾

(السجدة / ٥)

جاء عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى أن التوحيد هو الضمانة الوحيدة لتحرير الإنسان من أوهام الخرافات والأساطير ، تلك الأوهام التي سيطرت على عقول الناس فأفقدتهم رشدهم .

كما جاء يبين أن التوحيد في بساطته ووضوح معالمه كفيل بإنارة العقول بنور الإيمان بالله الواحد ليكون الإنسان على بصيرة من أمره ، يعرف ربه كما يعرف نفسَه فيكون بذلك بشرا سويا .

كما جاءت رسالة التوحيد لتحرر الناس من قيود الأمراض

النفسية التى أفسدت عليهم الرؤية السليمة للأشياء .

فالـرياء علـة قاتلة ، والكبر مـرض خطير والبطر تنكـر للاصل الكبرياء لله وحد يختص بها ولا يشاركه في ذلك مخلوق .

وهو القائل عز وجل :

﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(الجاثية ٣٧)

وبعقيدة التوحيـد يشعر الإنسان بأنه عبد اللـه تعالى ، له يخضع وإليــه ينيب ، ويتحــرر من وهم الأصنــام ، ويتخلـص من دجل العقائد الوثنية الزائفة .

بذلك يصبح عزيزا لا يخشى أحدا إلا الله ، فلا يستسلم لفكرة زائفة ، أو شهوة جامعة ولا يحنى رأسه إلا لله الواحد القهار .

وهو يقول :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

(الفاتحة ٥)

وبعقيـدة التـوحيـد يـرتفع الإنسـان إلى مستـوى حمل الأمـانـة ويستخلف اللـه تعالى في أرضـه يتبـوأ من نعمها مـا يشـاء متوجهـا بالشكر والعرفان للمنعم الذى هو أهل له .

وهكذا فإن التوحيد أساس الدين وهو أعظم أركانه ، وخلاصة دعـوة الرسـل ، وأصل الأصول كلهـا وقـاعـدة الأعمال كلها ، وهـو أعظم ما يتوصّل به إلى مرضاة الله عز وجل .

لذلك ظـل رسول الله الـداعية عليـه صلاة اللـه وسلامـه طيلة الفترة المكية يعالج قضية الشرك ويبنى صرح التوحيد لا يتجاوز إلى غير ذلك من المسائل إلا قليلا .

فكان عليه الصـلاة والسلام يتلو علي الناس آيـات الله البينات بأسوبها المعجز وهو يدعو الناس إلي التوحيد .

يأخذ الناس بـالترغيب تارة وبالتحذير أخـرى لينفذ إلى قلوبهم ويبدلهم بالشرك توحيدا وبالضلالة هدى .

فعلى التوحد قامت دعـوات الرسل رائدهم في ذلك محمد رسول اللـه ﷺ الذى حرص طوال حياته في ظل الدعوة يربى الناس على معرفـة الله الـواحد وحبـه وإسلام الأمـر كله إليـه عليه صـلاة الله وسلامه .

ب ـ البعث والجزاء : :

ظلت الوثنية السائدة بين العرب تنكر البعث وتعتبر إحياء الأموات ضربا من الخرافة أو المستحيل .

وقد سخر المشركون من رسول الله ﷺ وردُّوا دعوته وحاولوا محاجته في هذه المسألة بإبداء استغرابهم ما يدعو الناس إليه من الإيمان بالبعث بعد الموت ومن الحساب بعد الفناء .

ونجد صورة لذلك الجدل معروضة في القرآن الكريم تبرز تمسك العرب بما ورثوه من آبائهم من إنكار للبعث بعد الموت :

قال تعالى :

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾

(الاسراء ٤٩)

والآية تبين شدة إنكار المشركين للبعث بل تبرز شدة استغرابهم من ذلك لأن عقولهم تحجرت حتى أصبحت عاجزه عن استيعاب فكرة البعث والنشور عند الموت والفناء .

غير أن السياق يتواصل في معرض الرد على أولئك المنكرين فيقول الله عز وجل :

﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ۝٥١ ﴾

(الاسراء ٥٠/ ٥١)

كان عليه الصلاة والسلام يدعو الناس إلى الايمان بالبعث ويعرض لهم من الأدلة ما فيها شفاءلما في الصدور . هذه الأدلة إنما هي آيات الله تعالى تقيم الحجة العقلية على الناس .

قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾

(الروم ٢٧)

إن الذي خلق الأنفس من العدم قادر على إعادتها وإحيائها بعد الموت والفناء فما على الانسان إلا أن يعمل عقله في العالم المادي الذي يعيش فيه فيرى مبدأ الحياة والموت ثم إعادة الحياة واضحا جليا في كل المخلوقات .

فالأرض الجدبة ميتة لا تنبت الكلأ ولا تعطى ثمرا فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل الخيرات .

قال تعالى :

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾

(الحج ٥ / ٦ / ٧)

غير أن فكرة إنكار البعث كانت مغروسة في أفكار الناس المادية ، فهم يعبدون ما يشاهدون ، وينكرون ما لايرون أو يحسون ،

وهذا الاعتقـاد الباطل أعمى بصيرتهم ، وقفل على قلـوبهم وأفقدهم صوابهم .

فهذا أبي بن خلف يحاجج رسول الله ﷺ في قضية إحياء الموتى ، ويمسك إليه بعظم بال قد أَرَمَّتْ ويقـول : يامحمد . أنت تزعم أن اللـه يبعث هـذا بعدمـا أرمّ أي بلي وصـار رميما . ويمسك بـالعظم ويفته بيده ثم ينفخه في الريح نحو رسول الله عليه السلام .

فيردّ عليه السلام بقوله : « نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار »

فانزل الله تبارك وتعالى وحيا يؤيد به نبيه عليه السلام فيقول:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(يس ٧٨/ ٨٣)

إن الإيمان بالبعث بعد الفناء يقتضي التسليم بالحساب والجزاء ، لـذلك كـانت دعـوة الـرسـول رسـول اللـه ﷺ الناس إلى التسليم بالبعث تستوجب الايمان بالحساب والجزاء .

غير أن دعـوة رسـول اللـــه رسـول اللـه ﷺ الناس إلى التسليم

بالجزاء قوبلت بالمعارضة الشديدة من الوثنيين .

وقد رأى المشركون أن الإيمان بالحساب والجزاء يكسر من كبريائهم ، والإقرار به يحدّ من شهواتهم ، ويفوت عليهم مصالح مادية كثيرة . والتنازل عن مبدئهم أمر صعب لا تطاوعه النفوس المدنسة بأوحال الفاحشة وأرجاس المعاصي .

إن قضية الجزاء وراءها المحاسة الدقيقة على كل ما يقترنونه من أجرام في حق الآخرين إذًا في المسألة قصاص وردّ للحقوق إلى أهلها ؟

وأمام هذه التساؤلات ينكص المجرمون على أعقابهم مستكبرين لا يلوون على شيء وهم يرددون :

﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾

(النحل ٣٨)

كذلك فإن الإيمان بالحساب بعد الموت يقتضى التواضع لله الخالق وللرسول وللمؤمنين ، وهذا يفوت عليهم فرصة التعالى في الأرض واستغلال الضعفاء والاستئثار بالمكاسب الدنياوية .

وهل يعقل أن ينزل المتعالون من شموخهم ليقفوا صفا واحدًا مع أولئك الفقراء أو العبيد سواء بسواء لا يتفاضل الواحد على الآخر إلا بالتقوى ؟ مقابل وعد الجنة فما مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر ؟

أسئلة تردد على خواطر المشركين ، وفي النهاية يرون أن المتعة المادية أفضل من متعة معنوية وأن التمسك بالمشاهد أضمن من

الجرى وراء الغـايب . فتغلب عليهـم شقـوتهم ويتشبثـون بـالمادي المحسوس ويكفرون بوعد الله ووعيده .

إن الدعوة إلى الإيمان بـاليوم الآخر يعني الوقـوف بين يدي الله للحسـاب . فكيـف يقف أولئك المستكبرون المتجبرون صـاغـرين أمـام اللـه تعالى ليحـاسبـوا على كل عمل صغيرا أو كبيراً كل هـذه الاسباب جعلت المشركين يتعـامون عن هذا النداء ويصـدون دعوة الرسـول عليه السـلام بكل ما أوتـوا من وسائل ليثنـوه عما يدعـوهم إليهم .

قـامت دعـوة الـرسـول ﷺ بين الناس تغرس فيهم مبدأ البعث والحسـاب وتبين لهم أنها مطلب فطـري ، حيـث إن الانسـان تتـوق نفسه إلى معرفة مصيره كما عرف مبدأه .

وكثيرا ما يتساءل عن المعاد ؟ عن العدل الالهي ؟

أسئلة كثيرة تتوارد على البـال لا يجد لها الانسان جوابا شـافيا إلا في ظل عقيـدة التوحيـد الذى رفع رايتهـا الداعيـة المعلم والرسـول المربي محمـــد بن عبـد اللـــه ﷺ مؤيدا بالوحي من الله تعالى يسدد خطـاه ويقـــوى محبّـه فـــالايمان بـالبعث والجزاء ركـن في الاعتقـاد الصحيح وضرورة حتميـة لإقـامة بنـاء المجتمع الاسـلامي السـوي يسوده العدل والتعاون بين أفـراده الذين يقيمون مسلكهم على مبدأ البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال .

ج ـ تزكية النفس :

النفس الزكية الطاهرة هي التي تضمن لصاحبها أداء العبادة صحيحة ، وترقى به إلى السمو الإنساني .

أما النفس الدنيئة المدنسة بأوحال الرذيلة فهي النفس المكبلة بأرجاس المعاصي والانحرافات .

لايقر لها قرار ولا يستقيم لصاحبها رأي ، فهي إلى الانطماس أقرب ، وإلى الموت أسرع .

عُرف العرب قبل البعثة النبوية بالوثينة ، وولد محمد ﷺ في مجتمع يدين بالشرك ، وفتح عينيه على أقوام تخضع رقابهم للأصنام . شهواتهم جامحة ، وغرائزهم ثائرة ، وعقولهم ضعيفة .

قوم يأكلون الميتة ، ويأتون الفواحش ، ويئدون البنات ويعكفون على الأصنام .

فجاء الرسول ﷺ داعية إلى تزكية النفوس والتحلي بمكارم الاخلاق .

قال الله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

(الجمعة / ٢)

وقال أيضا :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

(آل عمران ١٦٤)

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

سعى عليه الصلاة والسلام في دعوته إلى تطهير النفوس من الرذائل ليعيدها إلى النقاء والطهر وليصبغها بصبغة الإسلام كان عليه السلام يجهد نفسه لإقناع الناس أن أمر هذا الدين لايقوم على النفوس المريضة ولا يستقيم في القلوب العليلة .

إنما الدين صفاء ونقاء ، ووحي يتنزل من السماء يشفي الناس من أمراضهم ليهبهم الصحة والعافية وسلامة الاعتقاد وحسن السلوك .

كان عليه السلام ينشر مبادىء الفضيلة بين الناس برفق ، ويأخذهم باللين ، ليضع البلسم على الجروح ، ويحيي موات القلوب ، ويزيل غبار الآثام عنها ويرفع غشاوة الضلال عن الأبصار .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

(الانعام ١٥١)

فـدعـوة الـرسـول ﷺ تجعل الأخلاق ركنا لازما لأن صحة المجتمعات وعافيتها تعد من أولويات المهمات في مجال الدعوة لكل رسـول وداعية بحيث لا يفلح إلا من زكت نفسـه وطهـرت سريرتـه وحسن عمله.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (الشمس ٩)

ونفس الإنسان تفقـد الرؤية الصحيحة اذا انسـدت مسالكها ، واعتلت وسائلها ، وانطمست معالمها ، وبقدر انغماسها في الضلال تتسع الهوة بينها وبين الهدى والرشـاد ، ويتسع الخرق فيعجز الراتق على إصلاحه .

وقد حاول الرسول ﷺ إعادة كبراء قريش إلى صوابهم . واجتهد مـرات عـديـدة ليردعهم عن غيهم ، فلم يتم لـه ذلك لأن هـؤلاء الناس قد عميَت بصائرهم ، وفقـدوا وسائل المعرفة بسبب شططهم في الفاحشة فلا تنفعهم الآيات والبراهين .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

(يونس ١٠١)

كما عبر القرآن الكريم عن هذا الصنف من الناس بقوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

(الانعام ٢٥)

أمـا النفس التي لم تنطمس معالمهـا وبقي فيها بصيص من نـور فإن الهدى يصل اليها وتبدى استجابة لدعوة وطاعة امر الله تعالى .

والله تعالى يقول لرسوله الكريم :

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾

(النازعات ٤٥)

ويقول أيضا :

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

(الانعام ٥١)

إشارة إلى أن ذلك النور ولو كان بـاهتا كفيل بأن يعيد الفطرة إلى أصلها وينمي في النفس الشعور الصادق بالله الواحد الأحد .

أمـا النفس الزكيـة فيكـون تلقيها للحق وقبـولها للـدعوة سهـلا ميسرا وارتقاؤها إلى معالي الأمور مطلبا ورغبة .

كان ﷺ يدعـو الناس إلى التوحيد وفي نفس الـوقت كان يحارب الرذيلة وينهي عن الفحشاء والمنكر .

قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبته أمام النجاشي :

« كنـا قـومـا أهل جـاهليـة نعبـد الأصنـام ونـأكل الميتـة ونأتي الفـواحش ، ونسيء الجوار ، ويأكل القـوي منـا الضعيف » وهـذا

الكلام يعبر عن حالتهم في الجاهلية . ثم قال :

« قد دعانا ـ أى الرسول ـ إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وإباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، أمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء وقذف المحصنات »

وهو بيان للدعوة إلى تزكية النفوس من أرجاس الجاهلية .

وكان الداعية الأول للناس عليه الصلاة والسلام يعلم يقينا كما علمه ربه أن هذا الدين لا يقوم على النفوس المريضة والعقول الزائغة .

فلابد إذن لتكوين شخصية متكاملة الجوانب من عقيدة تقوم على التوحيد وتزكية النفوس ، تجعل الأخلاق مطلبا وأساسا وهدفا في عصر غلبت فيه الماديات وانطمست الفطرة وانتشرت المغريات والفتن .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الاسراء ٩)

(٤) ـ وسـائلها :

أ ـ القدوة الحسنة :

من الوسائل المهمة جدّا والتي كانت متوفرة لدى رسول الله ﷺ في تبليغه الدّعوة إلى الله تعالى وجذب الناس إلى الإسلام سيرته الطيبة في كل مراحل حياته .

وقد عرف الدّاعية محمد ﷺ بأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الرفيعة الزكية قبل البعثة وبعدها ممّا أهله ليكون قدوة طيبة وأسوة حسنة للناس .

وهذا ما أكدّه القرآن الكريم وقدّره بقول الله تعالى .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(٢١ الأحزاب)

هكذا كان رسول الله ﷺ المثل الأعلي والقدوة الكاملة في كل شؤون حياته ومراحلها فقد كان ﷺ شابا ووالدًا وأخا وزوجا وجارًا وصاحبا وقائدا وفاتحا ومهاجرا ومضطهدا ومطاردًا وتاجرا وقاضيا ، كان في كل هذه المراتب على اختلافها واختلاف أنواعها هو هو لم يتغير من البداية إلى النهاية ، وكان مثالا للإنسان الكامل ثابتا على العهد لم يتغير أسلوب معيشته فإذا عمّ الرّخاء كان منه السخاء والعفو والشهامة والمروءة ، وإذا ظهرت الشدة صبر واحتسب ودعا إلى كل ذلك بقوله وفعله فزكاه الله تعالي بقوله :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

(٧ الحشر)

وقد أكدّ رسول الله ﷺ في كثير من مواقفه على أن الدّاعية الموفق والناجح هو الذي يهدي إلى الحق بأفعاله .

قال ﷺ : « صلوّا كما رأيتموني أصليّ .»

(البخاري)

ليعطيى بذلك المثل الحيّ للمبادىء التي يعتنقها ويؤمن بها ويدعو إليها من خلال أقواله وأفعاله

فأفعاله ﷺ مطابقة لأقواله . وقد حذّر المولى تبارك وتعالى المسلمين أن تخالف أقوالهم أفعالهم بقوله عزّ وجلّ :

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(٦١ ـ الصف)

فإن للسيرة الزكية العطرة للدّاعية محمد ﷺ أثراً كبيرا في تصديقه والإيمان بما يدعو إليه مما حدا بخديجة بنت خوليد رضى الله عنها أن تؤمن به وتصدقه منذ نزول أول وحي عليه في غار حراء بقولها :

« أبشر والله لن يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرّحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتعين على نوائب الدّهر »

وروي أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال له : من أنت ؟

قال ﷺ : أنا محمد بن عبد الله

فقال الأعرابي : أأنت الذي يقال عنك أنك كذّاب ؟!

فقال : أنا الذي يزعمونني كذلك .

فقال الأعـرابي : ليس هذا الـوجه وجـهَ كذّاب مـا الذي تـدعو إليه؟

فذكر رسول الله ﷺ ما يدعو إليه من أمور الإسلام .

فقـال لـه الأعرابي : آمنت بـك وأشهد أن لا إلـه إلا اللـه وأنك رسول الله ...

فالأعرابي بفراسته علم أن هذا الوجه المشرق والمنير لا يمكن أن يكون إلاّ من أهل الصدق والأخلاق الكريمة فصدّقه فيما يدعو إليه

فأعمال الرسول ﷺ الصّالحة هي التي تجذب إليه الأفئدة وتجمع عليـه القلوب وهي السرّ في نجـاح دعوتـه في كل مـراحلها لأنـه لا يأمــر بفعل إلاّ إذا قــام بـه أولا حتى تعــوّد المسلمــون على ذلك وأصبحوا يقلدّون الرّسول ﷺ في كل عمل يقوم به .

ويوم صلح الحديبيـة امتنع الصحابة أول الأمـر عن نحر الهدي وحلق الرأس ولما أشـارت أم سلمة رضي الله عنها على الـرّسول ﷺ قام كل الصحـابة يقتـدون بالـرّسول ﷺ فيما يـدعوهم إليـه ينحرون ويحلقون .

وعند أدائه ﷺ لمنـاسك الحج أمـر المسلمين بتقليده واتبـاعه في كل عمل يقوم به بقوله عليه السلام .

« خذوا عنّي مناسككم » (النسائي) .

فأصبح كل حاج يقتدي برسول الله ﷺ في كل أعماله حتى وإن لم يجد لها تفسيرا لأن أفعاله ﷺ نوع من أنواع الوحي ولذلك قبّل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحجر الأسود بسنته عليه السلام وأكدّ ذلك بقوله :

« والله لو أنني لم أر رسول الله يقبّلك (أي الحجر الأسود) ما قبّلتك . »

ب ـ التعليم والتربية :

حرص رسول الله ﷺ في بداية دعوته أن يتجنب مواقف الاصطدام بينه وبين قومه فاختار له ولأصحابه مكانا منعزلا عن الناس هو دار الأرقم بن أبي الأرقم (أحد السبّاقين إلى الإسلام)

وكانت داره على مقربة من الصفا ليجتمع فيها بأصحابه يعظهم ويرشدهم ويصليّ بهم ويتلو عليهم ما أوحي إليه من آيات القرآن الكريم وعلمهم كيف يطبقون مبادئها في حياتهم .

فكانت تلك الدّار مسجدا للعبادة ومدرسة للتعليم والتهذيب مديرها والمدرّس والمعلمّ فيه الدّاعية محمد ﷺ.

واستمر الحال على ذلك نحو ثلاث سنين في سرّية مطلقة وعدد المسلمين يزداد شيئا فشيئا حتى بلغ عدد الذين أسلموا من الرّجال والنساء نحو الأربعين . .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه إذا حصلت استجابة وقبل المدعو الدّعوة إلى الله تعالى وهداه الله وشرح صدره إلي الإيمان فإن

الدّاعيـة محمدا ﷺ يتعهده بما يكفـل له المناعـة ضدّ الشرك ويبصّره بمعـالم الـدّين الجديـد ويثبته عليـه وذلك بتعليمـه معـالم الإسـلام ومعانيـه وأفكاره للقضاء التّـام على براثن الجاهليـة التي قد تبقى في نفـوس بعض المدعـوين مـن آثـار الشرك بأنـواعـه أو التعـرّض إلى الانتكاس والرّجوع والارتداد .

وكان ﷺ يعهد إلى بعض الصحابة السابقين إلي الإسلام بتعليم من أسلم حديثا بقوله عليه السلام:

« فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن »

وكـان ﷺ يوصي كل من يـدخل في الإسـلام ويتعلم معانيـه أن يعلمها لغيره من المسلمين الجدد ..

ومـا يـدلّ على حـرص رسول اللـه ﷺ على تعليم النـاس أمـور الإسـلام مـا رواه أبو رفـاعـة تميم بن أسيـد رضي الله عنـه قـال : « انتهيت إلى رسـول الله ﷺ وهو يخطب فقلـت : يا رسول اللـه رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يـدري ما دينه ؟ فأقبل عليّ رسول الله وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتي بكـرسي فقعد عليه وجعل يعلّمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتمّها .

فإن مثل هذه المواقـف تدّل دلالة واضحـة على حرص الـدّاعية محمـد ﷺ علي تعليم مـدعـويـه وحثهم على تعليـم غيرهم من المسلمين لأن كتمان العلم إثم لا يجيزه الشرع لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ

لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾

(١٥٩ البقرة)

وأكدّ على ذلك رسول الله ﷺ بقوله :

« من كتم علما ألجمه الله بلجام من النا ر يوم القيامة »

ولم يكن رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه فحسب بل كان يهتم بتربيتهم إلى جانب تعليمهم إذ لا يكتفي ﷺ بتعليم المستجيب لدعوة الله معاني الإسلام بل لابد من حمله على العمل بها وتعديل سلوكه بموجبها ومقتضاها .

وهذا هو المنهج الذي سلكه رسول الله ﷺ في دعوته والشواهد علي ذلك كثيرة منها :

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

« كان الرّجل منّا إذا تعلمّ عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن »

وقال أبو عبد الرحمن السلمي :

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

هكذا علمّ رسول الله ﷺ أصحابه ورباهم على العمل بما تعلّموه منه وبيّن لهم في مواضع عديدة أن الذي يتعلم ولا يعمل بما

تعلمّ يكون عرضه للانزلاق عند أول فتنه أو امتحان أو إغراء .

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

(١١ الحج)

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بذلك وتميّزت دعوته في الفترة المكية بالتربية على معاني الإسلام وفقه أصوله العظيمة وكان من نتائجها أن صفت نفوس الصحابه الكرام وامتلأت قلوبهم بحقائق الإسلام وصاروا طليعته وكتيبته المظفرة ومكنتهم تلك التربية من تحمّل ما لا يطيقه غيرهم من المحن في سبيل الله ونصرة دعوة نبيهم محمد صلوات الله سلامه عليه .

ج ـ الترغيب والرهيب :

والترغيب هو الحث على فعل الخير وعلى أداء الطاعات والاستقامة علي أمر الله تعالى ، وهو المسلك الذي اتبعه رسول الله ﷺ منذ بداية دعوته وكان يتلو علي المدعوّين آيات قرآنية فيها وعد من الله بالجنة وترغيب فيها تأمرهم بطاعة الله وتذكرهم بنعمه التي لا تحصى وهو الخالق من عدم والمطعم من جوع والكاسي من العرى .

قال تعالى :

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾

(٧٥ ـ ٨٢ الشعراء)

ورغم أن هذه الدّعوة من نبي الله إبراهيم عليه السلام إلاّ أنها تتفق ومنهج الرسول محمد ﷺ في دعوته .

فالترغيب إذن هو كل ما يشوّق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه .

في حين أن الترهيب هو عكس ذلك تماما ويعنى كل ما يخيف ويحذّر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله .

فكما تقاد النفس البشرية عن طريق الرغبة فإنها تقاد عن طريق الرّهبة لتكفّ عن الرذيلة وتندفع إلي الفضيلة خوفا من مغبّة التراخي أو التفريط .

والترهيب لا يكون دائما بالتخويف فقط بل بإبراز المعاصي وما فيها من فساد قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾

(٣٢ الإسراء)

وبالإسلوب نفسه حرّم الله تعالى شرب الخمر بقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

(٩٠ ـ ٩١ المائدة)

ومن وسائل الترهيب أيضا بيان الداعية خطر المعصية على المدعو نفسه وعلى إيمانه وبيان ضررها الذريع في جسمه أو على أهله وولده ومكانته .

قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾

(٣٠ الشورى)

ومن فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن أرجأ العذاب الأكبر للآخرة حتى تكون فسحة يهتدي فيها الضال ويستغلها للتوبة خوفاً من العذاب العظيم يوم القيامة .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(١٣ الزمر)

ولكن قد يحل العذاب على العصاة في الدنيا وقد تساءلت أم المؤمنين زينب بنت جحش وقالت : أنهلك وفينا الصالحون (أي في

الدنيا) قال ﷺ : نعم إذا كثر الخبث .

ذلك هو الأسلوب الذي استعمله رسول الله ﷺ في مراحل دعوته يرغبّ في الجنة ونعيمها الخالد ويرهّبهم من النّار وعذابها الدائم مستعينا بالقرآن الكريم وما فيه من تبشير بالجنة وتحذير من النار وهو النهج الذي التزم به ﷺ في دعوته حيث رغب المدعوين في نيل مرضاة الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة وفي الآن نفسه رهبّهم وخوفهم من غضب الله وشديد عقابه .

ومن الآيات الدّالة على ذلك قوله الله تعالى :

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾

(٩ ـ ١٠ التغابن)

وقال جلّ وعلا :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾

(١٢ محمد)

وإيمانا بالوعد والوعيد اللذين بيّنهما رسول الله ﷺ عن طريق الترغيب والترهيب تعرّض في سبيل الدعوة والإسلام ـ كثير من

المدعوين إلي التعذيب والاضطهاد أمثال بلال بن رباح وخباب بن الأرت وآل ياسر ..

وقد مرّ رسول الله ﷺ على آل ياسر وهم يعذّبون وهو عاجز عن رفع الأذي عنهم ولكنه كان يبشرهم بالجنة ويرغبهم فيها بقوله عليه السلام :

« صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة »

(أخرجه ابن هشام فى السيرة ص٣١٩)

وفي المقابل توعدّ ﷺ أتباعه ومدعويه وأمرهم بخمس أمره الله بهن للمحافظة علي كيان الجماعة المسلمة ومواصلة الدّعوة مسيرتها فقال عليه السلام :

« وأنا آمركم بخمس الله تعالي أمرني بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلاّ أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو في جهنم .»

(الترمذي)

وبهذا الأسلوب الدّعوي كسب رسول الله ﷺ أنصارًا عديدين من مكة وخارجها .

فعند العقبة ولما التقي رسول الله ﷺ بوفد من يثرب ولما بايعوه والتزموا بتعاليم الإسلام التى دعاهم إليها رغبهم بقوله عليه السلام :

« فإن وفيتم فلكم الجنة »

ومن الموضوعات التي اهتم بها الداعية محمد ﷺ واستعمل فيها أسلوب الترغيب والترهيب نبّه مدعويه إلى عدم تفضيل الدنيا على الآخرة ودعاهم إلى التوسط والاعتدال فيها وذكّرهم بقول الله تعالى :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾

(٧٧ ـ القصص)

وبما أن النفس البشرية تتعلق بالدنيا أكثر لإغراءاتها وشهواتها المتعددة وحتى لا يركن إليها المرء ويتعلق بها لينسى الآخرة فإن الرسول ﷺ حذّر المسلمين من ذلك ونبّههم إلى خطورة هذا الأمر وذلك بالرّجوع إلى القرآن الكريم وقول اللهتعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(٢٤ يونس)

وقوله جلّ وعلا :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾

(٢٠ الحديد)

وقال ﷺ محذرا من الدنيا وإيثارها على الآخرة :

إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء .

وأكدّ الرسول ﷺ على هذا الأمر بقوله :

« اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة »

وحتى تصغر الدنيا في عين مدعويه هوّن الرسول ﷺ من شأنها وقارنها بالآخرة بقوله :

« ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما جعل أحدكم إصبعه في اليمّ فلينظر بما يرجع »

تلك هي الوسائل التي ركزّ عليها رسول الله ﷺ في دعوته إلى الله تعالى ، فكان المثل الأعلى الذي يحتذي به في كل ما يقوم به أو يأمر فعلمّ مدعويه ورباهم وكوّن منهم رجالا شهد لهم المنصفون بأنهم فرسان بالنهار رهبان الليل وامتدحهم الله بقوله :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

(٢٩ الفتح)

زهدوا في الـدنيا وتعلقـوا بالأخـرة فكانـوا إذا مرّت بهم آيـة فيها وعيد بكـوا وجلا من الله تعالى وإذا مـرّت بهم آية فيها وعد بـالجنة تعلقــوا واستبشروا بها وعملـوا بمقتضــاهــا راجين رحمة ربهّم غير مستكثرين لأعمالهم مستزيدين من بـرّهم وطاعتهم آملين في ترغيب وتبشير نبيّهم خـائفين مـن تـرهيب داعيتهم عليــه أفضل الصـلاة وأزكي التسليم .

(٥) ـ دعوة الرسول ﷺ لأقاربه :

بعث الانبياء والمرسلون عليهم السلام دعاة إلى الله تارك وتعالى يدعون الناس إلى الهدى والرشاد على بصيرة وعلم .

وقد سدد الله خطاهم وأمدهم من فيضه الراني ما جعلهم دعاة ناجحين يمثلون النموذج المثالي والأسوة الحسنة للناس المدعويين في الاعتقاد والقول والعمل والخلق الكريم .

وكان من منهج الرسل في دعوتهم أن يبدأوا بأقرب الناس إليهم لشعورهم بالمسؤولية المباشرة ازاءهم .

فهذا إبراهيم عليه السلام يوجه الدعوة إلى أبيه آزر ، ثم يتعدى بعلمها إلى سائرأفراد عشيرته فيأمرهم بنبذ الاصنام ويدعوهم إلى توحيد الله الواحد الديان .

كما حرص نبي الله يعقوب عليه السلام على دعوةأبنائه إلى التوحيد وكذلك لقمان الذى يأمرابنه بالتوحيد ويحذره من الشرك .

وعلى نفس الدرب سار محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام بدأ بدعوة زوجته خدجة رضي الله عنها فاستجابت وأسلمت ، أصغت إليه وهو يحدثها الذي رأى من أمر الوحي فاجابته قائلة :

« أبشر يا ابن عم وأثبتت فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة » .

ثم توجه عليه الصلاة والسلام إلى من كان تحت رعايته يدعوهم إلى الدين الجديد . فدعا زيد بن حارثة فأسلم ، ثم دعا علي ابن أبي

طالب فآمن به وصدقه . فكان عليه السلام إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب فيصليان فيها فإذا أمسيا رجعا .

كما توجه رسول الله ﷺ إلى عمه أبي طالب وأقرب الناس إليه راجيا هدايته قائلا له :

« أي عمّ ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم ، بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى » .

غير أن أبا طالب أجاب ابن أخيه برفق فقال : أى ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يُخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت .

فلم يسلم أبو طالب ولكنه انحاز إلى جانب ابن أخيه ووعده بالدفاع عنه في مسيرته هذه وبعد انقضاء فترة من الزمن ورسول الله ﷺ يتصل بخاصة أقربائه وصفوة أصدقائه يدعوهم إلى الدين الجديد ويستوثق منهم أن لا يفشوا أمره ، ويربيهم في السرّ ، ويُعدُّ بهم القاعدة الاولى للدعوة في تكتم وتخف شديدين خشية إجهاضها وهي في المهد .

في هذه الأثناء جاء الامر الرباني من السماء يقول لرسول الله عليه السلام ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

(الشعراء ٢١٤)

إن المسؤولية مع الأقربين تتعاظم ، فهم أقرب الناس إليه ، وألصقهم به ، وجلبهم إلى صفة تقوية له ، وحصن لدعوته ، ففي حال اسلامهم وتصديقهم بما جاء به من ربه كسب كبير ، بحيث يضيف إلى قرابة النسب رابطة العقيدة .

وإذا لم يؤمنوا به وأعرضوا عن دعوته يكون عليه السلام آنذاك قد أقام عليهم الحجة أمام الناس بحيث لا يستطيع أحد أن يأتيه من هذا الجانب .

وتمتينا لهذه الرابطة ، وزيادة في القرب من المدعويين من أقاربه دعاهم إلى وليمة صنعها لهم .

روي ابن الاثير قال : قال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم لما أنزل الله على رسوله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

(الشعراء ٢١٤)

أشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا ، فجلس في بيته كالمريض ، فأتته عماته يَعُدنه فقال : « ما أشكيت شيئا ولكن الله أمرني أن أنذز عشيرتي ، فقلن له : فادعهم ، ولا تدع أبا لهب فيهم فانه غير مجيبك فدعاهم فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف فكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فبادره أبو لهب وقال : هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم ودعاة الصباة ، واعلم أنه ليس بقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، نحسبك بنى أبيك ، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثبت بك بطون قيش وتمدهم العرب ، فما رأيت أحدًا جاء علي بني أبيه بشر ما جئتهم به .

فسكت عليه السلام ولم يتكلم في ذلك المجلس ، ثم دعاهم ثانية وقال : « الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : « إن الرائد لا يكذب أهله »

والذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة .

والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ... وإنها للجنة أبدًا أو النار أبدًا .

فقال أبو طالب : ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك ، وأشدَّ تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وإنما أنا أحدهم غير أنى أسرعهم إلى ما تحب ، فامض إلى ما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على مارقة دين عبد المطلب .

فقال أبو لهب : هذه والله السوأة . خذوا على يديه قبل أن يأخذكم غيرُكم .

قال أبو طالب : والله لنمنعنّه ما بقينا .

كان رسول الله ﷺ في دعوته لأقاربه يتوجس خيفة من ردود الفعل عل ما يدعوهم إليه حيث إنه لم يجرؤ المرة الأولى على مخاطبتهم ، لكنه في المرة الثانية صدع بالقول في كلمات مختصرة بليغة تحقق المقصود بعيدا عن المقدمات الطويلة ، والتلميحات

البعيدة ، بل قال عليه السلام ما يريد في كلمات توضح مبادىء دعوته وتبين هدفه بأدب رفيع ، وخلق كريم يأخذ بقلوب سامعيه .

كيف لا والله تعالى بعثه ليكون للناس أسوة حسنة وقدوة عظيمة وبهذ السلك الرفيع اجتمعت العرب حوله ، واستجابت لدعوته والله تعالى يقول :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

حدث رسول الله ﷺ أقاربه عن توحيد الله ودعاهم إلى نبذ الاصنام ، وانذرهم ، وبشرهم ، فسكت البعض ، وغمغم آخرون بكلمات الرضا في صدورهم ، ولم يخرجوها خشية العاقبة وصرح أبو طالب بأن محمد صادق وكانت الورقة الخاسرة في هذا اللقاء أبو لهب الذي تصدي للرسول ﷺ بكل عنف .

أما الشق الأول من الأقربين ومثله أبو طالب فقد كسب رسول الله جانبه بالتأييد أو على الأقل بالحياد . وهذا كسب ثمين ما كان ليتصور محمد ﷺ حصوله بهذه السرعة .

أما الشق الثاني وقد تفرد به أبو لهب وحمل وزره فيتمثل في العداء المقيت لدعوة محمد عليه السلام والإصرار على المواجهة والمحاربة والإيذاء .

ومن هنا علم رسول الله ﷺ أن دعوته لن تجد الطريق مفروشا

بالورود . وعليه أن يشمّر على ساعديه ويستعد لتحمل تبعاتها التى لا يعلم حجمها إلا الله .

كما علم عليه السلام أن هذه الدعوة صائرة إلى النصر والتمكين لثقته العظيمة في ربه ولما لمسه من نتائج مشجعة في أول مناسبة للاصلاح بالدعوة .

دعا رسول الله ﷺ أقاربه إلى وليمة جريا على الاعراف المحمودة في المجتمع العربي المتمثلة في أكرام الوافد على البيت ، ومحاولة لكسب قلوبهم وتطيب خاطرهم .

وأكرام الضيف وحسن استقباله خلق كريم درج عليه العرب واستحسنه الناس وحمده الإسلام . ومنا يكون رسول الله ﷺ قد دخل البيوت من أبوابها وسلك منهج الدعوة من دربه الصحيح .

وبدعوة الرسول عليه الصلاة والله لأقاربه خطا خطوة إلى الأمام ، وخرج بالدعوة من الاتصال الفردي والسرية والتخفي إلى إعلانها علي رؤوس الملأ . وبذلك يكون مجال الدعوة قداتسع وهمومه حتما ستزداد ، ولكل عمل استُعداد ولكل مواجهة عدتها.

(٦) ـ دعوة بطون قريش :

أمر الله رسوله ﷺ أن يبدأ بإنذار عشيرته قال الله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

(الشعراء / ٢١٤)

ولم يكتفِ المولى سبحانه بعموم أمره بالصدع بالحق في قوله :

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾

(الحجر / ٩٤)

رغم أنه يشمل أفراد عشيرته وذوي قرباه فما حكمة خصوصية الأمر بإنذار العشيرة ؟

إن البدء بإنذار الأقربين علامة صدق الداعية في دعوته وعلى جديته فيها ، وفي ذلك إلماح إلى درجة المسؤولية ، فالداعية مسؤول عن نفسه في درجة أولى ثم هو مسؤول عن أهله ومن لاذ به من قرابته . فعليه أن يعطي دعوة العشيرة جزءا من وقته وطاقته .

إن الإنذار الخاص لا ينافي الإنذار العام بل هو عنصر من عناصره . قال الله تعالى آمرا محمدا بالدعوة العامة :

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

(الأنعام / ٩٢)

وقال عز وجل :

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾

(يس / ٦)

وبمناسبة قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾

(الحجر / ٨٩)

ورد عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال :

« إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتي قومه فقال : ياقوم إني رأيت الجيش بعيني وأني أنا النذير .. فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم فأجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق »

وقد استجاب محمد ﷺ لأمر ربه فدعا أولا بني هاشم ونفرا من بني عبد مناف فأفسد عليه عمه أبو لهب محاولته الأولى فدعاهم ثانية وخطبهم فقال « الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال : « إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلي الناس عامة ..» فقال له عمه أبو طالب : «ما أحب إلينا معاونتك .. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون .. فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب» .

وواصل النبي ﷺ تبليغ الدعوة فصعد يوما على جبل الصفا ونادي (ياصباحاه) فاجتمع إليه بطون قريش ما بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله لينظر ما هو ؟

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ دعا فعمّ وخصّ فقال : « يابني عبد المطلب ، يابني فهر ، يابني لؤي ، يابني عدي ، يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار .. فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها « أى سأصلها بصلتها ».

وقد بيّن الرسول ﷺ بهذه الدعوة وهذا البلاغ لأقاربه ولبطون قريش : « بني هاشم وبني الحارث وبني عبد شمس وبني زهرة وبني تيم وبني مخزوم وبني جمح وبني سهم وبني عبد الدار وبني المطلب وبني عدي وبني نوفل » بين لهم جميعا أن التصديق برسالته هو الصلة بينه وبينهم ولا تنفع عصبية القرابة .

وقد استمر عليه السلام يدعو إلى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا لا بصرفه عن الدعوة صارف يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم والأسواق يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وفقير وغني .. فأنضم إلى الدعوة روافد جديدة من بطون قريش رفعت الرصيد إلى ثلاثمائة مسلم بين رجل وامرأة رغم محاربة قريش للدعوة .

إن لبدء الرسول بدعـوة الأقارب والعشيرة حكما جليلة منها : أن مواجهة الناس تعرض الداعية والـدعوة للخطر ولابدّ له من حماية ، وعشيرة الداعية أكثـر الناس استعدادا لحمايته فبنو هـاشم وبنو عبد المطلب أولى أهل مكـة بإعلامهم بالـدعوة الجديـدة قال اللـه تعالى على لسان قوم شعيب :

﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ ﴾

(هود / ٩١)

لقد كـان محمد وصحبـه حريصين على إنقاذ أهلهـم من عذاب النـار لذلك مضـوا إلى المحـافل يبلغـون الدعـوة وينـذرون كل من لقيهم ويتـواجدون في الكعبـة يتصلون بالـوافديـن عليها يعـرضون مبادىء دينهم ويغشون نوادي قريش يتصلـون بأهل مكة يوضحون لهم معالم الإسـلام دون اصطدام معهم والتزموا عـدم التعرض لآلهة قريش ، وركزوا على ذكر محاسن الإسلام وبخاصة :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله »

(٧) ـ أوائل من أسلم :

منذ أن بدأ رسول الله ﷺ دعوته اتصل بأقرب الناس إليه وأحبّهم إلى قلبه ودعا أعزّ خلصائه وكان متيقنا أنه حتى وإن لم يؤمنوا به لن يخذلوه ولن كشفوا سرّه للأعداء فآمن بدعوته كل من :

(١) **خديجة بنت خويلد** : زوجته ومكمن سرّه ، أول من أسلم ، آمنت به بلا تردّد وصدقت بما جاءه من الله تعالى من أول وهلة آزرته عل أمره فكانت له المعين تثبته وتشحد عن عزيمته وتخفّف عنه وتهوّن عليه أمر الناس وما يلقاه من ردّهم وتكذيبهم . فكانت رضي الله عنها مثالا للزوجة الصالحة التي تهيء لزوجها الدّاعية كل الظروف التي يحتاج اليها لنجاح دعوته واستمراريتها ويحق لها أن تبشر ببيت في الجنة .

قال رسول الله ﷺ :

«أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب[١] لا صخب فيه ولا نصب[٢] » .

(٢) **علي بن أبي طالب** : أول من أسلم من الفتيان آمن بالرّسول محمد ﷺ وبدعوته إلى الله تعالى وكان سنه آنذاك حول العاشرة .

كان يعيش مع النبي ﷺ في بيته فلاحظ أن رسول الله وزوجه خديجة يصلّيان صلاة خاصة فسأل الرّسول عن ذلك فأجابه بقوله

---

(١) القصب : اللؤلؤ المجوّف .
(٢) سيرة ابن هشام ج ١/ ٢

عليه السلام :

« هذا دين اللـه الذي اصطفي لنفسه وبعث به رسلـه ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى .

فقـال علي : هذا أمـر لم أسمع به قبل اليـوم فلست بقاض أمـرا حتى أحدّث به أبا طالب .

ٌ فمكث ليلة يفكرّ فيما رأى وسمع من رسول الله ﷺ فأوقع الله فى قلبـه الإسـلام وفي الصبـاح قـدم على رسـول اللـه ﷺ لينطق بالشهادة ويكفر باللات والعزى.

ٌ وكتم علي إسـلامـه ولم يظهره ومكث يأتي رسـول اللـه ﷺ على خوف من أبيه أبي طالب ويخرج معه إلى الشعاب لأداء الصلاة .

(٣) **زيد بن حارثة** : أول من أسلم من الموالي كان زيـد رقيقا ، اشترته خديجة ووهتـه إلى زوجها محمد ﷺ ليكون خادمـا له ومطيعا فأحسن معـاملته أيمّا إحسـان ولما عثـر عليه أبـوه بعد طـوال بحث وانتظار طلب من محمـد ﷺ أن يردّه إليـه فخير الرسـول الغلام بين البقاء أو الـرجوع مع أبيه فـاختار صحبة رسول اللـه ﷺ لما رأى فيه من سماحة ولطف وفطرة وطهارة نفس وصدق حديث فقّر وقال :

« لقد رأيت من هذا الرجل شيئا وما أنا بالذي أفارقه أبدا » .

ٌ هكـذا اختـار زيـد أن يعيش رقيقـا في كنف محمـد ﷺ على أن يعيش في أسرته حرّا طليقا .

ٌ وحتى تقرّ عين أبيـه أعتقه محمـد ﷺ وتبنّاه وأشهـد الناس على

ذلك ليصبح هذا المولى فردًا من أفراد أسرة النبوة .

فإذا كـان هـذا رأي زيد في محمـد ﷺ قبل البعثـة فكيف يكـون بعدها .

ولمّا دعا الرسول ﷺ زيـدا إلى الإسلام استجاب وآمن ودخل إلي الإسلام مسرعا ولذلك عدّ من أول الناس إيمانا وإسلاما .

(٤) **أبو بكـر الصديق** : كان أبو بكر رضي اللـه عنه رجلا محبّبا في قـريش يألف النـاس ويألفـونـه ويجتمعون عنـده فيستمعـون إلى حديثه ومجلسه .

وكان عالما بأنساب قريش وأيـامها ملما بأخبار الناس وحوادث الدّهر ، وكان رجلا تاجرا يطوف بتجارته في الآفاق ، فزادته التجارة والسياحـة في البلدان علما وتجربـة . فكان مجلسـه مجلس أنس وعلم وتسلية وكان إلى كل ذلك لطيـف المعشر حلو الحديث ، وكان يحبّ رسـول اللـه ﷺ حبّا شيـد ، فما كـاد رسـول الله ﷺ يعـرض عليـه الإسـلام حتى أسلم وكـان إسـلامـه رضي الله عنـه إسـلام الـواثق المطمئن إلي صدق ما جاء به صاحبه لذلك قال فيه رسول الله ﷺ .

« ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلاّ كـانت عنده فيه كبوة [1] ونظر وتردّد إلاّ مـا كان من أبي بكر بن قحافـة ما عكم [2] عنه حين ذكرته له وما ترددّ فيه .

ولم يكتف أبو بكـر رضي الله عنـه بإيمانه بهذا الـدّين الجديد بل

---

(١) كبـوة : تأخر وقلة إجابة
(٢) عكم : تلبث

جعل يـدعو إلى الإسلام سرّا مـن كان يثق بـه من أصدقـائه وأحبائه من جلسائه فأستجاب له وآمن بدعوته كل من :ـ

٥ ـ عثمان بن عفان

٦ ـ الزبير بن العوام

٧ ـ عبد الرحمن بن عوف

٨ ـ سعد بن أبي الوقاص

٩ ـ وطلحة بن عبيد الله

وأعقب هـؤلاء النفـر التسعـة مجمـوعـة أخـرى من المسلمين الأوائل وهم :

ـ أبو عبيدة عامر بن الجرّاح

ـ أبو سلمة بن عبد الأسد

ـ الأرقم بن أبي الأرقم

ـ عثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله

ـ عبيدة بن الحارث

ـ سعيد بن زيد بن عمرو وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب

ـ أسماء وعائشة ابنتا أبي بكر

ـ خباب بن الأرت

ـ عمير بن أبي وقاص

ـ عبد الله بن مسعود

ـ مسعود بن القارىء

ـ سليط بن عمرو

ـ عياش بن أبي ربعة وامرأته أسماء بنت سلامة .

ـ خنيس بن حذافة

ـ عامر بن ربيعة

ـ عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد

ـ جعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس

ـ حاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المحلل

ـ حطاب بن الارث وامرأته فكيهة بنت يسار

ـ معمر بن الحارث .

ـ السائب بن عثمان بن مظعون .

ـ المطلب بن أزهر وامرأته رملة بنت أبي العوف

ـ نعيم بن عبد الله

ـ عامر بن فهيرة .

ـ خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف

ـ حاطب بن عمرو .

ـ أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة .

ـ واقد بن عبد الله

ـ خالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد الجليل .

ـ عمّار بن ياسر وأبوه وأمه سميّة

ـ صهيب بن سنان الروّمي .

(٨) ـ همـــوم الداعيـــة

أ ـ الإيـذاء والاضطهـاد :

الدعوة إلى الله تعالى مسؤولية عظيمـة أماطها الله تعالى بأعناق المرسلين والدعاة المخلصين .

وهي رسـالة خطيرة يـؤديها أولئك الـدعاة وينشرونها بين النـاس بكل صدق وإخلاص لإخراجهـا من الظلمات إلى النور ، وهي جزء من حياتهم لا يرون لعيشهم لذة إلا في رحابها ولا راحة إلا بأدائها .

والدعوة كذلك عمل تغييري يستهـدف تبديل عادات الناس ، بل يهز اعتقاداتهم التي ورثوها عن آبـائهم فيصلحها ، ويقوّم سلوك الناس بعد ذلك وفقا لمنهجها .

وبما أن الـدعـــوة تستهـدف الإنســـان في اعتقـاداتـــه وأفكـاره وسلوكيـاته وعـاداته وتقاليـده فإن طريقها مليء بـالمخاطـر محفوف بالمصاعب .

ولو تتبعنا سير المرسلين لوجدنـاهم مجاهدين في حياتهم يحملون أمانة الدعوة ليبلغوهـا إلى الناس ، ويتحملون في نفس الوقت انواعا من العنت وأشكالا من (الأذى) المفرد الأذيات .

قال تعالى مشيرا إلى متاعب الدعاة المرسلين :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ ﴾

(ابراهيم)

تعرض نوح عليه السلام إلى الصدود والإعراض ، كما تعرض لصنوف من السخرية والاستهزاء . قال له قومه :

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(هود ٣٢)

وقال تعالى :

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾

(هود ٣٨)

كما تعرض إبراهيم عليه السلام إلى أذيات شتى . هدده قومه بالحرق ونفذوا تهديهم لو أن نجاه الله منها .

قال تعالى :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾

(الأنبياء ٦٨)

وكذلك الأمر مع موسى وعيسى وسائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام .

وإذا كان كل نبي أو رسول تعرض لصنف من الأذيات ، فإن رسول الله محمدا ﷺ تعرض لكل الأصناف مجتمعة وتحمل همومها كاملة .

تعرض رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس لأنواع من الأذيات

وأصناف من التنكيل وقفت جميعها في طريق الدعوة الجديدة استطاع عليه السلام ان يواجهها بصبر وحكمة وثبات .

فقد سعي المشركون جادين في وضع منعطفات في طريق الدعوة الفتية ، أرادوا بذلك إيقاف نشاط رسول الله عليه الصلاة والسلام أو الحد من انتشار هذه الدعوة أو تأجيل نجاحها .

كما عملوا على توهين مساعيه وتثبيط عزيمته لعله يتوقف عن دعوته .

عارضوه ، واستكبروا على ندائه واصروا على عنادهم . فنزلت الأذيات على الرسول ﷺ كقطع الليل لايجد لها نهاية أو حدودًا .

كان عليه السلام يناديهم للإيمان بالله تعالى ونبذ الأوثان فيجعلون أصابعهم في آذانهم حتي لا يسمعوا النداء فكان عليه السلام يشعر بالأسي والحسرة لصدود قومه ويشتد عليه الغم حتى تأتيه السلوى من ربه .

يقول عز وجل :

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

(فاطر ٨)

وكان من أشد الأيام عليه أذى وحسرة وأسي أنه عليه السلام خرج يوما علي قومه يدعوهم فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وأذاه من الاحرار والعبيد ولم يستجب له .

ولما نشط عليه الصلاة والسلام في دعوته اشتد عليه أمر قريش ،

فأغـروا به سفـاءهم فكذبـوه وآذوه ورموه بـالشعر والسحـر والجنون والكهانـة وهو عليه السـلام مظهر لأمـر الله ينشر دعوتـه علنا غير مستخف بها .

قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾

(الزخرف ٤٩)

﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾

(ص ٣٨)

وقال عز وجل يدافع على رسوله الكريم وردّ أقاويل الكافرين

﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾

(الطور ٢٩/ ٣٠)

قال الكافرون إن هذا الذي يقرأه محمد ليس وحيا بل هو تقول :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الطور ٣٣)

كان عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الي التوحيد فيرغبهم فيه ، ويحذرهم من عـاقبـة الكفـر ، ويـلاطفهم بعبـارات رقيقـة ليتألف قلـوبهم، رغْمَ أن القوم يقابلونه بالجفاء ويغمزونه بكلمات جارحة وعبارات مؤذية .

كان زعماء قريش يوما جالسين في الحجر فذكروا رسول الله وقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط . سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا ، وسب آلهتنا . فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم ﷺ فغمزوه ببعض القول وكرروا ذلك . فوقف عليه السلام وقال :

« أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح »

فنزلت الكلمات علي رؤوسهم كالصاعقة ، وسكت الجميع ، فقام واحد منهم يهدئه ويسكنه ويقول : أنصرف أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا .

فانصرف ﷺ حتى إذا كان من الغد طلع عليهم يدعوهم فوثبوا عليه وثبةَ رجل واحد وعابوه ، وجروه من ردائه فقام أبو بكر مدافعا عنه وهو يقول :

« أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله »

وكان عليه الصلاة والسلام إذا جلس مجلسا يدعو الناس فيه ويتلو عليهم القرآن ويحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية خلفه في مجلسه النضر بن الحارث وقام بين الناس فحدثهم عن أساطير الأمم الخالية ليفسد على رسول الله دعوته ثم ينادي في الناس : والله ما محمد بأحسن حديث مني وما حديثه إلا أساطير الاولين أكتتبها كما أكتبها فأنزل الله تعالى قوله الكريم :

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان ٥)

وأنزل فيه أيضا :

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

(القلم ١٥)

وقد سعى المشركون إلى إذاية رسول الله ﷺ : رموا عليه سلا جزور [١] وجعلوا الأشواك في طريقه وحاول أبو جهل اغتياله .

قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا فقد أبى إلا ما ترون من عيب دين وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وأني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

وكان الامر كذلك لما كان من الغد وسجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره .

إن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا وقد قال لرسوله ﷺ :

(والله يعصمك من الناس)

تراجع عدو الله ليحكي لأصحابه قائلا : فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل

(١) كرش بعير .

قصرته [1] ولا نابه لفعل قط فهمّ بي أن يأكلني .

لم تكتف قريش بما ألحقته من أذيات برسول الله ﷺ بل سولت لها أن تحكم خطة للتخلص منه . فقد اجتمع طواغيت مكة في دار الندوة يدبرون الأمر . فاقترح بعضهم ان ينفي محمد من مكة فلا يدخلها أبدا وترتاح قريش من أمر هذا الرجل ورأى آخرون أن يوضع في قيود من حديد ويترك الجوع والعطش لا ينجده أحد حتى يموت وانتهى امرهم في الاخر إلى قتله .

قال أبو جهل : أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نيسيبا وسطا فتيا . ثم نعطى كل فتي سيفا قادما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ، ولا أظن بني هاشم يقوون على حرب قريش كافة فإذا لم يبق امامهم إلا الدية أديناها .

وينجي الله رسوله الكريم ونزل عليه آيات من القرآن الكريم تضمد جراحه وتخفف عليه ما ألم به من إعنات وإذاية .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

(الانفال ٣٠)

إذا يات تنزل برسول الله ﷺ لا يجد لها نهاية ولكن إيمانه بالله ويقينه بنصره كان أقوى من مكر الماكرين .

(١) القصرة ، أصل العتق .

لم يتــوقف البـلاء عنــد هـذا الحد بل ســارع طغـاة مكــة إلى المستضعفين من أصحـاب الـذين أسلمـوا يكلون لهم أصنـافـا من التعذيب وهـم صابرون ورسول الله ﷺ يتعهدهم ويسليهم ويغرس فيه روح النصيحـة والبذل والصمود من أجل هذا الـدين وقد ذهب إليه يـوما خباب بن الأرت يستنجـد به ويرجـو أن يدعو اللـه تعالى يفرج عنهم الكربة ويجل الهم والغمة .

قال خباب : شكونا إلى رسول اللـه ﷺ وهو متوسد بردَهُ في ظل الكعبة . فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال ﷺ : قد كان من قبلكم يؤخـذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيهـا ، ثم يؤتي بـا لمنشـار فيـوضع على رأسـه ، فيُجعل نصفين ، ويمشط بأمشـاط الحديد ما دون لحمـه وعظمه ما يصده ذلك عن دينـه ، والله ليتمنّ الله تعالى هذا الامـر حتي يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت . فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »

هموم جسام يحملها رسول الله في نفسه ومرارات يتجرعها وماذا عساه أن يفعل لأصحـابه امـام طغيان قـريش . ليس له ولاصحـابه سوى الصمود والاحتساب .

قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾

(آل عمران ١٧٣)

ب ـ حصار الشعب :

لماتبين لقريش أن تعـذيب الداخلين في الدين الجديـد لم يزدهم الا ثباتا سارعوا إلى كتابـة وثيقة المقاطعة وإخراج المسلمين من مكة إلى شعب أبي طالب .

كتبت قـريش الصحيفة لمزيـد الإذاية والتنكيل بشخص رسـول الله ﷺ .

تعاقدت قريش على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا يبـايعوهم ولا يجالسـوهم ، ولا يخالطـوهم ، ولا يـدخلوا بيـوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا اليهم رسول الله ليقتلوه .

كما تعاهـدوا علي ألا يقبلوا صلحـا ولا تأخذهم بهم رأفـة حتى يسلموه للقتل وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة .

فانحـاز بنو هـاشم وبنو عبد المطلب مـؤمنهم إيمانا واحتسـابا وكافرهم حمية وعصبيه إلى الشعب .

أما أبـو لهب فقد انحـاز إلى أصحاب الوثيقـة وعزم على متـابعة المسلمين والتضييق عليهم .

وكان يحضر المجـالس والاسواق وإذا رأى مسلما يشتري زادًا أو طعـاما لأهلـه غالي عليـه ومنع التجار من البيع لـه قائلا : يـامعشر التجار غالـوا علي أصحاب محمد حتى لايدركـوا معكم شيئا ، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن لا خسار عليكم .

أقام المسلمون مع رسول الله يتحملون ويلات الجوع والعطش

وشدة البرد والحر إيمانا واحتسابا وهم يستقلون ما أصابهم من أذي في سبيل الله تعالى وفي سبيل حماية رسوله الكريم .

وكانت الآيات تتنزل على رسول الله رسول الله ﷺ تسليهم وتثبتهم على اليقين .

قال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(البقرة ٢٠٢)

مكث المسلمون في الشعب ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء الإ سرًا ورسول الله رسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارًا ويعلمهم ويربيهم وهم صابرون محتسبون فجهد النبي والمسلمون جهداً شديدا ، واشتد عليهم البلاء حتى أنهم كانوا يأكلون ورق الشجر ، وكان الواحد منهم يأتي إلى السوق ليشتري شيئا يقتاته وعياله فيغالي عليه التجار فيرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به .

وإذا حصل أحدهم على طعام من بعض بيوتات قريش حجزوه عنه ومنعوه منه .

وقد لقي أبو جهل حكيم بن حزام بن خوُيلد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة وهي في الشعب مع رسول الله رسول

الله ﷺ فتعلق به قائلا : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ، والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة .

لولا أن أبا البخترى تدخل وصد أبا جهل عن صنيعه القبيح ،

بلغ الجوع بالمسلمين مبلغه ، وأضناهم الحرمان وألجأهم أن يأكلوا ما لا مساغ له .

عن سعيد بن أبي وقاص قال : خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقة تحت البول فاذا قطعة من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ورضضتها بالماء فقويت بها ثلاثا .

فالمسلمون في الشعب في حالة لا يحسدون عليها والداعية الأول رسول الله ﷺ لم يكن أحسن حالا من أصحابه بل يحمل هموم الدعوة وهموم أصحاب الدعوة فيصبر ويحتسب والوحي يثبته ويثبت أصحابه الكرام ويطالبهم باليقين والجلد ، وهم يرددون قول الله عز وجل :

﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾

(الاعراف ١٢٦)

وفي هذه الأيام الكالحة لم يتوقف رسول الله ﷺ عن الدعوة بل راح يدعو الناس في كل حين ، يلقاهم مع أصحابه في موسم الحج ويدعوهم إلى الاسلام فيكسب أتباعا .

إن الدعوات المخلصة لاتعرف للاستسلام مجالا بل الفتن تزيدها عمقا وامتدادا .

تـذكر الـروايات أن المسلمين في هـذه المرحلـة العصيبة كسبـوا أتباعا كُثرًا وأن صبر الدعـاة المجاهدين حَطم كبرياء المشركين وفت في عضـدهم فـانقسموا على أنفسهم وفشلـوا في مخططـاتهم وانتهي بهم الأمـر إلى نقض الصحيفـة ، وعـلا صـوت الحق وانهار أمـامـه صوت الباطل .

﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

(الإسراء ٨١)

كان الحصار في الشعب مدرسة للمسلمين الجدد يشحذ إيمانهم ويعودهم على الصبر واحتمال اعباء الدعوة في مستقبل الايام .

وفي تلك الأيـام الرهيبـة كان الداعيـة المربي عليه السـلام يمثل الأسوة الحسنـة لأصحابه يجوع قبل أن يجوعوا ويتحمل هموم الـدعوة فيتألم لحالهم ويصبر لما يناله من أذى .

ولعله إذا جـاء في يده طعـام ليس به رمقـه آثريـه أصحابـه دونه وهو في أمس الحاجة إليه .

هكـذا كان عليـه الصـلاة والسـلام داعية إلى اللـه تعالى ، معلما الناس دينهم . يوطنهم على الحسني ويزكيهم من الفاحشة .

كـان عليه الصـلاة والسلام الـداعـة العارف بـربه ، وهـو النبي الـذي يوحي إليـه ، يـدعو إلى اللـه على بصيرة من أمـره وقناعـة من نفسه يستظل بآيات الذكر الحكيم ويسترشد بهديه .

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

(الطور ٤٨)

ج ـ المفاوضات والثبات علي المبدأ :

لم يـزد أسلوب التعـذيب والاضطهاد محمـدا وصحبه إلا تمسكـا بالدين وفشل الكفار في حصارهم للمسلمين ومقاطعتهم .

وإثر الجهـر بالدعوة وقـرب موسم الحج عرفت قـريش أن وفود العرب ستقدم عليهم فرأت أن تفسد على محمـد دعوته فلا يكون لها أثر في نفوس العرب واتفقت على تحذيـر القادمين للموسم من اتباع محمد « لا تطيعوه فإنه صابئى كذاب » .

واستعملوا أسـاليب لمواجهة الدعـوة منها السخريـة والتكذيب ومنها تشويه تعاليم الإسلام وإثارة الشبهات حول شخص الرسول ودينه . ومنها محاولات للتفاوض مع رسـول الله ومساومات يحاولون بها أن يجعلوا محمدا يتنازل عن بعض مبادئه وقد أخذت المفاوضات طابعين : فرديا وجماعيا .

فعلي المستـوى الفـردي حـاول عتبـة بـن ربيعـة زعيم بني أميـة التفـاوض مع رسـول الله . فقـال ذات يـوم . وهو في نـادي قـريش ورسـول الله ﷺ جـالس في المسجد وحـده . « يا معشر قـريش ألا أقـوم إلى محمـد فأكلمـه وأعرض عليـه أمـورا لعلـه يقبل بعضهـا ، فنعطيهـا أيها شاء ويكف عنـا ؟ فقالـوا : بلى يـا أبا الـوليد قم إليـه فكلمـه . فقام إليـه عتبة حتى جلـس إلى رسول اللـه فقال : يـا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من المنزلة الرفيعة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قـد أتيت قـومك بـأمـر عظيم فـرقت بـه جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت بـه آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى

من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » قال عتبة : يا ابن أخي : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع (الجن) على الرجل حتى يداوى منه ، وإن كان إنما بك الباه . فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا .

ورسول الله ﷺ يستمع منه فقال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم . قال النبي : فاسمع مني . قال أفعل .

فقال محمد ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾

ثم مضى رسول الله يقرأ عليه سورة فصلت وعتبة قد ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهي النبى إلى السجدة .

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٢٧) فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار

وهم لا يسأمون (٢٨) ﴾

فسجد ﷺ ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة . يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .

قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه (قال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم) .

وفي رواية ثانية أن عتبة استمع حتى جاء رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾
(١٣ / فصلت)

قام عتبة مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله يقول : أنشدك الله والرحمن وذلك مخافة أن يقع النذير .

ويهمنا موقف الرسول من هذه المفاوضة وأدب حواره وكيف جلس يستمع لهذه العروض السخيفة من عتبة فلم يقاطعه في

حديثه ولم يشمئز من كلامه بل أفسح له مجال المتابعة ويسأله هل فرغت ؟ ويخاطبه بالكنية (يا أبا الوليد) أحتراما له رغم أنه خصم عنيد وسع صدره لاستماع وجهة نظر عدوه حتى يضمن أن يستمع خصمه لكلامه . ثم تلا عليه سورة فصلت التى تعرض عقيدة الإسلام ومن أهم عناصرها التوحيد وتتحدث عن قدرة الله وتنذر بالصاعقة حتى ناشده عتبة بالله والرحم ليكف فكف . ورغم أن عتبة لم يسلم لكنه أنهزم أمام الدعوة وبلاغة القرآن وأعلن أمام قومه ذهوله بما سمع ودعاهم لإيقاف الحرب ضد دعوة محمد . فاتهمته قريش بأن محمدا سحره فأنسحب من المعركة ضد محمد . فاتهمته قريش بأن محمدا سحره فانسحب من المعركة ضد محمد ووراءه بنو أمية وهو يردد « هذا رأيي فأفعلوا ما بدا لكم » وبذلك ضعَّف من تكالب الأعداء على الدعوة بتحييد بنى أمية .

أما التفاوض على المستوي الجماعي فقد عددت المحاولات .

فقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة وليس فيهم هاشمي واحد :

عتبة وشيبة ابنا ربيعة
أبو سفيان بن حرب
النضر بن الحارث
أبو البختري بن هشام
الأسود بن المطلب
زمعة بن الأسود

الوليد بن المغيرة
أبو جهل بن هشام
عبد الله بن أبي أميّة
العاص بن وائل
أمية بن خلف
ونبيه ومنبه أبنا الحجاج

اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : « ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا به »فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فأتهم فجاءهم محمد ﷺ سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء (أي ظهر لهم أمر) وكان عليهم حريص يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا له :

« يامحمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل علي قومه مثل ما أدخلت عل قومك لقد سببت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة فما بقي من أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك . ثم كرروا قريبا من العروض التي قدمها عتبة فقالوا :

« إن كنت إنما جئت بهذ الحديث تطلب به الترف فينا سودناك علينا وإن كنت إنما تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر منا مالا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن تراه قد غلب عليك بذلنا أموالنا في

طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك » .

فرد عليهم رسول الله بأدبه المعهود وحجته الظاهرة فقال : « ما بي ما تقولون ، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتي يحكم بيني وبينكم »

قالوا : يا محمد فإ كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فاسأل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسيّر عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فمن يبعث لنا قضي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل ؟

فإن صدقك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول .

ونلاحظ تحول المفاوضين من أسلوب الترغيب إلي أسلوب التعجيز لكن الرسول ﷺ ردّ عليهم :

« ما بهذا بعثت إليكم وإنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فو حظكم في الدنيا والآخرة ورن تردوه علي فاصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»

وقد قص القرآن مطالب الكفار التعجيزية في سورة الإسراء .

قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

(سورة الإسراء)

وازداد المفاوضون تعنتا وإصرارا علي التعجيز فقالوا : « فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك : سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وإما لا فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق تلمس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم رسول الله ﷺ :

« ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا »

قالوا : « فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل »

فقال ﷺ « ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل » .

قالـوا : يا محمد أفما علم ربك أننـا سنجلس معك ونسألك عما سألنـاك عنـه ونطلب منك مـا نطلب فيتقـدم إليـك فيعلمك مـا تراجعنا به ويخبرك ما هـو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به . إنه قـد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقـال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بـالرحمن أبدا . فقـد أعذرنـا إليك يا محمـد وإنا والله لا نتركك ومـا بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا « وهـذه لهجة تهديد بالاغتيال » .

وقـال قـائلهم : نحن نعبـد الملائكـة وهي بنـات اللـه . وقـال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالـوا ذلك لرسول الله قـام عنهم وقام معه عبـد الله بن أبي أمية ابن المغيرة وهو أبـن عمته عاتكة بنت عبد المطلـب فقال له : « يا محمـد عرض عليك قومك مـا عرضوا فلم تقبلـه منهم ثم سألوك لأنفسهم أمـورا ليعـرفـوا منـزلتك عنـد الله كما تقـول ويصـدقـوك ويتبعـوك فلم تفعل ، ثم سألـوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم بـه من العـذاب فلم تفعل فـو اللـه لا أؤمن بك أبـدا حتى تتخـذ إلى السماء سلما ثم ترقي فيها وأنـا أنظر إليك حتي تأتيها ثم تأتي معك أربعة مـن الملائكة يشهدون لك أنـك كما تقول وأيم الله لـو فعلت هـذا ما ظننت أني أصـدقك ؟ ثم انصرف عن رسـول الله وكـذلك انصرف محمد إلى أهله حزينـا أسفا لما فاته مما كان طمع بـه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم إياه .

وقد حرصنـا على نقل هذا النص على طولـه لأنه أجمع النصوص

التي طـرحت القضـايا الكبرى التـي تم التفاوض عليهـا بين قيـادة مكة وبين رسول الله .

لمااستفحل أمـر المسلمين وأصبحوا يـدعون إلى الله جهـارًا لجأ الكفـار إلى العروض المغـريـة : المال والملك والسيادة والنسـاء وهي مزالق خطيرة علي طريق الدعوة فكم من الدعاة في مختلف العصور ، سقط أمام بريق المال حرصا عليه أو خـوفا من ذهابه ، وكم عرضت علي الدعاة الصادقين أموال طائلـة فثبتوا أمام الإغراء تأسيا بمحمد ﷺ ورفضوا مدّ أيديهم وأما الجاه فقـد رفضه رسول الله وكان يمكن أن يقبل بالملك حتـى إذا توّج حكم بالإسـلام واستطاع الـدعوة إلى اللـه لكنـه لم يفعل لأن الطـريق أن يسلم النـاس أمـرهم للـه ، أولا وبعـد ذلك تتنـزل التشريعـات تنظـم حيـاتهم وتطلب منهم أمـورا فيأتونها وتنهاهم عن قضايا فيجتنبونها .

إن ما عرضوه من أمور لا تقبـل إلا بعد الاعتراف بالإسلام شرعا وحكما ، والاعتراف بـرسالـة محمـد وبـالكتاب المنـزل عليـه وتطبيق مبادئه والاحتكام إليه .

كما عـرضت قـريش علي رسول اللـه نسـاءهـا يختار عشرا منهـا أجملهن وأحسنهن يكن زوجـات لـه بغيـة تثبيط همتـه عن الـدعـوة وشغله بـالشهوة والـولد وإغـراءات النساء وفتنتهن ، ولكنـه رفض كل هذه العـروض المغرية ، وقـد كان ردّه واضحا علي مـا طلبوه من تسيير الجبـال وتفجير الأنهار وإحيـاء الموتى وإسقـاط السماء أو أن تكـون له قصـور وجنـان بأنه بشر رسـول وأن الأمـر لله إن شـاء أن

يفعلـــه بهم فعـل لا يعجـــزه شيء في السماء ولا في الأرض . وبهذا الجواب الحاسم أفشل النبي ﷺ مفـاوضـة حشـدت لها قـريش كل إمكانياتها ورد محمد كل ما تقدم به زعماء قريش من عروض .

ثم توالت محاولات قريش التفاوضية بغية إيقاف دعوة محمد ﷺ .

فعن عقيل بن أبي طـالب قـال : جاءت قـريش إلى أبي طـالب فقالوا : إن ٱبن أخيك قد ٱذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا .

فقـال : يـا عقيل انطلق فـأتنى بمحمـد ، فـانطلقت إليـه فاستخـرجته من بيت صغير ، فجاء بـه في الظهيرة في شدة الحر فلما أتاهم قـال أبو طالب : إن بني عمك زعموا أنك تـؤذيهم في ناديهم ومسجـدهم فـانتـه عن أذاهم ، فعلق رسـول اللـه ببصره إلى السماء فقال « ترون هذه الشمس ؟ قالـوا : نعم ـ قال : فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة »

فقال أبـو طالب : واللـه ما كذب ابن أخـي قط فٱرجعوا .«رواه البخاري»

وفشلت هذه المحـاولة أيضا في أن تـزحزح محمدا قيـد شعرة عن دعوته .

ثم إنهم مشوا إلى أبي طـالب مرة أخرى وصعّـد وا من تهديدهم فقالـوا : « إنا قـد استنهيناك عن ابن أخيـك فلم تنهه وإنـا والله لا نصبر علي هـذا من شتم آبائنـا وتسفيـه أحـلامنا وعيب آلهتنـا حتى تكفه عنا أو تنازله وإياك في ذلك حتي يهلك أحد الفريقين . فعظم الوعيد على أبي طالب وقال لرسـول الله : « يا ابن أخي إن قومك قد

جـاؤوني فقالـوا لي كذا وكـذا ... فأبق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمـر مـا لا أطيق فظن رسول الـه ﷺ أن عمـه سيخـذله وأنـه ضعف عن نصرتـه والقيام معـه فقـال في ثبات : (يـا عم والله لـو وضعـوا الشمس في يميني والقمـر في يسـاري على أن أتـرك الأمـر ـ حتى يظهره الله أو أهلك دونـه ما تركته) ثم بكي وقـام ، فناداه أبو طالب وقال له :

(اذهب يـا ابن أخي فقل مـا أحببت فو اللـه لا أسلمك لشيء أبدا) . وأنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهـم حتـى أوسـد في الـتراب دفينـا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشـر وقـرّ بـذاك منـك عيونـا

ولمزيـد الضغط على أبي طـالب الـذي أبي خـذلان رسـول اللـه ذهب إليه كفار قريش بعمارة بن الوليد وقالوا له :

(إن هذا أنهد « أحسن» فتي في قريش وأجملـه فخذه فلك عقله ونصره اتخذه ولدا وأسلم إلينـا ابن أخيك الذي خـالف دينك ودين آبائك فنقتله فإنما هو رجل رجل .

فقـال أبو طـالب : واللـه لبئس مـا تسومـونني أتعطـوني ابنكم أغذوه (أطعمـه) لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟: هذا واللـه لا يكون أبدا ..

ويتجلي ثبات رسول اللـه ورفضه التنازل عن جـزئية واحدة علي حساب دعوتـه في المحاولة الأخيرة التي قام بها وفـد قريش لدى أبي طالب ليكف ابن أخيـه فلما اشتكي أبو طـالب وبلغ قريشا مـرضه

وثقله قالت بعضها لبعض :

« إن حمزة وعمر أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا إلى أبي طالب فليأخذ على ابن أخيه فإنا نخاف أن يموت هذا فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب ، يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه .

فمشي أشراف مكة وهم خمسة وعشرون رجلا إلى أبي طالب فقالوا : « يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف نه وليدعنا وديننا وندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك ويأخذوا منك وأخبره بالذي قالوا له وعرضوا عليه من عدم تعرض كل فريق للآخر .

فقال لهم رسو الله ﷺ : (أرأيتم أن أعطيتكم كلمة تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم).

فتحيّر القرشيون ولم يعرفوا كف يرفضون هذه الكلمة الواحدة النافعة فقال أبو جهل : ماهي ؟ وأبيك لنعطيكها وعشر أمثالها :

قال : (تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه) فصعقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريدنا يا محمد أن نجعل الآلهة إلها واحدا إن أمرك لعجب وتأكدوا أن محمدا لن يعطيهم شيئا مما يريدون فقالوا :

امضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ونزل فيهم

قوله تعالى :

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾

(سورة ص)

وبعد وفاة أبي طالب استمر رسول الله في ثباته على مبادىء دعوته ورفض التنازل عن أي مبدأ مقابل الحماية فقد تحركت الحمية في أبي لهب حين رأي تكالب قريش على إيذاء ابن أخيه بعد وفاة أخيه أبي طالب فقال لرسول الله : اذهب يا ابن أخي وما كنت تصنعه وأبو طالب حيّ فاصنعه » .

وكان لهذا الموقف وقع الكارثةعلي قريش التي خططت لتجرد محمد ﷺ من أي حماية فأوعزت إلى أبي لهب أن يسأل رسول الله عن عبد المطلب ؟ فكان رسول الله في وضع محرج : إما أن يهادن ويقبل المساومة بكلمة واحدة فتستمر الحماية وإما أن يصرح بحكم الله في عبد المطلب فتنهار الحماية الوليدة . لكن الرسول ﷺ لم يتردد لحظة فقال: هو في النار ولتذهب الحماية إذا كانت على حساب العقيدة . وعندها قال أبو لهب : مازلت عدوا لك أبدا.

وانضم إلي معسكر قريش .

لقد أصر رسول الله ﷺ على تـوضيح حكم الله في عبد المطلب حتى تفهم قريش أنه لا التقاء بين الكفر والإسـلام بل مفاصلة تامة ولو كان ذلك الموقف يسبب خسارة حماة محمد وأصحابه .

فالهدنة مقبولة إذا أوقفت الحرب مع العدو وهيأت سبل الدعوة أما إن كانت على حساب المبادىء فلا تقبل .

د ـ عام الحزن (فقدان السند وأثره على الدعوة) :

سميت السنة التي فقد فيها شيخ البطحاء أبو طالب وزوجة النبي البارة خديجة بعام الحزن لتوالي المصائب علي رسول الله وجرأة الأعداء على دعوته بعد ذهاب الناصر المنافح والسند المواسي الذي يأوي إليهما ولم يجد من ذوي قرابته من يعوضه عنهما .

ولقد وصلت الدعوة في مكة إلى طريق مسدود بعد فقدان الحصن الذي كانت تحتمي به من هجمات السفهاء والكبراء والذي مثله أبو طالب رغم بقائه علي ملة أبيه عبد المطلب . لقد كان فعلا عضدا وحرزا ومنعة وناصرا يذود عن النبي حتى يبلغ عن ربه ويتحمل مشادة قومه ومضايقتهم له ولا يخذل ابن أخيه ويقبل لومهم حتي لا يوجه إلي محمد .

وقد اتضح موقفه المناصر في المفاوضات ولعل بقاءه على دين قريش جعلها تقر بسيادته ولا تخفر له جوارا ، ولو آمن (وهذا في علم الله) ما استطاع أن يدافع عن رسول الله ولألحقته قريش بمن ناوأها فيفقد سلطان على مكة ولا يقدر على حماية محمد وقد صرح رسول الله بذلك « إن قريشا ما نالت مني في حياة أبي طالب ما نالته من بعده » .

فقد أعترضه بعد وفاة عمه أبى طالب سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا ودخل بيته والتراب علي رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكى ورسول الله يقول لها : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك » .

ولم تزل تتوإلى على رسـول الله الأذيات من قومه بعـد موت عمه فكاشفوه بالنكـال والأذى فازداد غما على غمّ وكاد ييأس منهم وفكر في مكان آخر يلتمس فيه النصرة ليواصل تبليغ دعوته .

فقادة مكة مصرون على موقفهم العدائي والمسلمون بين مشرد في الحبشة ومضطهـد في مكة لـذلك بحث عن منطلق جـديد للـدعوة حتى لاتتوقف وتـربة أخرى يبذر فيهـا دعوته فأختـار الطائف لعل أهلها يقبلون إيواءه لكنهم ردوه ردا قبيحـا ولم يستجيبوا لدعوته . ولا يماري أحد أن أبا طالب كان له موقف مشرف في حماية الدعوة : ذاد عن ابن أخيه ليبلغ ما أمر بـه ورضي أن يعيش محروما مضيقا عليه في الرزق مقاطعا في الشعب ليسانـد محمدا والحق الذي معه رغم أنه لم يؤمن به .

ولقد تأثـرت الدعـوة بفقد أبي طـالب فحوصرت وأغلقت دونها الأبـواب واشتـدت وطأة الكفـار على الـداعية وأصحـابـه لكنهـا لم تتـوقف . ولئن لم يدخل أبـو طـالب في زمرة المؤمنين فقـد أيد دعـوة التوحيد وصرح بأن محمدا صادق راشد .

عن العبـاسى بن عبـد المطلب قـال للنبي عليه السـلام : « مـا أغنيت عن عمك فقـد كـان يحوطك ويغضب لك ؟ قـال : هـو في الضحضاح من نار ولولا أنا لكـان في الدرك الأسفل من النار » وقد كانت وفاة أبي طالب قبل خديجة بثلاث ليال على أرجح الأقوال .

أمـا زوجته خـديجة بنت خويلـد فقد كـانت وزيرة صـدق على الإسلام يشكو إليها فتواسيه وتشد أزره وتمنع عنه الأذى وتخفف عنه

حتى لا يؤثر على نفسه فيطمئن ويسكن إليها .

بقيت خديجة مع رسول الله ربع قرن تحن عليه ساعة قلقه وتؤازره في أحرج أوقاته وتعينه علي إبلاغ دعوته وتشاركه في مغارم التبليغ فتواسيه بمالها ونفسها .

قال ﷺ مثنيا عليها : «آمنت بي حين كفر بي الناس وصدقتني حين كذبني الناس وأشركتني في مالها حين حرمني الناس »

لقد كانت تلقاه بحنانها فتمسح عنه آثار الإجهاد والضيق بعد عودته متعبا من تكذيب قومه وكفرهم وعداواتهم فتسكن جوارحه ويطمئن فؤاده .

لقد أذهبت عنه الرعب يوم نزل عليه الوحي وجاء يرجف فؤاده وخففت عنه كل الجوارح التي أصابته نتيجة صدود قومه وإعراضهم وأذاهم وقد أكد رسول الله ﷺ امتداحه لخديجة ووفاءه لها حتى بعد وفاتها حيث قال :

(ما أبدلني خيرا منها ... ورزقني الله منها الولد إذ حرمني أولاد النساء) وهذا يبرز مكانة خديجة رضي الله عنها في قلب رسول الله ﷺ وعظم تأثره بفقدها .

أُصبح رسول الله عام الحزن إذا عاد الي بيته مهموما مكروبا من شدة ما يلقاه من أذى قومه وكيد المشركين لا يرى وجه خديجة وهي تستقبله بإشراقها وابتسامتها ، لقد حرم كلمات التثبيت والتبشير والمواساة والتشجيع على المضي في طريق الدعوة رغم ثقته القوية ويقينه الجازم في نصر الله له وتأييده لدعوته .

هـ ـ اللجـوء إلى الجـوار :

لقي رسـول اللـه ﷺ في سبيل دعوتـه إلى الحق ألـوانـا شتي من العذاب من الذين كفـروا من قريش وممن شاكلهم من أهل ثقيف لمّا سلطوا عليـه سفاءهم إلاّ أن ذلـك كله لم يثنه عـن عزمه وخـرج من هذا الابتلاء وهو أشد ما يكون ثقـة بربّه وأكثر ما يكون طمأنينة إلى نصرته وتأييده .

ورغم مـا لقيه الـداعية محمـد ﷺ من أهل الجهـالة والسفـه من قريش وثقيف لم يترك في نفسـه شيئا من الضغينـة والحقد عليهم بل ظل يـدعو لهم بـالهداية ويـرجـو أن يمنّ الله عليهم بنعمـة الإيمان قائلا :

« اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »

لقد أخـرجه قـومه من مكـة وكذلك فعل مَنْ كـانوا بـالطائف ، ولكن لا مناص من الرجوع إلي مكة منطلق الدّعوة .

ولما عاد من الطائف ووصل إلى مكـان اسمه نخلة أقام بـه ثلاثة أيـــــام[1] يدبرّ لنفسه خطة الرجوع إلي مكة والدّخول علي قريش لمواصلة الـدّعوة وفي آن واحد ليـأمن أذاهم ويتقي طغيانهم ولاسيما بعد أن سبقه النبأ إليها بما كان بينه وبين ثقيف .

والعودة إلى مكة ضرورية لاستغلال مـوسم الحج وعرض دعوته على القبائل التي تحضر ذلك الموسم ففكرّ في اللجـوء إلى جوار أحد الكفار وهـو السبيل الوحيد والمخـرج السليم من هذه الـورطة يجبره

(١) صور من حياة الرسول ـ أمين دويدار

ومنع عنه الأذي ويحميه من بطش القرشيين خاصة وأن العرب يقدّرون حق الجوار ويحترمونه .

فعل رسول الله ﷺ كل ذلك ليضمن مواصلة دعوته علّها تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية .

فأرسل عليه السلام إلى الأخنس بن شريق يعرض عليه أن يدخل مكة في جواره فاعتذر وكذلك فعل سهيل بن عمرو ، فالتجأ بعدئذ إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ما أراد وبعث إليه أن يدخل مكة في جواره .

وفعلا بات رسول الله ﷺ تلك الليلة عنده ، ولما أصبح خرج الرسول ﷺ وخرج معه المطعم وبنوه الستة وقد تقلّدوا السيوف جميعا فدخلوا المسجد الحرام وقالوا لرسول الله ﷺ : طف ...

فأقبل أبو جهل[1] إلى المطعم فقال : أمجير أم تابع ؟ قال المطعم : لا بل مجير .

قال أبو جهل : إذن لا تخفر[2] ...

ولما قضى رسول الله ﷺ طوافه وصلاته انصرف وانصرف معه المطعم وبنوه يحيطونه .

وأخبر أبو جهل قومه ما كان من جوار المطعم لمحمد ﷺ واضطرت قريش أن تمضي هذا الجوار وتقبله فلم تتعرض لرسول

---

(١) فقه السيرة : محمد الغزالي ـ وقيل أبو سفيان (صور من حياة الرسول وفقه السيرة النبوية ـ الغضبان) .

(٢) لا تخفر : أي لا ينقض عهدك ولا يتعدّى أحد على من أجرته وتصدّيت لحمايته .

الله بسوء لكنها جعلت تفكرّ وتدبّر منذ أن عرفت أن رسول اللهﷺ يـريد أن يعـرض دعـوتـه على قبائل العـرب في مـوسم الحج وجعل زعماؤهـا يتبادلـون الرأي فيما يجب أن يفعلـوه حتى يحولوا بينـه وبين هذه القبائل ويمنعوا بذلك انتشار الدّعوة الإسلامية .

و ـ ظـلم ذوي القربـى :

أظهر أبو لهب عم الرّسول ﷺ عدوانه لدعوة ابن أخيه محمد ﷺ منذ بدايتها وأعلنها أمام قومه بأنها حرب شعواء ينذر وتوعّد ويقسم بالـلات والعزي ليبـذلن دمه ومـاله في حرب هـذه الدّعـوة للقضاء عليها .

وانـدفع أبو لهب في عـدواته لمحمـد ﷺ ولدعـوته فلم يـراع في ذلك رحما ولا قـربي ولم يقدّر أن ذلـك الذي يعـاديـه هو وابن أخيـه وصهـره وجـاره الملاصق فـأعماه الغضب والتعصب في كل ذلك ولم يأبه بشيء .

وانساق عدو الله مع البغض والكـره الشديد حتي صار أعدى عـدوّ للنبي محمد ﷺ فكـان يقتفي أثـر الـرسول ﷺ في كل مكـان يختـاره للـدّعـوة إلى اللـه تعـالى ليصفـه بأبشع النعـوت ويقـول للمستعمين لاتنصـوا إليه إنـه صابيء ، وكـان يهزأ منـه ومن دعوتـه ويقول : يعدني محمد أشياء لا أراهـا يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يـديّ بعد ذلك ثـم ينفخ في يديـه ويقـول تبّا لكما مـا أري فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله تعالى فيه :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾

وسارت على نهجـه زوجته إذ كانت هي الأخرى عنيفـة العداوة للـرّسـول محمـد ﷺ فأنزل اللـه تعـالى في شأنهما سـورة تتلى إلي يـوم القيامة فيها وعيد شديد :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة المسد)

قال ابن اسحاق : فذُكر لي أن أم جميل حمّالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أنت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فِهْر[1] من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله محمد ﷺ فلا ترى إلاّ أبا بكر فقال : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ... ثم انصرفت فقال أبو بكر :يارسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال محمد ﷺ : ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني ...

فصلة القربى والرحم والنسب والجوار والمصاهرة لم تؤثر في أبي لهب بل إن عداوته للداعية محمد ﷺ تزداد شيئا فشيئا ، ولعل ازدياد العداوة يعود إلى أن زوجة أبي لهب أم جميل بنت حرب هي أخت أبي سفيان بن حرب زعيم بني أمية المشهور بعداوته الصارخة لرسول الله محمد ﷺ في أغلب مراحل دعوته حتي فتح مكة ليدخل في الإسلام مع الدّاخلين .

وأم جميل هذه كانت تكره الإسلام والمسلمين عامة وتحقد على الرسول محمد ﷺ خاصة فكانت تثير الفتن بينه وبين قومه وتسعى بالنميمة بين الناس لتفسد عليهم قلوبهم وقد وصفها الله تعالى

---

(١) فهر من حجارة : حجارة تملأ الكف .

بأبشع الصفات فسمّاها حمّالة الحطب كناية عن النميمة والوشاية التي أشتهرت بهما بين الناس .

وكانت أم جميل تعمل دائبة علي تحقير الرّسول محمد صلى الله عليه وامتهانه إذ كانت تعيّره بالفقر وبموت البنين وتضع في طريقه الشوك والقذرات وتقرض في ذمه الشعر وتتغنى به في مجالسها .

وقد بلغ من عداواتها وحقدها على الرّسول الدّاعية أنها لم تكن تنطق باسمه قط ولم تكن تدعوه إلاّ مذمّما ، ومما أثر عنها قبّحها الله قولها : مذمّما قلينا [1] * ودينه أبينا * وأمره عصينا .

وكان ﷺ يضحك من ذلك بقوله : يا عباد الله انظروا كيف يصرف الله عنّي شتمهم ولعنهم ... يشتمون مذمّما ويلعنون مذمّما وأنا محمد .

وهذان العدوان اللدودان (أبو لهب وزوجته) هما اللذان أثر على ولديها عتبة وعتيبة لتطليق زوجتيهما رقية وأم كلثوم بنتي رسول الله ﷺ نكالة فيه وحقدا عليه وإيذاء له .

هكذا صار واضحا أن أبا لهب وزوجته أم جميل من أشد الناس عداوة للرسول ﷺ ودعوته ، وكان همّهما الشديد وحزنهما البالغ أن تظهر هذه الدعوة وأن ينجح الدّاعية محمد في تحويل الناس عن دين قريش فجعلا شغلهما الشاغل أن يفسدا على الرّسول ﷺ أمره وأن يصرفا الناس عن دعوته وأن يبذلا في ذلك كل ما يستطيعان من جهد ووقت وراحة ومال .

---

(١)قلينا : كرهنا وأبغضنا .

ى ـ الثبات والاستمرار في الدّعوة :

لقد لقي رسول الله ﷺ من أذى قريش ما أعلنته وشق عليه ، كما لقي من إغرائهم ما يجعل المرء يداهن أو يلين أو حتى يميل ، فلو كان بشرا غير مؤيد بالوحي لما استطاع أن يتحمل أذاهم ولا أن يقاوم إغراءهم إذ من المحتمل أن يميل إلى ناحيتهم بعض الميل أو أن يترضاهم بعض الترضي ولكنه رسول الله المكلّف بتبليغ دعوته فالله يؤيده بقوته ويثبته ويعينه على احتمال ما ينالونه به من الأذي وعلى مقاومة ما يخدعونه به من مغريات وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (٧٣ ـ ٧٥ الإسراء)

بهذا الدّعم إلاهى وبهذا التثبيت للداعية حتى يبلغ دعوته للناس جمعا أخفقت كل المحاولات التي قامت بها قريش وأرادت أن تثني رسول الله ﷺ عن دعوته أو توقف تيارها الجارف .

وكان الموقف الصامد الذي وقفه منها رسول الله ﷺ مع عمّه أبي طالب دليلا علي أنه عليه السلام مصمم علي الوصول بهذه الدّعوة إلى غاياتها وتحقيق أهدافها كلفّه ذلك ما كلفه .

وكانت الكلمة التي ألقاها إلى عمه أبي طالب يوم أحرجته قريش وخيرته بين أن يكفّ عنها ابن أخيه أو أن تكون حربا بينه

وبينه حتى يهلك أحد الفريقين ـــ توضحّ المنهج الذي اختاره الداعية محمد ﷺ للمسير قدما بدعوته والدستور الذي سيلتزم به مستقبلا في توصيل دعوة الحق إلى من لم تبلغه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه .

لقد قال له عمه يومذاك :

« يا ابن أخي أبق عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق » . فكان جوابه ﷺ على ذلك :

يا عم والله لو ضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ...

بهذا الكلام الموجز والمعبّر ، وبهذا الثبات صمّم رسول الله ﷺ وأقرّ العزم على أن يواصل مسيرة دعوته إلى الله تعالى حتى النهاية مهما كانت التكاليف ، حتى وإن لم يقتنع بدعوته في البداية إلاّ القليل من الناس فنتيجة الدعوة موكولة إلى الله تعالى وما على الداعية محمد ﷺ إلاّ البلاغ المبين .

وقد بذلت قريش في سبيل صده عن دعوته كل ما تستطيع من جهد وتوسلت إليه بكل ما تستطيع من حيلة واستباحت ما يجوز وما لا يجوز في عرف المروءة وتنازلت وأتت من الأعمال ما قد لا يتصوره العقل وثابرت وصابرت في ذلك السنين الطوال ولكنها بعد كل ذلك أدركت وتيقنت أن محمدا ﷺ لن ترهبه القوة مهما بلغت ولن يخدعه الإغراء مهما عظم وأن كل محاولة لتحويله عن طريق هذه الدعوة واستمراريتها لا تجدي ولا تفيد ...

٩ ـ الرحلة من أجل تبليغ الدعوة :

أ ـ الهجرة إلى الحبشة

لما اشتد الخناق على الدعوة في مكة وضيق المشركون المسالك على المسلمين ، أدرك رسول الله ﷺ بعد سنتين من الجهر بالدعوة ألا قدرة له على حماية أصحابه وأتباعه من البلاء النازل عليهم . وعلم ان الزعامة الوثنية ماضية في غيها ، عازمة على المواجهة العنيفة لكل من تسول له نفسه الدخول في الدين الجديد ، مصممة على خنق أنفاس الدعوة مستخدمة لتحقيق ذلك كافة الأساليب .

ورأى ﷺ أن يعطي فرصة للمضطهدين يستردون فيها أنفاسهم ويجمعون قواهم ليعودوا إلى حمل أمانة الدعوة أصلب عودا ، وأقوى شكيمة ، فأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة عسى أن يحدث الله تعالى في هذه الفترة أمرًا كان مفعولا .

فكر عليه الصلاة والسلام في أمر الدعوة ، وكان حريصا علي تأمينها ، فلابد إذًا من تأمين أصحابها الذين يحملونها في أنفسهم ، ففكر في المكان البديل الذي يستطيع فيه أولئك الداخلون الجدد إلى دين الله تعالى أن يعبدوا الله بلا عنت .

فقال لهم : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» .

فاستجابوا لأمر رسول الله ، وتركوا الدار ، وفارقوا الأهل فادين بدينهم .

خرج عدد منهم وفيهم السابقون الأولون ، خرج عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سهلة بنت سهيل ، والزبيربن العوام ، ومصعب بن عمير وغيرهم .

غير أن هذه الرحلة كانت مليئة بالأتعاب ، فالبحر أمامهم لابد من معاناة ليقطعوه ، وقريش من ورائهم تتعقبهم وتقتضي آثارهم وتطلبهم أحياء أو أمواتا لتنكل بهم وتفتنهم عن دينهم .

وأرض الحبشة مجهولة لديهم لا يعلمون ما يخبئه القدر لهم فيها .

ولكنهم تحاملوا على أنفسهم وصمموا على المضي قدما نحو الحبشة تنفيذا لأمر رسول الله ﷺ وفرارًا بدينهم .

وصل المهاجرون أرض الحبشة وظنوا أنهم بلغوا مأمنهم وانتهت سلسلة الفتن المتراكمة عليهم ولكنهم ما إن استقر بهم الأمر أياما قلائل حتى فاجأهم خبر قدوم وفد قريش على النجاشي بالهدايا والعطايا ليستردوهم ويرجعوا بهم من حيث أتوا إلى مكة .

وكادت تنجح مكيدة المبعوثين وتنطلي الحيلة على النجاشي فقد أوتي عمرو بن العاص قدرًا من الدهاء والفطنة ولم يكن اختيار قريش له ولصاحبه عبد الله بن ابي ربيعة عبثا وهم يعلمون الرجلين وقوة محاججتهما .

ولكن الله تعالى قيض للمسلمين من هو أقوى حجة وأحسن بيانا وأثبت قدما يدافع علهم وينافح عنهم .

فقد تصدي جعفر بن أبي طالب لأولئك الرجلين . وخطب

أمام النجاشي خطبة وضع فيها الحق وفضح أعمال قريش وتجنيهم على المستضعفين من المسلمين . فتأثر النجاشي بكلامه وأدرك الحق فيه فسمح لهم بالعيش في بلده آمنين مطمئنين ورد وفد قريش خائبا لم ينل خيرا .

خطبة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه :

أيها الملك كنا قـوما أهل جاهليـة نعبد الأصنـام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصـدقه ، وأمـانته ، وعفـافه ، فـدعانـا إلى الله لنـوحده ، ونعبـده ، ونخلع ما كنا نعبدنحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصـدق الحديث ، وأداء الامـانـــة ، وصلـة الـرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحـارم والدمـاء ، ونهانـا عن الفـواحش وقول الـزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات و وأمـرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا . وأمرنـا بالصلاة والزكاة والصيام فصـدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله .فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننـا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبـادة الله تعالى ، وأن نستحلّ مـا كنا نستحل من الخبـائث . فلما قهرونـا وظلمونـا وضيقوا علينا وحـالوا بيننـا وبين ديننا خـرجنا إلى بـلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك [1] .

تكلم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه أمام النجاشي فأحسن الكـلام وأجاد العـرض . فأبرز حـالـة العرب في جـاهليتهم وبسط البديل الإسلامي :

ـ توحيد لله تعالي بدل الشرك والأصنام

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٣٣٦ ج ١ .

ـ دعوة الي الطهر والعفة وتذكية للنفوس .

ـ نشر للعدل الإلهي بين الناس ورد للحقوق إلى أهلها .

ـ رفض التجني على الفقير والضعيف وحفظ لحقوق اليتيم ،

مبادىء سامية تستجيب لها الفطرة السليمة ويقبلها العقل القويم ، ينادي بها الداعية محمد ﷺ ليجمع الناس على عقيدة واحدة ودين واحد ، يعبدون ربا واحدًا ويدينون له بالخضوع والطاعة ليكونوا أمة واحدة يسودها العدل والتعاون وتحفظ فيها كرامة الإنسان وتتحقق عزته .

بهذا المنطلق السليم والحجة البالغة تكلم جعفر ودافع عن دينه ومبادئه . فلا غرو ، فقد رباه الداعية محمد رسول الله ﷺ وعلمه القرآن ومبادىء الاسلام فكان خير سفير له وداعية عند النجاشي .

وأمام هذه الحجج البالغة اقتنع النجاشي بالرسالة الخاتمة وعلم أن المهاجرين الجدد أصحاب حق وأن وفد قريش أصحاب باطل . فسمح للمسلمين بالبقاء في مملكته ورحب بهم في بلاده ورضي بهم ضيوفا كراما عنده . وردّ مبعوثي قريش خائبين لم ينالا خيرا .

ب ـ الرحلة إلى الطائف :

ضمن توجهات رسول الله ﷺ نحو الرحلة إلى خارج مكة والبحث عن أرض جديدة للدعوة ، خرج عليه السلام إلى الطائف تحت وطأة الاضطهاد الذي نال منه وأجهده .

غادر عليه الصلاة والسلام مكة يبحث عن مكان آخر ينشر فيه

دين اللـه تعـالى ويطلب من أهلـه الحماية والنصرة والمنفعـة . فـوقع اختياره علىِ الطائف حيث تقطن ثقيف ومصيف الأغنياء من مكة.

خرج عليـه السلام من مكة صحبـه مولاه زيد بن حـارثة وقطع الطريق الوعرة على قدميه أملا منه أن يجد نفوسا رقيقة وقلوبا رحيمة تقبل دعوته .

لما وصل عليـه السلام إلى الطـائف عمد إلى نفـر من ثقيف هم يومئذ سادتها فجلس إليهم ، ودعاهم إلى الله وعرض عليهم ما جاء من أجلـــه . فبشرهم ، وأنـــذرهم ، ورغبهم ، وحـــذرهم ، غير أنهم أعرضوا ونكصوا على أعقابهم ، وأظهروا له الجفاء وهددوه بالانتقام .

لما علم عليه الصـلاة والسلام أن دعوته لم تجد سبيـلا إلى قلوبهم ناشدهم أن يكتموا أمره ولا يذيعوه بين الناس ليأمن على نفسه .

غير أنهم خانوا الأمانة وضربوا بمكارم الأخلاق عرض الحائط . فسبوه ، وشتمـوه وحرّضوا عليه صبيـان الطائف وسفهاءها ، فـرموه بالحجارة ونالوا منه حتى دميت قدماه ، وأخذ منه الجهد مأخذه .

عندئذ خرج رسول الله ﷺ من الطـائف طريدا شريدا وصاحبه يدافع عنـه ويحميه من حجـارة الصبيان . ولما بلغ منـه التعب مبلغه التجأ إلى بستان عساه ينال قسطا من الراحة.

جليس إلى ظل شجـة ورفع بصره إلى السماء يدعـو ربه ، يـرجوه الرحمة ويجدد عهده لربه على المضي قدمـا في طريق الدعوة ولو كلفه ذلك حياته . هتف يقول :

« اللهم إليك أشكـو ضعف قـوتي ، وقلـة حيلتي ، وهـواني على

النـاس ، أنت أرحم الــراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكِلني ! إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدوّ ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي...!

أعوذ بنـور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليـه أمر الدنيا والآخـرة ، أن يحل علي غضبك ، أو أن ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضي ، ولا حول ولا قوة إلا بك ...؟ » .

وهنا تحركت عاطفة القرابة في قلوب ابني ربيعة إذ كانا قريبا منه يرقبـانه عن كثب فأرسلا إليه قطفـا من العنب مع غلام نصراني لهما يدعى عدّاسًا .

أقبل عـداس على رسول اللـه ﷺ وناولـه العنب فـاستلمه منـه وقال باسم الله وأكل .

استغرب عـداس من مقاله رسـول الله وهـو يعلم أن العرب لا تقول هذا الكلام بل تقتصر على عبارة « باسمك اللهم » .

لما رأى رسـول اللـه ﷺ عـلامـات الاستغـراب تبـدو على وجـه عداس . سأله : من أى بلد أنت ؟ ..

قال : أنا نصراني من « نينوى » .

قال عليه السلام : «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟»

فأكب عداس على يدي رسول الله ورجليه يقلبلهما .

وقعت المحـاورة وابنـا ربيعـة يـرقبـان مـا يحدث ، عنـدئذ قـال أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك .

فلما جاء عداس قالا له : ويحك ما هذا ؟

قال : ما في الأرض خير من هذا الرجل [1]

حادثة صغيره لم تلق لها كتب السيرة بالا وطوية بين السطور دون أن يقف عندها أحد باهتمام .

إنها حادثة معبرة عن معاني عدة :

تصميم رسول الله ﷺ على الدعوة ، لا يجد منفذا إلى ذلك إلا ودخله غير مستهين به ولو بدا في ظاهره غير هام .

ولو كان المدعو عبدا رقيقا لا يملك نفسه . فالداعيه يودع البذرة في باطن الأرض والله يتولى الإنبات والإنماء .

ولا شك ان هذا التصميم على الدعوة هو منهج سائر المرسلين والرسول ﷺ يسير على نهجهم ويسير على خطاهم .

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

(الاسراء ٧٧)

هذا شأن الدعاة المخلصين لله تعالى وهو نهج الرسل وطريق سيد الانبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام يدعو عدَاسا لعل الله تعالى يفتح أبواب الخير على يديه وقيّض لهذه الدعوة من يرعاها وينشرها بين الناس . (كتب السيرة أهملت هذه الحادثة وعدّتها حدثا عارضا).

لكننا نلفت إليها ونستخلص منها عبرة التصميم على الدعوة

---

(١)أخرج القصة ابن اسحاق بسند صحيح .

إلى الله واغتنام الفرص لذلك ، وعدم الاستهانة بالأحداث ولو بدت في ظاهرها صغيرة .

وبهذه الحادثة لم يعد الرسول ﷺ من الطائف خائبا بل واساه ربه ليزيده ثباتا وعزما ويقينا .

نعم لم يستمع إليه أهل ثقيف بل عرضوا عن دعوته وردوه بسوء لكن الله تعالى أتاح له عبدا نصرانيا يعرض عليه الإسلام فيسلم ويحمل مبدأ التوحيد في نفسه . فيزداد رسول الله ﷺ أن ربه لن يضيعه ولن يخذله وما عليه الا الصبر.

قال تعالى :

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

(هود ١١٥)

١٠ ـ عالمية الدعوة (إنس وجن ، الجزيرة العربية والحبشة)

حرص رسول الله ﷺ منذ بداية الدعوة على إخراج كفار قريش من رقعتهم الضيقة المحبوسة بجبال مكة إلى الوجود الفسيح . وقد نزلت آيات كثيرة بمكة تشير إلى هذا الأفق الرحب الذي بعث إليه محمد ﷺ ويشمل كل موضع يعيش عليه الثقلان : الإنس والجن فهو رسول إلى العالمين .

قال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الفرقان / ١)

وقال عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء / ١٠٧)

وقال تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(الأعراف / ١٥٨)

إن بشريات عالمية هذا الدين تتجلي في مواقف النبي وأقواله فهو يتصدي لكل وافد على مكة من القبائل العربية ويقول لوفد قريش عند أبي طالب : (نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم)

فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : (تقولون لا

إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه) .

كما تظهر عالمية هذا الدين في قول رسول الله لبني شيبان لما وفدوا على مكة . وهو واثق من نصر الله لدعوته قال : (أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن تؤووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق) . وذكرهم واقعهم مع الفرس فقال : (أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم) فقال النعمان بن شريك (اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش) .

فتلا رسول الله قول الله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

(الأحزاب / ٤٥ ـ ٤٦)

وقد شهد العهد المكي إسلام صهيب الرومي وبلال الحبشي كما شهد إسلام وفد النصارى من الحبشة الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ففاضت أعينهم بالدمع وآمنوا به وصدقوه فاعترضهم أبو جهل وقال لهم : خيبكم الله مِنْ رَكْبٍ بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال . فقالوا له : سلام عليكم لانجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه . لم نأل أنفسنا خيرا .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القصص / ٥٢ ـ ٥٥)

قال سعيد بن جبير : نزلت في سبيعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي قرأ عليهم سورة يس حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآيات .

وقد أورد ابن إسحاق في سيرته هذه الرواية :

(ثم قدم على رسول الله وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصاري حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وساءلوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلة النبي عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف به في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشام فى نفر من قريش فقالوا (ما نعلم ركبا أحمق منكم) فقالوا : (سلام عليكم لا نجاهلكم) .

ومن مظاهر عالمية هذه الدعوة وأنها ستنتشر فى أصقاع الأرض ما بشر به رسول الله ﷺ سراقة بن مالك الذي طارده في رحلة

الهجرة في آخر العهد المكي . فقد مُنع سراقة من الوصول إلى محمد وطلب الأمان فقال له ﷺ :

(كيف بك إذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه)

وقد حقق الله موعود نبيه على يد الجيل الذى رباه الداعية محمد ففتحت فارس والروم ومصر واليمن ودانت الأرض في أقل من مائة عام بالإسلام وفتحت القصور البيض من أرض بابل وخاض المسلمون البحر ففتحوا الجزر وأوصلوا الدعوة إلى معظم الأماكن العامرة ومختلف الأقوام .

وقد تجاوزت عالمية هذه الدعوة الإنس لتنتقل إلى عالم الجن حيث مر رسول الله ﷺ في طريق عودته من الطائف بعد أن حاول البحث عن نقطة انطلاقة لدعوته خارج مكة وطلب النصرة وحماية الدعوة والإعانة على تبليغها من ثقيف فأساءت ردَّه . لقد توقف ﷺ وهو عائد بمكان بين الطائف ومكة يسمي نخلة فقام من جوف الليل يصلى فمر به نفر سبعة من جن نصيبين قدموا جهة تهامة في عملية بحث عن أسباب كثرة الشهب التي حالت بين الجن وبين خبر السماء فوجدوا النبي يقرأ القرآن في صلاته فدنوا منه حرصا على القرآن فأنصتوا وهالهم ما سمعوه ومسهم منه ما يذهل وملأ نفوسهم وفاض حتى لم يملكوا السكوت فأسلموا وانطلقوا يحدثون في روعة المأخوذ عن ذلك الحدث العظيم الذي شغل السماوات والأرض والإنس والجن والملائكة وترك آثاره في الكون كله .

لقد جاء محمد ﷺ هاديا إلى الرشد فسمعته العرب وتوقف عن

الإيمان بـه أكثـرهم وتبـاطأوا وكـانت الجن خيرا منهم إذ أقبلـوا على الإيمان بمجرد السماع وقـد فطنوا إلى أن الخلق لا يرشـدون إلا بآتباع القرآن لأن دعـوته رشد خالص ، فـولوا الي قومهم منذرين وأجـابوا إلى ما سمعوا وقد قص الله خبرهم في سورة الجن وسورة الأحقاف .

قال عز وجل : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأحقاف ٢٩ / ٣٢)

لقد دعا رسـول الله ﷺ الجن فآمنوا به وصدقـوه وأصبحوا دعاة إلى دينـة الحنيـف وهـو درس بليغ في التلقي الصحيح عـن اللـه ورسولـه والأدب معهما . وفيه تأنيب لقـريش علي عنادها وتكـذيبها وفيه إيناس لمحمد الداعيـة فثمرة إنذاره لا تضيع وإن لم يستجب له أهل مكة أو الطائف فلن يعدم مستجيبين حتى من غير الإنس .

والروايـات عن وفادة الجن إلى رسـول الله بعضهما يثبت ذهـابه عليه السلام اليهم وكـلامه ودعوته لهم وبعضها تـدل أنه أوصي إليه أن نفرا من الجن آستمعـوا له وجمعـا بين الروايـات نستنتج أن اللقاء الأول الذي قصه الله في سورة الجن قال تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾
(الجن ١ ـ ٢)

هـذا اللقـاء قـد تم دون قصـد من رسـول اللـه إليهم بل المولى سبحانه أمـا لهم نحوه فسمعوه لكنه في اللقاءات الأخـرى هو الذي ذهب إليهم وكلمهم ودعاهم وأعلمهم ﷺ أن اللـه بعثه إلى الثقلين الإنس والجن وكلفهم أن يدعو قومهم .

روي البيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

(استتبعني رسول الله فقال : إن نفـرا من الجن يأتون الليلة أقرأ عليهم القـرآن . فانطلقت معـه إلى المكان الذي أراد فخـطَّ لي خطا وأجلسني فيـه وقـال لي « لا تخرج من هــذا » فبت فيـه حتى أتـاني رسول الله مع السَحَر في يده عظم ... وروثة ... فقال إذا ذهبت إلى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء) .

وقـد طالب جن نصيبين قـومهم بتصـديق دعوة الـرسول محمـد ورغبـوهم أن من آمن غفـر اللــه لـه ذنبـه وأجـاره من عـذاب أليم وهددوهم أن من أعـرض فلا مهرب لـه من الله ولا يحميه أحـد وقد استجاب كثير من الجن لهذا النفر وجاؤوا رسول الله وفودا .

١١ ـ عرض نفسه ﷺ على القبائل في موسم الحج :

أ ـ دعوته ﷺ للقبائل على مكة :

عاد رسول الله ﷺ إلى مكة بعد رحلته إلى الطائف وحضر موسم الحج ، وأقبلت قبائل العرب على البيت الحرام من كل فجّ تؤدي مناسك الحج وتقدّم للأصنام ما عليها من نذور وقرابين ، وفي الوقت نفسه تعرض بضاعتها في أسواق مكة ومن أشهرها سوق عكاظ ويقع بين مكة والطائف ومجنة سوق بأسفل مكة وذو المجاز في حرم مكّة على يمين الموقف من عرفة .

وكان رسول الله ﷺ قد عقد العزم على أن يزور هذه الأسواق كلّها ليعرض نفسه على القبائل التي حضرت موسم الحج يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه من أذى الكفار حتى يبيّن عن الله تعالى ما بعثه به .

وكانت قريش قد أعدّت عدّتها منذ علمت أن رسول الله ﷺ سيعرض دعوته على القبائل وحرصت على أن تشوّه دعوته هذه عند القبائل العربية وأن تحذّرها من دعوة محمد ﷺ التي تؤدي إلى الخلاف والفرقة بين الأهل والعشيرة حسب زعمها .

وجعلت قريش تتابع الرسول ﷺ أينما ذهب ، فكلما التقي بقبيلة من القبائل يعرض عليها دعوته وقف عليه رجل من قريش يحذرها مما يدعو إليه ويتهمه عندها بالجنون تارة وبالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى .

وكانت لقريش مكانتها في نفوس العرب ، فكان لقولهم هذا

أثره في إعـراضهم عن الرّسـول الدّاعية وعـدم استجابتهم لما يـدعو إليه .

روى ابن اسحاق عن ربيعه بن عباد الدؤلى أنه قال :

إنّي لغلام شـاب مع أبي بمنى ورسول اللـه ﷺ يقف على منازل القابئل من العرب فيقول :

يابني فـلان ... إني رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئـا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونـه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدّقوا بي وتمنعوني حتى أبلّغ عن الله ما بعثني به ..

قال : وخلفه رجل أحـوى وضيء له عذيرتان وعليه حلّـة عدنية فإذا فـرغ رسول الله ﷺ مـن قوله ومـا دعا إليـه قال ذلك الـرجل : يابني فـلان ... إن هذا إنما يدعـوكم إلى أن تسلخوا الـلات والعزى من أعنـاقكم وحلفـاءكم من الجنّ مـن بني مـالك بن أقيش إلى مـا جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له ...

قال : قلت لأبي : يا أبت من هذا الـرجل الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزي بن عبد المطلب أبو لهب ...

وروي البيهقي عن رجل من كنـانة قال : رأيت رسـول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا رجل خلفـه يسفي [1] عليه التراب ـ فإذا هو أبو جهل وهو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هـذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركـوا عبادة اللات والعزى .

---

(١) يسـفي : يثـر

ولكنّ ذلك لم يمنع رسول الله ﷺ أن يأتي القبائل في منازلها يعرض لها دعوته ويسألها نصرته وحمايته حتى يبلّغ رسالة ربّه غير مبال بما يلقاه من مناوأة قريش لدعوته وسعيها لدى القبائل في تشويهها وتمويه الحق بالباطل في أمرها موقنا أن الغلبة للحق وإن طال الزمن وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا .

وقد تأثرت القبائل العربية الوافدة على موسم الحج بسعي قريش أيما تأثر فما من قبيلة إلاّ واعترضت رسول الله ﷺ وردّت عليه دعوته في ذلك الموسم وإن كانت طريقة الردّ تختلف باختلاف القبائل .

- فمن القبائل من كان يغلظ له الرّد .
- ومنها من كان يساومه في الثمن .
- ومنها من كان يسخر منه ويستهزىء من دعوته
- ومنها من كان يتأني بالردّ حتى يفكرّ في الأمر وينظر في العواقب .

وهذه بعض المواقف التي تعرض لها رسول الله ﷺ إثر دعوته لهذه القبائل :

- أتى رسول الله ﷺ كندة في منازلهم حيث ينزلون مكة وما جاورها فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم فأبوا عليه .
- وأتي بني كلب فرفضوا دعوته كذلك .
- ودعا بني حنيفة في منازلهم وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد

من العرب أقبح ردّا عليه منهم .

وقدم على بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه فقالوا له وهم يساومونه :

أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال عليه السلام : الأمر لله يضعه حيث شاء .. فأبوا عليه ولم تقبلوا دعوته .

وفي منى وبمحضر من علي بن أبي طالب وأبي بكر الصدّيق دعا قبيلة ربيعة كما دعا مشايخ من بني شبان بن ثعلبة ودار بينهم وبينه ﷺ حوار طويل عرض فيه رسول الله ﷺ دعوته قائلا :

« أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وأن تؤووني وتنصروني حتى أؤدّي عن الله الذي أمرني به فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد » وتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى :

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (١٥١ ـ ١٥٣ الأنعام)

فأعجب القوم بما دعوا إليه وقالوا :

« دعوت ـ والله ـ يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذّبوك وظاهروا عليك ..

ولكن نرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا لزلّة في الرأي وقلة نظر في العواقب وإنما تكون الزلّة مع العجلة وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا ... ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ..

ويتضح من خلال دعوته ﷺ لهذه القبائل أن أهم ما كان يعنيه رسول الله ﷺ أن يجد المنعة والقوة عند القوم الذين يدعوهم إلى دينه وأن يجد عندهم الرغبة الخالصة في أن ينصروه ويمنعوه ممن خالفوه ، فقد كان يعلم علم اليقين أن العرب جميعا يحسبون حساب قريش ويهابونها وأنه لا ينهض بهذه الدّعوة إلاّ من آمن بها أصدق الإيمان وباع نفسه لله في سبيلها عن رضا وطواعية .

فكان ﷺ كلما أقبل على قوم سألهم عن نسبهم وعن عددهم وعن منعتهم ثم عرض عليهم نفسه ودعاهم إلى الله وحده ورغبهم فيما جاءهم به من الخير وخيّرهم بعد ذلك فيما يريدون لأنفسهم فإذا ما وجد منهم تعلّلا أو اعتذارًا أو رأى فيهم طمعا أو مساومة

تركهم وانصرف إلى غيرهم ..

والـذي يمكن أن يستخلص من هذه الأحـداث كلهّـا وما فيهـا من معـانـاة ومشقـة وصبر في تبليـغ دعـوة اللـه إلى عبـاده أن أكثـر القبائل المدعـوة من قبل رسول الله ﷺ كانت تجامل قـريشا وتخاف أن تقف منها موقف العداء .

فإعراض القبائل عن دعـوة رسول الله ﷺ راجع في الأغلب إلى هـذا السبب أكثر ممـا هو راجـع إلى عدم تصـديق الرّسـول ﷺ فيما يدعـو إليه لأن قريشـا لم تأل جهدا في محاربـة الرّسول عليـه السلام وتشـويـه دعـوتـه ولـذلك أدخلت في نفـوس القبـائل العـربيـة أن صاحب هذه الـدعوة هو ألدّ الأعداء بالنسبـة لها وأن كل من يتابعه أو يؤازره أو يمنعه إنما ينصره على قريش ويجهر بعداوته لها ..

ولكن رغم ما بـذلته قريش من تشـويه لهذه الدّعـوة ومن تحذير الناس من صاحبها عليـه أفضل الصلاة والسلام لم تستطع أن تحول بين الرسـول الداعيـة ودعوته وظهـورها وانتشـارها ولعلّ المبـالغة في التحذير كـانت سببا في لفت الأنظار إلى الرّسول ﷺ وإلى مـا يدعو إليـه ولعلّ ذلك أدّى من حيـث لا يعلمـون إلى انتشـار ذكى ﷺ في بـلاد العـرب كلهـا وذاع صتيـه وبلغت دعـوتـه إلى أغلب البيـوت العربيـة فوصلـت إلى يثرب لتكون بـداة إسلام الأنصـار من الأوس والخزرج ونصرتهم للدّعوة وربّ ضارّة نافعة .

فالرسـول ﷺ لم يتعجّل بالنتيجة لأنه مؤمن بأن اللـه سيؤيده في كل خطـواته وأن نتيجـة الـدّعوة ستكـون لصـالحه وصـالح دعوتـه عاجلا أم آجلا .

ب ـ دعوة وفد الأنصار الأول والتمهيد للبيعة :

وفي موسم الحج نفسه ومن بين القبائل العربية الوافدة على الحرم جماعة من الخزرج جاءوا من يثرب وعددهم ستة وهم : ـ

١ ـ أسعد بن زرارة بن عدس .

٢ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة

٣ ـ رافع بن مالك بن العجلان .

٤ ـ قطبة بن عامر بن حديدة .

٥ ـ عقبة بن عامر بن ناب .

٦ ـ جابر بن عبد الله بن رئاب . (١)

سمعوا رسول الله ﷺ يعرض دعوته على القبائل ورأوا أمارات الصّدق بادية عليه فتيقنوا من أنه النبي الذي توّعدهم به اليهود وهدّدوهم بقولهم لعنهم الله :

« إن نبيا سيبعث الآن قد أطل زمانه نتبّعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ... »

من أجل ذلك كان الخزرج يترقبون ظهور هذا النبي ويتمنون لو سبقوا اليهود إليه واتبعوه وآمنوا به واستنصروا به علهم .

وكما فعل رسول الله ﷺ مع الوفود الأخرى التقى عليه السلام بهذا الرهط من الخزرج عند العقبة وهم يحزمون أمتعتهم ويستعدون لمغادرة المكان والشمس مشرفة على الغروب ورغم هذا الوقت المتأخر من النهار إلاّ أن الرسول ﷺ لم ييأس ولم يفقد الأمل

---

(١) غير جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الصحابي بن الصحابي .

وكلمهم في اليوم الأخير من أيام الموسم وعرض عليهم دعوته .

قال ابن اسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : من أنتم ؟

قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام .

هذا مادار بين الدّاعية محمد ﷺ والنفر من الخزرج الذى أراد الله بهم خيرا ، فما كاد رسول الله ﷺ ينهي كلامه وعرضه الإسلام عليهم حتى آمنوا به وصدّقوه وواعده الموسم (الحج) من العام القابل .

ج ـ دعوة وفد الأنصار الثاني وبيعة العقبة الأولى :

فلما كان العام القابل جاء وفد مشترك بين الأوس والخزرج يتكون من :

١ ـ أسعد بن زرارة بن عدس (أبو أمامة) .
٢ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة .
٣ ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة .
٤ ـ رافع بن مالك بن العجلان .
٥ ـ ذكوان بن عبد قيس بن خلدة .
٦ ـ عبادة بن الصامت بن قيس .
٧ ـ يزيد بن ثعلبة بن خزمة .

٨ ـ العباس بن عبادة بن نضلة .

٩ ـ عقبة بن عامر بن زيد .

١٠ ـ قطبة بن عامر بن حديدة .

١١ ـ أبو الهيثم بن التّيّهان (واسسه مالك)

١٢ ـ عويم بن ساعدة .

لملاقاة رسول الله ﷺ عند العقبة .

ولأول مرّة يجتمع الأوسيون والخزرجيون ويتفقون على مهمة كهذه ، وهذا من صدى دعوة رسول الله ﷺ التي تدعو الناس إلى الوحدة والإخاء .

كانوا اثنى عشر رجلا ، اجتمعوا بالنبي ﷺ ليلا عند العقبة الكبرى فعرض عليهم دعوة الإسلام المتمثلة في :

١ ـ توحيد الله ونفي الشرك عنه .

٢ ـ عدم ارتكاب الكبائر كالسرقة والزني وقتل الأولاد وتمت البيعة على ذلك .

عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف .(١)

فأجابهم رسول الله ﷺ ترغيبا : فإن وفيتم فلكم الجنة وإن

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ، ٢ ص ٤٣٣

غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عزّ وجلّ إن شاء عذّب وإن شاء غفر ..

والبيعة أسلوب اتبعه رسول الله ﷺ في دعوته إلى الله وكرّره وجدّده أكثر من مرّة ليذكرّ المدعوين بالالتزام بطاعة الله وطاعته لأن البيعة عهد وميثاق والتزام بين الداّعية محمد ﷺ ومن آمن به من مدعوّيه .

ولتعليمهم أرسل ﷺ معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمّهم تعاليم الإسلام ويفقهم في الدّين.

د ـــ دعـــوتـــه ﷺ للوفد الثالث من الأنصار وبيعة العقبة الثانية :

ولما كان العام القابل وفد إلى موسم الحج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان هما :

١ ـ نسيبة بنت كعب بن عمو (أم عمارة)

٢ ـ أسماء بنت عمرو بن عدي (أم منيع)

خرجوا مع حجّاج قومهم من المشركين وكتموا إسلامهم .

وعاد معهم مصعب بن عمير مبعوث رسول الله ﷺ إلى يثرب ليبشر الرّسول الكريم بنتيجة دعوته وانتشار الإسلام في يثرب وليعلمه بأن أصبح للرسول الدّاعية أنصار أكدّوا على استعدادهم لحماية الرسول ﷺ وصحبه حتى يبلغ رسالة ربه ، وهو الموضوع

الذي أعدّه الرسول محمد ﷺ ليعرضه على هذا الوفد الطيب المكوّن من خيرة الأنصار من الأوس والخزرج ويعرض عليهم ما أمر بتبليغه ويدعوهم إلى حمايته وحماية أصحابه .

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصا على أن تتم هذه البيعة في سرّ وأن لا تتسرّب أنباؤها إلى قريش فواعد أصحابه من الأنصار شعب العقبة في ليلة اليوم الثاني من أيام التشريق وأوصاهم بأن يكتموا هذا الأمر على من معهم من المشركين وأن يأتوا إليه متفرقين إذا مضى ثلث الليل الأول ، لا ينتظرون غائبا ولا يوقظون نائما ،

كل هذا الحذر وهذه الحيطة إنما هو لضمان نجاح البيعة باعتبارها من أفضل نتائج دعوته ﷺ إلى القبائل ، فلا ينبغي التفريط فيمن به على الأقل وهو أسلوب دعوى ينبغي على كل داعية أن يلتزم به خاصة في مثل هذه المرحلة الحرجة من الدّعوة وفترة انتقالها من مكة إلى المدينة .

وفي الليلة الموعودة أمر الرسول ﷺ أبا بكر أن يقف على فم الشعب من ناحية وعليا بن أبي طالب أن يقف على فمه من الناحية الأخرى ثم جاء ﷺ ومعه عمّه العباس (ولم يزل على شركه) ليأخذ البيعة له ولأصحابه علي هؤلاء الأنصار المتحمّسين .

ويروي كعب بن مالك أحد الأنصار وصولهم إلى العقبة ومبايعتهم رسول الله ﷺ بقوله : « فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتي جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ علي دين قومه إلاّ أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له .

فتكلم العباس قائلا : يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو مثل رأينا فيه فهو في عزّة ومنعة من قومه وبلده .

فقال البراء بن معرور : إنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصّدق وبذل مُهجنا دون رسول الله ﷺ فتكلمّ يار رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فنحن نايعك .. »

ولم يترك سول الله ﷺ الفرصة تمرّ دون أن يدعو هؤلاء إلى الله تعالى مفتتحا بالقرآن الكريم وداعيا إلى وحدانية الله تعالى مرغّبا في الإسلام .

بهذا الأسلوب افتتح رسول الله ﷺ دعوته ، ولما لمس منهم تفهما واستجابة وجدّية وطاعة أملى عليهم شروط المبايعة حتى يكونوا على بينة من الأمر فقال ﷺ : تبايعوني علي السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقه في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة . (١)

عن عبادة بن الصامت (أحد النقباء في البيعة الثانية وأحد الذين بايعوا رسول الله في العقبة الأولى) قال :

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا

---

(١) الرسول ، سعيد حوى ص ١٧٧ (رواية أحمد) . والمنهج الحركي للسيرة ، منير الغضبان ص ١٦١

ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم .. [1]

وواصل كعب بن مالك روايته قائلا :

« فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا [2] فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة [3] ورثناها كابرا عن كابر » .

وتدخّل العباس بن عبادة بن نضلة وإن لم يكن نقيبا لكنه قال كلاما مفيدا وواعيا يظهر مدى الالتزام بالبيعة ويحذّر الأنصار من مغبّة عدم القدرة على الوفاء بالعهد وموضحّا ضخامة .

المسؤولية وتبعاتها قائلا :

« يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟

قالوا : نعم قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس . فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة [4] الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : إنا نأخذه علي مصيبة الأموال وقتل الأشراف ... »

وقال كعب بن مالك : فاعترض القول والبراء يكلّم رسول الله

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ، ٢ ص ٤٥٤ .
(٢) أزرنا : أولادنا .
(٣) الحلقة : السلاح .
(٤) نهكة الأموال : نقصها .

ﷺ أبو الهيثم بن التّيّهان فقال : يارسول الله : إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجح إلى قومك وتدعنا ؟

قال كعب : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال بل الدّم الدّم والهدم الهدم [1] أنا منكم وأنتم منّي أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

قال كعب بن مالك : قال رسول الله أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا عل قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهم : [2]

١ ـ أسعد بن زرارة بن عُدس (أبو أمامة)

٢ ـ سعد بن الربع بن عمرو .

٣ ـ عبد الله بن رواحة بن ثعلبة .

٤ ـ رافع بن مالك بن الجعلان .

٥ ـ البراء ن معرور بن صخر .

٦ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام [3]

٧ ـ عبادة ن الصامت بن قيس .

٨ ـ المنذر بن عمرو بن خنيس .

٩ ـ أسيد بن حضير بن سماك .

١٠ ـ سعد بن خيثمة بن الحارث .

---

(١) قال ابن هشام : الهدم يعني الحرمة أي ذمتي ذمتكم وحربي حربكم .
(٢) من ١ ـ ٩ نقباء من الخزرج و ١٠ و ١١ و ١٢ من الأوس .
(٣) أبو جابر الصحابي المشهور .

١١ ـ أبو الهيثم بن التيّهان .[١]

ويفهم من كل ما سبق أن كل من حضر هذه البيعة بايع رسول الله ﷺ على القتال بغض الطرف عمّن أول من بايع إلاّ أن المفاوضات تمت مع النقباء فقط ومن جملة من بايع المرأتان أم عمارة وأم منيع اللتان تحولتا إلى مقاتلتين ، وقد برهنت نسيبة بنت كعب (أم عمارة) على ذلك حيث سقطت جريحة في أحد وفي جسدها اثنا عشر جرحا .

وبعد البيعة أمرهم رسول الله ﷺ بالانصراف إلا أن العباس ابن عبادة بن نضلة أراد تطبيق البيعة من بداتها فتوجه لرسول الله ﷺ قائلا : والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا فأجابه رسول الله ﷺ بقوله : لم نؤمر بذلك ارجعوا إلى رحالكم .

---

(١) ذكره كعب بن مالك وعدّه نقيبا من الإثني عشر رجلا ولم يذكر رفاعة بن عبدالمنذر بن زبير .. سيرة ابن هشام ج ١ ، ٢ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .

ثالثا : الدعوة في عهدها المدني

١ ـ مصعب بن عمير في المدينة
٢ ـ مميزاتها
٣ ـ موضوعاتها
٤ ـ وسائلها
٥ ـ تكليف الصحابة بالقيام بالدّعوة

ثالثا : الدعوة في عهدها المدني :

(١) مصعب بن عمير :

بعد بيعة العقبة الأولى رأى رسول الله ﷺ أن يبعث إلى يثرب رجلا من أصحابه يتعهد الناس بتلاوة القرآن ، وبيان معانيه ، ويتابع سير الدعوة وتوسعها فى أرجاء يثرب من قريب ، فاختار رجلا من أصحابه أتاه الله تعالى من الخلق ما يستطيع به أن يستوعب أصناف الناس المدعويين ، ومن حسن الكلام ما يؤثر به عليهم . ومن القرآن وحسن تلاوته ما يسمع به آذانهم لوصله إلى قلوبهم ، ومن الفقه والإخلاص والأمانة ما يؤهله ليكون المعلم الصدوق والداعية الناجح والسفير الأمين .

ويحسن بنا أن نلقي الضوء على شخصية هذا الرجل مصعب بن عمير يكنّى أبا عبد الله ، كان من جلة الصحابة وفضلائهم من بني عبد الدار بن قصي .

كان مصعب قبل الإسلام في مكة شبابا وفتوّة وتيها . كان يخرج من بيته مختالا في حلة جميلة وطيب يستنشق ريحه فتيات قريش ، فيشرفنّ عليه من البيوت والمنازل . وكانت أمه ذات مال وفير تنفق عليه بيسر .

قال صلي الله عليه وسلم « ما رأيت بمكة أحسن لمّة ، ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمر » .

لما أنعم الله عليه بالاسلام واستقر الإيمان بالله في قلبه ترك التنعم وأقبل على كتاب الله يتلوه بلسان فصيح متأنقا في تلاوته .

فغضبت عليه أمه ونهته عن ذلك فلم يسمع كلامها فحبسته وعذبته ، لكنه لم يزده هذا العنت والرمق إلا صبرا وصمودًا حتى نحل جسمه واصفر لونه وغابت نضارته .

كان مصعب رضى الله عنه من الذين يسارعون إلى إجابة أوامر رسول الله ﷺ .

كان من أوائل الذين هاجروا إلى الحبشة فرارا بدينه غير أنه لما شاع لدى المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا ، سارع العودة إلى الديار مع جمع من أصحابه ليعيش بجانب الرسول ﷺ ينهل من معين الوحي ويأخذ من سجايا رسول الله ويستبصر بهداه .

غير انه ما أشرف على مكة هو وأصحابه حتى علموا أن الخبر باطل ، وأن العنت قائم والحرب ضد الإسلام على أشدها فرأوا ألاَّ أن لا مناص من المضى قدما نحو مكة فلم يدخل منهم أحد إلا مستخفيا أو بجوار .

اختار رسول الله ﷺ مصعب بن عمير سفيرا للإسلام إلى يثرب ، فخرج مع وفد الحجيج الاثني عشر الذين أسلموا ونزل على أسعد ابن زرارة .

وفي البلد الجديد بدأ مصعب دعوته إلى الإسلام بكياسة كبيرة وحنكة الخبير المجرب .

لم يكن رضي الله عنه ذا مال وفير وهو يواجه الناس بدعوته الجديدة ، ولم يكن ذا سلطان أو من طلاب المراكز والمنتهزين للفرص ، فرص الإثراء والتوسع في هذه الدنيا ، إنما كان كل ما لديه

رصيده الإيماني وخلقه الرفيع .

كان شابا كيّسا فطنا قبس هـذه الصفات من مربي الأمة وداعيها إلى الخيرات ومـؤهلهـا إلى التمكين في الأرض ليسعـد النـاس في الدارين الدنيا والآخرة .

كما كان رضي الله عنه قد أوتي إخـلاصا لله تعالى جعله يضحي بمال أسرته وجاهها في سبيل عقيدته .

كما أوتي لسـانا فصيحـا وبيـانـا بليغا مـؤثـرا ، يتخير من روائع القرآن الكريم ما يؤثر به على النفوس ويستهوى به القلوب .

استطاع مصعب أن يجمع حـوله النـاس في يثرب بكياسـة نادرة وتضحيـات جسيمـة كما استطاع أن يتخطي الصعـاب وبأسلـوب جذاب وحكمـه بالغـة أحدث في النـاس تغييرا ملحوظـا نقلهم من الوثنيـة إلى التوحيـد ومن ظلمات الجهل والجاهليـة إلى نور التـوحيد والإسلام .

وبعـد فترة وجيـزة شهـدت دعوة مصعب نجـاحـا لانظير لـه ، دخلت جموع غفيرة في دين اللـه الجديـد ، بل انتشر خبره في أرجـاء يثرب وتسلل إلى البيوت حتى أصبح حديث النوادي وسمر الليالي .

واشتهـر أمر مصعب بين النـاس حتى أسموه بـالمقرىء وتقـدم بالنـاس وأمهم في الصلاة حتى جـاء أمر الـرسول ﷺ بإقامة صلاة الجمعة فيهم .

سلك مصعب رضي اللـه عنه في دعـوة النـاس مسلك الداعيـة المتمرس بدعوته ، المقتنع بمبادئه ، الصادق فيما يدعو إليه ، سعة في

الصدر ، ورحابة في القلب ، لا يقابل الغضب بمثله ، بل يسارع إلى تهدئة الخواطر ويعطي الناس من حسن حديثه فيترجاهم أن يسمعوه ويعطيهم فرصة الكلام والتفكير .

فهو داعية قوي يحمل مبادىء الاسلام بين جنبيه بعز وفخار لا يخشى عليها ضعفا أو توهينا لأنها نابعة من الوحى الذي يعلو ولا يُعلىَ عليه ومن الكتاب العزيز المنزل من رب العالمين على رسوله الصادق الأمين .

كان يتوجه بدعوته إلى عامة الناس ويقصد سادة الأوس والخزرج وهو يعلم تأثير هذا الصنف من الناس على العامة منهم .

كان يدعو الناس يشد أزره أسعد بن زرادة ويشير عليه بما يراه صالحا ويوجهه إلى الأماكن التي يمكن أن يلقى فيها قبولا .

خرج أسعد بن زرادة رضي الله عنه يوما بمصعب بن عمير إلى دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ من بني عبد الأشمل ابن خالة أسعد بن زاردة فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر . فجلسا في لحائط واجتمع إليهما رجال ممّن أسلم ، وسعد ابن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عيد الأشمل ، وكلاهما مشرك على دين قومه . فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبالك . انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا ديارنا ليسفها ضعفاءنا فاجزهما وانههما عن أن يأتيا ديارنا ، فانه لولا أسعد بن زرادة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما .

فأخذ أسيد بن حضير حربته ، ثم أقبل عليهما ، فلما رآه أسعد ابن زرارة قال لمصعب بن عمر : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مصعب : إن يجلس أكلمه ، قال : فوقف عليهما متشتما قال : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ؟ فإن رضيت أمرًا قبلته وإن كرهته نُلْف عنك ما تكره . قال : أنصفت . ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله . كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قال له : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي .

فقام واغتسل وطهر ثوبه و وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكم الآن : سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانطلق إلى سعد وقومه جلوس في ناديهم . فاستدرج أسيد بن حضير سعدا حتى وصله بين يدي الرجلين . فقال أسعد بن زرارة لمصعب : أي مصعب جاءك والله سيد من ورائه قومه ان تبعك ما تخلف عنك منهم اثنان . فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره .

قال سعد : أنصفت ثم ركز الحربة وجلس .

فعـرض عليه الاسـلام وقرأ القـرآن فتسـارع سعد إلى التصـديق فاغتسل وطهر ثوبه ونطق بـالحق وصلى ركعتن ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير .

فأقبل عليهم قـائلا : يـابني عبـد الاشهل كيف تعلمـون أمـري فيكم ؟ قالـوا : سيدنـا وأفضلنا رأيا وأيمننـا نقيبة . قـال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

فما جاء المسـاء حتى أسلم الجميع . وما لبـث أن انتشر الإسلام في أرجاء المدينـة لم تبق دار من دور الأنصـار إلا وفيها رجـال ونساء مسلمون .

استطـاع مصعب بن عمير رضي اللـه عنـه أن ينشر الإسـلام بـاقتدار كبير ، عـرف كيف يمتص نقمة النـاس ويرد التشتم بمثلـه وبمهـارتـه وأسلـوبـه تولى اللـه تعـالى قلـوب أهل يثـرب فهـداهم للإسـلام وقد رأينـا كيف كان أسعد يطلـب من مصعب أن يصدق اللـه فى دعوتـه لأسيـد . فإخـلاص الداعيـة للـه يعينه على انفتـاح القلوب له.

وعاد مصعب إلى رسـول الله قبل موسم الحج يحمل إليـه بشائر المدينـة ويخبره بما لقيه الاسـلام من قبـول حسن بين الأوس والخزرج ويبشره بأن جموعـا كبيرة أسلمت وأن وفودا سـوف تقبل عله لتبـايعه على الإسلام ويرى منهم ما تقرّ به عينه ويهنأ باله .

(٢) مميزاتها :

كانت الدعوة في العهد المدني حريصة على مواصلة نقلة الإنسان من الظلمات إلى النور ومن الذلة إلى العزة والتمكين .

لقد خاطبت الدعوة في عهدها المدني أنماطا شتى من الناس مختلفين في الثقافة والتقاليد والبيئات وراعت الدعوة في اتصالها بهم هذه الفوارق .

إن منهج تبليغ الدعوة في المدينة رغم قيام دولة الإسلام لم يسجل حادثة إكراه واحدة على الدخول في الإسلام بل كان يعتمد الرفق والرحمة .

قال عليه السلام : « تألفوا الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا غيرهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر أو وبر إلا إن تأتوني بهم مسلمين أحبّ إليّ من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

إن ترسم خطى العمل النبوي الشريف في عملية تبليغ الدعوة تبرز خلوها من السرية واعتمادها الرفق وبعدها عن الإكره وتميّزها اللجوء إلى الجهاد وسيلة لتأمين نشر الدعوة وإزاحة العقبات من طريقها .

أ ـ خلوها من السرية :

بعداختيار المدينة مركزا جديدا لانطلاق الدعوة وتهيئة الأرضية لاستقبال المهاجرين واستعداد الأنصار للإيواء والحماية وتبليغ

الرسالة علنا ودون وجل ، بدأ الرسول الداعية ﷺ في إعلان مبادىء دعوته وإقامة دولته فكان جادا في تغيير قلوب الناس من الضلال إلى الهدى ونقلة معيشتهم من الجور والضنك إلى العدل والسعادة ، فأخذ يدعو من وفد عليه ويصحح أخطاء أهل الكتاب من يهود ونصارى ويعتني بالداخلين الجدد في الإسلام فيكلف من يتابعهم على تعاليم الدعوة ويواظبون على ممارسة شعائرهم ، كل ذلك جهارا، بل ويراقب من قبل الصلح والأمان ليعلم مدى صدقهم في ميثاقهم ومدى التزامهم بالحقوق حسب العهد ويتعرف على درجة ثبات قلوبهم على الإيمان فكان يرسل المعلمين لتعليم القرآن وأصول الدين الحنيف ويرسل الجباة للصدقات والجزية .

لقد أرسل ﷺ تمهيدا للهجرة مصعب بن عمير فاتح المدينة ليعلم أهلها القرآن ويدعوهم إلى الله فوفق في الدعوة وأمّهم في الصلاة وفقههم في الدين .

كما تولى ﷺ الدعوة والمتابعة في الأقاليم التي دخلت في دين الله يطمئن على إسلامها ووفائها بما عاهدت به أو تصالحت معه عليه .

لقد كان الجهر بالدعوة في المدينة منذ وصول الرسول وصحابته إليها لأن الدولة قامت وتكونت القاعدة الصلبة التي تحمي الدعوة وهي مستعدة المواجهة مهما عظمت التكاليف .

ب ـ لا إكراه في الدعوة :

بعد قيام دولة الإسلام في المدينة ورغم الأذي الشديد الذي

سلط على المسلمين حملة الدعوة في مكة لم يفكر رسول الله ﷺ في انتقام أو رد فعل ضد المعاندين والمتسلطين ولم يستغل سلطانه ليكره أحدا على الدخول في الدين .

إن الرفق والحلم هما سمة الدعوة ، فكل اتصال لتبليغ الرسالة إلى الناس كان يتم بطابع اللين والمودة يظهر ذلك في مواقف عملية من حياة النبي عليه السلام : فقد بقي اليهود في المدينة عل دينهم ولم يكره أحدا على تغييره ، كما ترك النبي ﷺ وأصحابه من بعده أهل المدن المفتوحة أحرارا في عقيدتهم رغم غلبتهم عليهم .

جاء في كتاب الرسول إلى أهل اليمن : « من كره الإسلام من يهودي أو نصراني فإنه لا يحول عن دينه وعليه الجزية » رواه ابن حزم.

قال الله تعالي :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(سورة يونس / ٩٩)

وورد في سبب نزول قول تعالى (لا إكراه في الدين) أنها نزلت في رجل من الأنصار كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما فقال للنبي : ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية . فأنزل الله الآية.

ولا يقدر أحد أن ينقل أن رسول الله أكره أحدا على الإسلام لا ممتنعا ولا مقدورا عليه رغم أن أمر المسلمين في المدينة كان بأيديهم من أول يوم .

لقد خلّف رسول الله ﷺ في رسائله التي وجهها إلى الملوك

والولاة أدلة ساطعة على حسن معاملة المتخالفين في الدين . فمنها قوله ﷺ في عهده إلى أحد الولاة على اليمن :

« من أجاب إلى الإسلام فله مالنا وعليه ما علينا ، ومن ثبت على دينه من أهل الأديان فإنه لايُضَيَّقُ عليه » .

وفي كتابه عليه السلام لعمرو بن حزم (عامله على اليمن) قال : « وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها »

ومن تعليمات رسول الله لمعاذ بن جبل ما يدلّ على عدم الإكراه على الدخول في الإسلام والاستجابة للدعوة قال عليه السلام :

« ومن أقام على دينه وأقر بالجزية ترك ودينه وله ذمة الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين لا يقتل ولا يسبى ولا يكلف إلا طاقته ولا يفتن لترك دينه » .

وقد كان عليه السلام لا يقاتل قوما إلا بعد البدء بدعوتهم فالإسلام ينتشر بالترغيب فيه وتحبيب مبادئه للناس وليس بفرضه عليهم بالسيف وقهرهم على اعتناقه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قتل رسول الله قوما إلا دعاهم . رواه أحمد » .

وكان ﷺ إذا أمّر أحدا على جيش أوصاه بالتقوى في خاصة نفسه وبا لمسلمين خيرا ثم قال « اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث

خصال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فلهم الجزية.. فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم »

لقد قدّم ﷺ دعوة الكفار إلى الإسلام على أخذ الجزة والمقاتلة لان الغاية من الجهاد ليست الغنائم والمقاتلة بل هداية الناس وخيرهم .

ج ـ الفتح وسيلة لنشر الدعوة :

إن الجهاد لدى رسول الله وصحبه وسيلة لتأمين الدعوة وتيسير تبلغها ولم يكن رد فعل على الاضطهاد المسلط على المسلمين بمكة . إن الهدف من كثير من الغزوات والسرايا كان إيصالا للدعوة وشرحا للصدور وفتحا للعيون وتغييرا للنفوس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

لم يكن الفتح انتزاعا لحريات الناس واغتصابا لدارهم وليس الغاية منه استعباد الناس أو الاستئثار بخيرات أراضيهم وإنما شرع الجهاد لحماية دولة الحق ولإنقاذ البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

فبالجهاد يحفظ إيمان المؤمنين ويضمن أداء الفرائض ويمنع أعداء الله من فتنة المسلمين فلا يفرض مبدأ ولا يكره على عقيدة .

لقد أخذ النبي ﷺ وصحبه أنفسهم بالالتزام بحماية الحق للذين آمنوا به ولو أدى ذلك إلى جفوة الأهل وسخط العشيرة أو إلى

التعرض للأذى فقد تربوا على الصبر والثبات فإن وقف أمام وصول الدعوة إلى الناس عائق يريد عرقلتها جاهدوه حتى لا تتعطل المسيرة ويفشو أمر الإسلام ويشع نور الإيمان على كل قلب ومن انتصب حجر عثرة في طريق الدعوة أزيل ولو بالقوة .

إن طابع التربية في المدينة طابع الإقدام وبيع النفس ابتغاء مرضاة الله ليطمئن المسلمون في ديارهم وليقضى على الشر والشرك والطاغوت والباطل المتربص بالدعوة وأهلها ، وترك مقاتلة العدو يسبب هدم بيوت الله وانعدام الأمن وفقدان حرية المعتقد وضياع الحقوق .

قال الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الحج / ٣٩ و ٤٠)

فالإذن بالقتال ليس إذنا بالاعتداء كما يستبيح ذلك الكفار في كل عصر ويلجأون إلى جميع الوسائل ولو كانت دنيئة لتحقيق غايتهم لأن القاعدة عندهم « الغاية تبرر الوسيلة »

لقد كان الجهاد في عهد رسول الله طريقا لتأمين تبليغ الدعوة مثل فتح مكة وغزوة تبوك كما استمر بعده فى عهد الراشدين وسيلة لإبلاغ الرسالة وإنقاذ الناس من الجهالة إلى الرشد وذلك مثل

موقعة القادسية فقد كان الصحابة يحملون الخير والرحمة لأهل فارس ولم يخرجوا لغزو أو استعمار بل للذود والإنقاذ والحماية .

لقد كان النبي ﷺ في جهاد متواصل في سبيل الدعوة وفي المدنية أذن له بالقتال لتأمين استمرار الدعوة والاتصال بالشعوب لعرض الإسلام عليها .

إن الجهاد والفتح في الإسلام هو الحصن الذى يحوطه ويحميه شرعه الله لنصرة دينه وحماية الدعوة وإعلاء كلمة الله .

ولم يشرع حبا في السيطرة وظلم الشعوب وبسط النفوذ بل لاستئصال الفساد وكف العدوان وحماية المستضعفين وتبليغ كلمة الله . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (سورة النساء / ٧٥)

فالإسلام حريص على دخول الناس في دعوة الله ولا يقاتل الا من حال دون هذه الغاية .

(٣) موضوعاتهـــا :

أ ـ التوحـيد

إن دعـوة الرّسـول ﷺ تقوم على التوحيد من بدايتها إلى نهايتها ، فإذا مـا دعـا رسـول اللـه ﷺ الناس إلى الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبادة ونفي الشريـك عنه طيلة إقامته بمكـة ليس معنى ذلك أنه توقف عن الدّعـوة إلى الله تعالى ووحدنيته بعد أن هـاجر إلى المدنية بل جعل التوحيد هو الأساس الذي تقوم عليه الأعمال كلها .

فـالعقيـدة التي ظل رسـول اللـه ﷺ يضع قواعدها ثلاثة عشر عاما على أساس الإيمان الصادق بالله تعالى وحده قد آن لها أن تؤتي ثمارهـا وأن تظهر آثـارهـا في الفرد والجماعـة عمـلا صالحا ينقطع بـه الفساد ويعمّ به الصّلاح .

فإذا ما كـان التوحيد في بـدايته فكـرة تستقى في النفوس وتكمن في خفايا الضمائر وينطق بها اللسان إلاّ أنه في المدينة صارت الفكرة ذاتها تـدفع صـاحبهـا إلى العمل بها لتشريعات المواكبـة للمـرحلـة الجديدة من الدّعوة فى عهدها المدني .

وإذا كـان تـوجيه الـداعيـة محمـد ﷺ لأتباعه في بداية دعوته : «قـولوا لا إلـه إلا اللـه تفلحوا» فبـالقـول مع إخـلاص النية يكـون الفلاح والفوز بالجنة فإن التوحيـد في المدينة أصبح القول فيه مرتبطا بالعمل وإلاّ لا قيمة لهذا التوحيد .

ولـذلك أكـد رسول اللـه ﷺ في هذه المرحلة الجديدة من دعوته على أن التوحيد صلـة المسلم بربّه فهي صلة العبـودية الخالصة التي

تقوم على إخلاص الدّين له وحده لا شريك له والاعتقاد بأنه ربّ العالمين وأنه الإله الحق وأنه لا إله غيره ولا معبود سواه وأن الحاكمية لله وحده .

قالتعالى :

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(٤٠ يوسف ٩)

فما على المسلم إلاّ أن يراعي ذلك في أقواله وأعماله إذ لا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان وأساس الإيمان التوحيد .

تلك هي المعاني التي ركز عليها رسول الله ﷺ في دعوته لأنها تتصّل بالتوحيد اتصالا وثيقا وأرادها أن تكون راسخة في أذهان مدعوّيه مقترنة بالعمل الصالح حتى يكون المجتمع المدني من خلال هذه الدّعوة والحرص عليها صلبا متينا يقوم على دائم قوية .

ومن المظاهر العملية لتركيز التوحيد في نفوس أتباعه ﷺ أنه هدم بنفسه الأصنام التي كانت تحيط بالكعبة وعددها ثلاثمائة وستون صنما فكان ﷺ يطعنها بمبحجن لتسقط بمجرّد اللمس وكان يقول عليه السلام :

« جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وما يبديء الباطل وما يعيد »

كما أمر الرّسول ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة بهدم اللات صنم يوجد بالطائف .

كما أرسل ﷺ خالد بن الوليد لهدم العزى وكانت بنخلة .

كل ذلك للقضاء على الوثنية القضاء المبرم لتكون عقيدة المسلم هي عقيدة التوحيد الصافية النقية .

ب ـ الأخـــوة :

حـرص رسـول اللـه ﷺ منذ أن حلّ بالمدينة على وحدة الجماعة المؤمنة وتماسكها على أسس متينة وصلبة .

فبعد أن جمعهما ﷺ على عقيدة التوحيد أراد تطبيق ذلك الدّعوة إلى الأخـوة في الله ليجعل رابطـة العقيـدة هي الـرابطة الحقيقـة بين المسلمين تفوق رابطته الدّم والـروابط الأخرى ، محطما بذلك الأسس التي يقوم عليها المجتمـع الجاهلي. فدعا ﷺ إلى الأخوة بين المسلمين وأرادها أخوة خالصـة لله تعالى أساسها الإيمان باللـه وامتثالا لقوله عزّ وجلّ :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(١٠ الحجرات)

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه »

(متفق عليه)

ومن الأهداف التي سعى رسـول الله ﷺ إلى تحقيقها من خلال دعوته إلى الأخوة القضاء على فوارق النسب واللون والوطن وأراد ﷺ بهذا الإخـاء أن تذوب عصبيـات الجاهليـة فـلا حمية بعـد اليـوم إلاّ

لـلإسلام ووضّح الـدّاعية محمـد ﷺ بأنه لا تأخر أحد ولا يتقدم إلاّ بمروءته وتقواه .

فـآخى بين المهاجـرين والأنصـار أوّلا ليُذْهـب عن المهاجـرين وحشـة الغـربـة ويـؤنسهم من مفـارقـة الأهل والعشيرة ويشـد أزر بعضهم ببعض .

ثم آخى عليه السلام بين المهاجرين بعضهم ببعض ثانيا .

ثم آخى بين الأنصـــار بعضهم ببعض ثـالثـــا ، أو سهم مع خَزْرجهم ليقضي الرّسول الكريم بدعوته هذه العداوات السابقة .

بالألفة والمحبة التي تجمع القلـوب وتقضي على كل ما من شأنه أن يؤدي إلى نفورها ..

فجعـــل ﷺ هذا النوع من الأخوة علاقة بين النسيب والوضيع ، والشريف والمولى ، والغني والفقير وأعلنهـــا صراحـة ودعـــا الجميع إليها بقوله عليه السلام .

« تآخوا في الله أخوين أخوين »

ولتطبيق مـا يـدعـو إليـه أخى رسـول اللـه ﷺ بين حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسـد رسوله وعمه وزيد بن حـارثة مولاه كما آخى عليـه السلام بين جعفـر بن أبي طـالب « ذو الجناحين » ومعـاذ بن جبل .

وأكثر الأخوة شهـرة هي الأخوة التي عقدهـا رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وهـذه بعض أسماء الصحابة الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ :

* أبو بكر الصديق و خارجة بن زهير
* عمر بن الخطاب و عثمان بن مالك
* أبو عبيدة عامر بن الجراح و سعد بن معاذ
* عبد الرحمن بن عوف و سعد بن الربيع
* الزبير بن العوّام و عبد الله بن مسعود
* عثمان بن عفان و أوس بن ثابت
* طلحة بن عبيد الله و كعب بن مالك
* سعيد بن زيد و أبي بن كعب
* مصعب بن عمير و أبو أيوب الأنصاري
* أبو جذيفة بن عتبة و عباد بن بشر
* عمار بن ياسر و حذيفة بن اليمان
* أبو ذر الغفاري و المنذر بن عمرو
* حاطب بن بلتعه و عويم بن ساعدة
* سلمان الفارسي و أبو الدرداء
* بلال بن رباح و أبو روحة الخثعمي .

وكان رسول الله ﷺ الأخ الأكبر لهذه الجماعة المؤمنة لم تميز عنهم بلقب إعظام خاص .[1]

وفي الحديث :

«لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذته ـ يعني أبا بكر ـ خليلا ولكن أخوة الإسلام أفضل» . (البخاري)

---

(١) فقه السيرة : محمد الغزالي ص ١٩٢ .

وتروي كتب السيرة أمثلة حيّة تدلّ على أن هذه الأخوة عقد نافذ لا لفظ فرغ تجلت فيه عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة ، فما نزل مهاجري على أنصاري إلاّ بقرعة .

ومقابل هذا الحرص وهذه الحفاوة البالغة التي أظهرها الأنصار لإخوانهم المهاجرين فإن الآخرين قد قدروا هذا البذل الخالص فما استغلوه ولا نالوا منه إلاّ بقدر ما يتوجهون به إلى العمل الحر الشريف .

ولعلّ أروع مثال لذلك ، المؤخاة التي تمت بين عبد الرحمن بن عوف المهاجري وسعد بن الربيع الأنصاري الذي عرض على أخيه في الله نصف ماله وإحدى زوجتيه قائلا :

« إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها فإذا انقضت عدّتها فتزوّجها » قال (عبد الرحمن) : بارك لله لك في أهلك ومالك ومن أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب [1] إلاّ ومعه فضل من إقط [2] وسمن ثم تابع الغدو ، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة [3] .

فقال النبي ﷺ : مَهْيَمْ [4] قال : تزوجت ــ قال : كم سقت إليها ؟ قال : نواة من ذهب . فقال النبي ﷺ أو لم ولو بشاة .

(البخاري)

---

(١) انقلب : رجع .
(٢) إقط : شيء يتخذ من المخيض الغنمي .
(٣) صفرة : زعفران .
(٤) مَهْيَمْ : ما حالك وما شأنك ؟

ومن مظاهر هذه الأخوة ما رواه أبو هريرة قائلا :

قـالت الأنصـار للنبي ﷺ : أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قـال : لا فقالوا : فتكفـونا المؤنة ونشاطركم في الثمـرة قالوا : سمعنا وأطعنا .

(البخاري)

يستنتج من خلال هذا الحوار أن الأنصار طلبوا من الرّسول ﷺ أن يقسم مـا يملكـون من النخيل بينهم وبين إخوانهم المهـاجـرين فأبي الـرّسـول ﷺ والمهاجرون فاقترح الأنصار اقتراحا آخر يرضي المهاجرين ويحفظ لهم كـرامتهم فقالوا : تكفونا المؤنـة ونشاطركم فى الثمـرة معني ذلك أن المهـاجـرين سيقـومـون على خـدمـة النخيل ورعـايتهـا من سقي وتأبير إلى غير ذلك من الأعمال التي تحتـاجهـا النخلة حتى تثمر ومقابل هذا العمل يحصلون على نصف الثمار بعد جنيه عندها قال المهاجرون : سمعنا وأطعنا .

هكـذا كـان المهاجـرون متعففين غير مستغلين وكـان الأنصـار كـرمـاء أسخيـاء مع إخـوانهم علي مرّ الأيـام لم ينـدمـوا ولم يخذلـوا إخوانهم بل يؤثرونهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . .

فلمّا غنم المسلمـون أمـوال بني النضير دعـا رسـول اللـه ﷺ الأنصار وذكرّهـم بما صنعوا للمهاجرين وإنزالهم إيـاهـم في منازلهم وأثرتهم على أنفسهم ثم قال :

« إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ممـا أفاء الله عليّ من بني النضير وكـان المهـاجـرون على مـا هم عليـه من السكنى في

منازلكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم »

فأجابه زعماء الأوس والخزرج :

يا رسول الله ، بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا .. ونادت الأنصار ، رضينا وسلمنا يا رسول الله . (١)

فامتدح الله صنيعهم ووعدهم بالفلاح بقوله :

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(٩ الحشر)

لقد كان هذا الإخاء تجربة رائدة في تاريخ العدل الاجتماعي ضربت فيه الجماعة المسلمة المقتدية بهدي النبي ﷺ مثلا ساميا للمجتمع الذي يقيمه الإسلام على دعائم المواساة والعدل والتكافل والمحبة والأخوة والرحمة .

ومن آثار هذه الأخوة أن سعد المجتمع كله وقد تحرّر من حياة الخوف والدّماء والقتل والعداوة والبغضاء وقد ألف الله بين قلوب أفراده وجعلهم في دينه إخوانا .

قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٦٣ الأنفال)

---

(١) المغازي للواقدي : ج ١ ص ٣٧٩ (السيرة النبوية مقرر الكليات المتوسطة للمعلمين ـ سلطنة عمان) .

ج ـ تزكية النفس :

من مظاهر التوحيد وآثاره العملية دعوة الرّسول ﷺ أصحابه للمحافظة على الصلوات لأن في الصلاة تزكية للنفس وتطهيرا مستمرّا لها ، وهي اتصال دائم بالله عزّ وجلّ ومتى كان العبد دائم الصلة برّبه فقد أصبح المدعوّ أكثر خشية له من سواه وأكثر حرصا على طاعته وأشد بعدا عن مخالفته وهي الغاية المرجوّة من دعوته ﷺ .وتزكية للنفوس دعا رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار إلى توثيق علاقتهم بكتاب الله وسنة رسول ﷺ قراءة وتدبّرا وحفظا وعملا وتعليما كي تسمو نفوسم وتتطهر وذلك بالإكثار من النوافل صلاة وصياما وصدقة .

قال تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(١٠٣ التوبة)

ولما فسّر رسول الله ﷺ قول الله تعالى : (قد أفلح من تزكى) بين أن تزكية النفس تقتضي تطهيرها من الشرك والكفر والمعصية)

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال في ذلك : من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله .

وتشمل تزكية النفس زكاة الأعمال أي تطهيرها من الرّياء والنفاق والتقصير .

هكـذا علمّ رسـول اللـه ﷺ أتباعه ودعاهم إلى الإكثار من ذكر الله اعتقادا وقولا وعملا تسبيحا وتمجيدا وثناء.

كما دعاهم صلوات اللـه وسلامه عليه إلى تقـوى الله واستشعار عظمته ومـراقبته لهم لتكـون نفوسهم زكية طـاهرة تجنبهم الـوقوع في معصية الله .

قال عليه السلام :

« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنـة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »

(الترمذي)

كما دعـــا ﷺ أتباعه إلى كل عمل يقرّبهم إلى الله تعالى وتزكو به نفوسهم كزيارة القبور ومحاسبة النفس وغيرها من الطاعات .

ومن آثار هذه الدعوة أن التف به ﷺ فريق من الرّبانيين الأتقياء كـانوا لـه تـلاميذة مخلصين فـزكت بصحبتـه نفـوسهم لأنهم كانـوا مـوصولين بـالله على أسـاس صحيح ومتين وهـذا هو سرّ الارتقـاء الـروّحي والجماعي الـذي أدركـه أصحـاب رسـول اللـه ﷺ فكانوا مدفوعين لأداء هذه الطاعات شغوفين بها لما لمسوه من صفاء النفس وراحة البال إثر كل عبادة .

وقـد أثـــر عن الـــرسـول ﷺ أنه كان يقول لبلال بن رباح عند دخول وقت الصلاة : أرحنا بها يا بلال .

وهذه صورة توضح مدى ما وصلت إليه نفوس الصحابة الكرام من تزكية وطهر ونقاء :

قال ابن عباس رضي الله عنها عند تفسيره لقول الله تعالى :

(قد أفلح من تزكى)

نزلت في عثمان بن عفان وقال « كان بالمدينة منافق كانت له نخلة مائلة في دار رجل من الأنصار ، إذا هبّت الرّياح أسقطت البسر والرُّطب إلى دار الأنصاري فيأكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال :

إن أخاك الأنصاري ذكر أن بسرك ورطبك يقع إلى منزله فيأكل هو وعياله فهل لك أن أعطيك نخلة في الجنة بدلها فقال :

أبيع عاجلا بآجل ؟ لا أفعل .

فذكروا أن عثمان بن عفان أعطاه حائطا [1] من نخل بدل نخلة ففيه نزلت (قد أفلح من تزكى) [2].

هكذا كانت نفوس الصحابة زكية طاهرة غير متعلقة بزينة الدنيا وزخرفها .

د ـ ملازمة الجماعة :

كان رسول الله ﷺ حريصا على المحافظة على جماعة المسلمين وداعيا إليها حتى لا يشعر الفرد بالغربة واليأس والقنوط وحتى لا يسيطر عليه الشيطان .

---

(١) حائطا : بستاناً .
(٢) تفسير القرطبي ج ٢ .

ومن خلال دعـوته ﷺ في المدينة كان يدعو أصحابه إلى ملازمة الجماعة لما في الجماعة من قوة وخير كثير .

قال ﷺ :

« عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية »

(أحمد والنسائي)

وهذا الأمـر يقتضي الوجـوب والتأكيد حتى لا يشـذ المسلم ولا يتخلى عن الجماعة .

وللترغيب في مـلازمة الجماعة جعـل الله تعالى أجـر من صلى في جماعة يفوق سبعا وعشرين مرّة على من صلى منفردًا .

قال عليه السلام :

« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة »

(متفق عليه)

ودعـوة محمـد ﷺ موجهة إلى الجماعات لا إلى الأفراد وإن كانت في بدايتها اتصـالا بالأفراد إلاّ أن الغرض من هـذا الاتصال تكوين الجماعة ، هذا ما سعـى إليه رسول الله ﷺ من بداية دعوته فما بالك بـا لمرحلة المدنيـة عنـدما استقـر المسلمـون با لمدينـة وكـونوا مجمعـا إسلاميا يضم جماعة وكوّنوا مجتمعـا إسلاميا يضم جماعة خيّرة مؤمنة تسعى إلى تطبيق شريعة الله في الأرض .

وكـان نقباء أهـل المدينة الاثنـا عشر الـذين انتخبـوا ليلة بيعـة العقبـة الثـانيـة اشتركـوا مع رسـول اللـه ﷺ في تدبير أمر الجماعة

وتكوينها وتدعيمها .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يحث أصحابه على ملازمة الجماعة ويتوعد الخارج منها ويوضح أنه رأي ملزم في غالب الأحيان حفاظا على كيان الأمة من التفرق والتمزق والتشتت .

وما المسجد الذي شيده رسول الله ﷺ وساهمت فيه الجماعة المؤمنة إلاّ دليل على ملازمة الجماعات وفيه تقام الصلوات جماعة ومنه تنطلق الدّعوة إلى الله تعالى ..

وللتأكيد على ملازمة الجماعة وأهميتها عدّ رسول الله ﷺ الخروج منها مروقا من الدّين فقال :

« والمارق من الدّين الترك للجماعة »

(البخاري)

وكفي بالرسول ﷺ تحذيرا للأمة من التخلي عن الجماعة قوله ﷺ متوعدّا :

« من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلاّ أن يراجع »

(الترمذي)

وقوله أيضا :

« من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية »

(أحمد ومسلم)

(٤) وسائل الدعوة :

أ- الحلقات بالمسجد :

المساجد بيوت الله تعالى ومنارات الإسلام ، من مآذنها ترفع كلمة التوحيد ، وينادى حي على الصلاة ، حي على الفلاح .

فيها يؤدى المسلمون الصلاة وتحت عرصاتها يتعلمون مبادىء الإسلام ويتربون على الأخلاق السلمية .

هي مدارس تخرج الأجيال رجالا للدعوة إلى الله تعالى ، وأساتذة ينشرون العلم بين الناس ويرفعون الجهل عن الأمة ، ومنها تنظم الجيوش ، وتبعث السرايا والغزوات .

ولتحقيق هذه الأهداف السامية بنى رسول الله ﷺ مسجده وجعله قاعدة مركزية تحيط به البيوتات وتنتمي إليه الشوارع والأزقة .

فيه يجتمع أصحابه حلقا للذكر ومدارسة آيات القرآن الكريم ، وكان يحرص أصحاب على حضور هذه الحلق ويرغبهم فيها وهو القائل عليه الصلاة والسلام .

« وإذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال « حلق الذكر »

ثم قال : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون آيات كتاب الله ويتدارَسُونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم .

الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » . (١)

وكان عليه الصلاة والسلام يجمع أصحابه حلقا في المسجد يتدارسون أنواع العلوم الشرعية وكان الصحابة ضوان الله عليهم يواظبون عليها ويداومون على حضورها حتى أصبحت الحلق عبارة عن فصول دراسية ينهل منها طلاب العلم والمعرفة ما يحتاجون إليه من علوم تبصرهم بدينهم العظيم .

روى أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد فوجد أصحابه عزين (١) يتذاكرون فنون العلم . فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرأون القرآن فجلس إليهم فقال : « بهذا أرسلني ربي »

ثم قام إلى الثانية فوجدهم يتكلمون في الحلال والحرام ، فجلس إليهم ولم يقل شيئا .

ثم قام إلى الثالثة فوجدهم يذكرون توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه فجلس إليهم كثيرا ثم قال :

« بهذا أمرني ربي » (٢)

بهذه التربية السليمة وطن الرسول الداعية أصحابه على طلب العلم والجلوس في حلق الذكر ومدارسة العلوم وهو منهج كفيل بتخريج جيل من العلماء وإعدادهم الإعداد الصحيح لنشر الدعوة في أرجاء الأرض .

---

(١) عزين : الطائفة من الناس .
(٢) الجامع الصحيح : مسند الإمام الربيع بن حبيب ٢٨ .

وكـــان ﷺ كلما نزلت عليه آية من الوحي أو حزبه أمر ، أو طرأ طارىء إلا ونادى في الناس :

«ا لصلاة جـامعة » . عندهـا يسارعون إليـه مستجيبين للنداء ، ينتظرون الجديد مـن الوحي ليحفظوه ويتفقهوا في فهمـه ويستوعبوا أحكامه أو أوامر منه عليه السلام ليطبقوها ويلتزموها في حياتهم .

لـذا جعل الـرسـول ﷺ المسجد قاعدته التي ينطلق منها لبناء المجتمع الإسـلامي الغنـي ، ومَقَـرًّا لـدولتـه الجديـدة ، فيـه تعقـد النـدوات ، وتؤخـذ العلوم ، وفيـه تقـام الصلاة ، ويعيـد الله تعـالى بسائر العبادات من تلاوة القرآن وذكر وتسبيح .

قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾

(النور ٣٦/ ٣٧)

كان عليـه السلام يتعهد أصحابـه بالموعظة في حلقـات الدرس في مسجـده « عن شقيق بن سلمـة قال : خـرج علينـا عبد اللـه بن مسعـود رضي الله عنـه قـال : إني لأخبر بمجلسكم فما يمنعنى من الخروج إليكم الا كراهيه مللكم ، وإن رسول الله ﷺ كان يُخَوِّلنا [1] بالموعظة مخافة السآمة علينا » [2]

ب ـ التعليم والمتابعة :

من وسائل الدعوة الناجحة التى سلكها رسول الله ﷺ تعليم أصحابه مبادىء دينهم وتكليفهم بتبليغ الدعوة للناس .

أمرهم أن يجاهدوا في الدعوة إلى الله . وان يعلموا مبادىء الإسلام من لا يحملها وحذرهم من كتمان العلم ، وما أنزل الله من الهدى والبينات ، وأمرهم أن يصبروا على أذى الخلق في سبيل تعليم الناس هذه المبادىء السامية ، وحرضهم على أن يثبتوا على تحمل مشاق الدعوة .

أمر المسلمين أن يبدأوا بتعليم أولادهم ويوطنوهم على الإيمان والإسلام وتلاوة القرآن فقال عليه السلام :

« تعليم الصغار يطفيء غضب الرب »

« رواه الإمام جابر بن زيد عن أنس بن مالك موصولا » . (١)

وقال أيضا « علموا أولادكم القرآن فإنه أول ما ينبغي أن يُتَعلمَ من علم الله هو » .

كان ﷺ يأمر أصحابه بأن يتعهدوا الداخلين الجدد إلى الإسلام بالتعليم بل ذهب إلى أبعد من ذلك وحرصَ على أن يتعلم أصحابه القراءة والكتابة .

ففي غزوة بدر كان عليه لسلام ينادي من ليس لهم مال بأن يعلم كل واحد عشرة من المسلمين الكتابة .

---

(١) مسند الإمام الربيع بن حبيب : حديث رقم ٢٣ باب في العلم وطلبه وفضله .
مسند الإمام الربيع بن حبيب : حديث رقم ٣ باب في ذكر القرآن

وكان زيد بن ثـابت ممّن تعلم بهذه الطريقة وعـدد من الصحابه رضوان الله عليهم .

ومن هـــذا الموقف يبرز منهج الـــرســـول ﷺ في تقدير العلم وتشجيع تعلم الكتابة ونشر المعرفة .

فكـان يقول لأصحـابـه « خيركم من تعلم القرآن وعلمـه » وفي هذا دعوة إلى أن يتعلم المرء القرآن تلاوة وتفسيرا وأحكاما يتبع ذلك تواصل في العلم بنشره وتلعيمه للآخرين .

عكف الصحابـة يعلمون الناس الإسلام حيثما كانـوا كما أمرهم الـرسول في أرجـاء المدينة حلقـا في المسجـد أو فرادي وجماعـات في بيت الضيافـة يتعهدون القادمين إليها من خـارجها أو في جلساتهم وتجمعاتهم .

وقـــد درج الـــرســـول ﷺ وصحبه على متابعة المسلمين الجدد بالتعليم والتدريب على ممارسة العبادت .

إن عملية المتابعـة لها أهمية خاصة في حماية الـدعوة من جانب ، وتثبيت الإيمان في قلوب الذين اعتنقوه حديثا من جانب آخر.

ولهذا كـان عليه السـلام يرسل المعليمن الى القبـائل العربيـة في أرجاء الجزيرة ليعلموا الناس القرآن وأصول الاسلام فقد أرسل عليه السلام مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلم النـاس القرآن ويدعو إلى الإسلام .

روى المقـريـزى قـال : فبعث معهم رسـول اللـه عليـه السـلام مصعب بن عمير ليعلم من أسلم القرآن ويدعو إلى الإسلام .

وأرسل عليه السلام عمر بن حزم إلى نجران يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ منهم الصدقات وكتب له رسول الله ﷺ ليعلمهم على ما فيه ، وبيّن فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات .

ولما قدم عمير بن وهب الجمحي على رسول الله ﷺ بالمدينة ليقتله رآى من الآيات البينات ما أقنعته بنبوته وصدقه فأعلن إسلامه وقال : الحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره .

فسارع الصحابة إلى عمير يعلمونه دين الله تعالى ويقرئونه القرآن ويدربونه على أداء الفرائض .

فلما أنس عمير من نفسه نشاطا لدين الله تعالى وتشبع بمبادئه السمحة تحركت فيه روح المبادرة وأراد أن ينطلق إلى قومه يبلغهم تعاليم الإسلام ويعلمهم مبادئه والتمس من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يأذن له بذلك فقال :

يا رسول الله إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة . فأدعو أهلها إلى الله تعالى ، وإلى رسول الله ﷺ ، وإلى الاسلام ، لعل الله يهديهم ، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ليؤدى مهمة تبليغ الدعوة وتعليم من أسلم علي يديه مبادئه .

قال ابن اسحاق : فلما قدر عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام

فأسلم على يده ناس كثير . [1]

ولمواصلة منهج رسول الله ﷺ في تعليم الناس أمور دينهم أقام ابن عباس لنفسه مجلسا يستقبل فيه المسلمين أفواجا وعلمهم أصناف العلوم ويجيب على أسئلتهم ويبصرهم بدينهم : أخرج أبو نعيم في الحلية [2] عن أبي صالح قال : لقد رأيت من ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان فخرًا ، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب .

قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضَعْ لي وضوءًا ، قال : فتوضأ وجلس : وقال : أخرج وقل لهم :

«من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل، قال : فخرجت ، فآذنتُهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : أخوانكم ، فخرجوا . ثم قال : أخرج فقل :

«من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل : قال فخرجت فآذنتُهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر .

ثم قال : إخوانكم . فخرجوا . ثم قال : أخرج فقل :

« من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فلدخل : قال

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣١٨ ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٢) الحلية (١/ ٣٢٠) .

فخـرجت فآذنتهم ، فـدخلوا حتى مـلأوا البيت والحجرة فما سألـوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر .

ثم قـال : إخوانكم فخرجـوا . ثم قال : اخـرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل .

فخرجت فقلت لهم . قال : فدخلـوا حتي ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله .

ثم قال :إخوانكم . فخرجـوا . ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبها فليدخل .

فخـرجت فـآذنتُهم ، فدخلـوا حتى مـلأوا البيت والحجـرة . فما سألـوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثلـه . ثم قال : إخـوانكم . فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل .

قال : فدخلوا حتى مـلأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله .

قال أبو صالح : فلو أن قريشـا كلها فخَرت بذلك لكان فخرًا . فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس . (١)

والمتتبع لسيرة الـداعية رسـول الله ﷺ يجده قد استفرغ الجهد في سبيل إقامـة حلق العلم يعلم فيها أصحـابه ويـربيهم ويدربهم على التحصيل العلمي حتَى أصبحـوا أسـاتـذه يديـرون بـدورهم هـذه

---

(١)أخرجه الحاكم ٣/ ٥٣٨ ، نقلاً من كتاب مختصر حياة الصحابة للكاندهلوي ، ط دار الإيمان .

الحلق ويقيمون لها المجالس عن أسئلتهم . وبهذه الروح العالية والنفس المجاهدة انتشرت الدعوة إلى الله في أرجاء الأرض نقية من الشوائب صافية من الأكدار يحملها رجال :

(صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ)

(الأحزاب ٢٣)

وطنوا أنفسهم على مصاحبة خير الأنام فنهلوا مما آتاه الله تعالى من وحي إلهي ومعرفة ربانية . فكانوا رسل سلام يحملون راية الدعوة بعد رسول الله ﷺ بإخلاص وأمان .

ج ـ إقامة الحجة

سلك رسول الله ﷺ في دعوته مسلك الحجة البالغة . خاطب بها الناس ، فأذعن لها العقلاء ، وآمنوا به ، وصدقوه ، أما الذين أعرضوا عن دعوته عليه السلام فقدأبكتتهم الحجة وبهتوا عن الردّ أو المعرضة .

كان ﷺ مسددًا في الأقوال والأفعال قد أيده الله بوحيه وتعهده برعايته في أقواله وأفعاله ، وأمره أن يجاهد الكفار بالحجة الساطعة قائلا له :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

(الفرقان ٥١/ ٥٢)

وهنا أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار

بالحجة والبيان وان يقهرهم بالبرهان الذي يبكتهم ويعجزهم عن الردّ أو الاعتراض .

كانت حجة رسول الله ﷺ في دعوته كتاب الله العزيز ونوره المبين ، يخوض به معركة التغيير ، فيأخذ الناس برفق ويخاطبهم بحكمة . يعرض علهم آيات الله البينات ، أنزله الله تعالى على رسوله الكريم معجزا بيانه ، شاملا تبيانه ، ساطعا برهانه :

يقول الله تعالى :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾

(فصلت ٤٢)

ويقول أيضا :

﴿ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾

(يونس ٥٧)

كما وصف الرسول ﷺ القرآن الكريم وصف العارف به عن الإمام علي كرم الله وجهه ان النبي ﷺ قال : « ستكون من بعدي فتن كقطع الليل المظلم » قيل : يارسول الله وما المخرج منها ؟

قال : « كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغي الهدى فى غيره أضله الله .

هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به

الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ولا يخلق من كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قلوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾

(الجن ١)

من عَلمِ علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هُدِى إلى صراط مستقيم هذا هو برهان رسول الله ﷺ وحجته الساطعة يخوض به معركة التغيير ليكون نورًا وهدًى يقوم به المنحرفين ويهدى الضالين ويبكت به المعاندين والجاحدين كان عليه الصلاة والسلام يواجه عناد الناس بالعبادة النافذة ، يختار لها موضعها المناسب وكان عليه السلام كثيرا ما يقول لمعارضيه «أمهلوني أكلمكم بكلمات أعرضها عليكم » ثم يتلو عليهم آيات من كتاب الله العزيز .

كما كان عليه الصلاة والسلام يأخذ أمثلة من واقع حياتهم ، فيعرضها عليهم ، ويلفت أنظارهم الى ما يدور حولهم من المظالم والفواحش ، ويذكرهم بما جرى للأمم السابقة وما نزل عليها من الخسف ، والمحق بسبب الاعراض والكفر .

غير أن كثيرا من الناس يعرضون بلّ ويصرون على الحنث العظيم .

كان أكثر الناس عنادًا وأشدهم جدلاً اليهود ، ذلك أن نفوسهم انطوت على الخبث واصطبغت بالعنادّ .

كانت عقيلتهم لا تلين أمام حجة ولا تعترف ببرهان ، العناد

صفتهم ، والحقد على الإسلام سجيتهم .

فكيف تحاجج أقواما يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، يؤمنون أن الله واحد هو إله إسرائيل الذي اختارهم لنفسه من دون الناس ، وبذلك يرون لأنفسهم ميزة العلو والاستعلاء . من أجل ذلك كذبوا أنبياءَهم وحاربوا المسيح عليه السلام وسعوا إلى قتله.

ولما جاء محمد ﷺ يدعو الناس إلى أن الله ليس هو إله بني اسرائيل المزعوم ، إنما هو إله واحد رب العالمين وخالق الناس أجمعين ، قرروا المواجهة بشتى ألوانها ومختلف وسائلها .

كان أحبار الهود يوجهون الأسئلة إلى رسول الله ﷺ يصلون بذلك الى الشطط والتعنت ، كانوا يطالبون النبي ﷺ بأن يأتيهم بالمعجزات ثم انتقلت المناقشة إلى مخاصمة كلامية . فكان القرآن يتنزل على رسول الله يلوم اليهود عل هذا الجدل ويعنفهم بأنهم يعلمون الحق ويتركون وراء ظهورهم بعد أن ركبوا رؤسهم وقرروا الصدود :

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

(البقرة ١٠١)

وقد جاءت آيات كثيرة تبين لجاجة اليهود وشدة عداوتهم للرسول عليه الصلاة والسلام وحسدهم له على النبوة التى أكرمه الله بها كما وردت روايات كثيرة تشير إلى مجادلة الرسول بقصد

تعجيزه وإفساد الأمر عليه معلنين بذلك بقاءَهم على عداوته رغم علمهم بأنه نبي مرسل بشرت به كتبهم التى يقرأونها .

عن صفية بنت حيي قالت : لما قدم رسول الله ﷺ غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب ، ثم رجعا . فسمعت عمي يقول لأبي : أما هو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه بعينه وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا فى نفسك منه ؟ .

قال : عداوته والله ما بقيت أبدا . (١)

وعن ابن مسعود قال : بينما أنا أمشي مع النبي في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب (٢) فمررنا بنفر من اليهود . فقال بعضهم . سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه عسى أن يخبر فيه بشيء تكرهونه . فسألوه . فسكت عليه السلام فظننت أنه يوحى إليه فلما انجلى عنه قال :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

(الاسراء ٨٥)

قال أبو نعيم : قيل إن من علامات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام في الكتب المنزلة أنه إذا سئل عن الروح فوّض العلم إلى منشئها وباريها .

وكان اليهود في غالب أحوالهم كلما سألوا رسول الله ﷺ عن

---

(١) أخرجه ابن اسحاق والبيهقي .
(٢) العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ـ لسان العرب .
(٣) أخرجه البخاري .

شيء إلا وأجابهم وأقام الحجة غير أنهم لا يؤمنون حسدًا من عند أنفسهم ولم تخضع نفسه كبرهان القرآن فاستجابتها لغيره ضرب من المحال .

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لابن صوريا (وهو يهودي) .

« أنشدك الله هل تعلم أن الله حكم في التوراة فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم »

فقال : اللهم نعم . أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك [1] .

وعن صفوان بن عسال قال : قال يهودي لصاحبه : أذهب بنا إلى النبي نسأله عن هذه الاية :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾

(الاسراء ١٠١)

فسألاه فقال :

« لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة و وأنتم يايهود عليكم خاصة لا تعدوا في السبت »

فقبلا يده ورجله وقالا : نشهد إنك لنبي .

فقال عليه السلام : « ما منعكما أن تسلما ؟ »

فقالا : إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي ، وانا نخشى أن

---

(١) أخرجه ابن اسحاق والبيهقي .

تقتلنا اليهود [1] .

كما وفدت على رسول الله ﷺ جموع من الناس يمثلون بلدانهم، أو قبائلهم أو دياناتهم ، فبعضهم يعلن الاسلام مباشرة ، والبعض يسأله الحجة والبرهان فيسلمّ بالحق ، وبعض آخر يجادل ويعاند فيخرج من عند رسول الله ﷺ بصلح أو بوعد بالإسلام .

لما دخل وفد نجران على رسول الله ﷺ سلموا فرد سلامهم ثم قال :

« والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس معهم »

ثم ساءَلهم وساءَلوه . فلم تزل به وبهم المساءلة حتى قالوا : ما تقول في عيسى ، فانا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ،يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ما تقول فيه ؟

فقال عليه الصلاة والسلام « ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم ما يقول الله في عيسى »

فأصبح الغد وقد أنزل الله تعالى قوله الكريم : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

(آل عمران ٥٩/ ٦١)

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه البيهقي .

فأبوا أن يقروا بالاسلام ، فدعاهم الرسول للملاعنه فرفضوا ذلك خشية على أنفسهم وقبلوا حكم رسول الله فيهم بأداء الجزية ورضوا بالمصالحة [1] .

وقدم ضِمام بن ثعلبة وافدا عن قومه بني سعد بن بكر على رسول الله ﷺ حتى وقف عليه فسأله ، فأغلظ المسألة . وكان ضمام يجد الصدق في حديث رسول الله ﷺ ، ويشعر بقوة الحجة وصدق اللهجة ، ووضوح الدليل .

سأله عمَن أرسله ؟ وبم أرسله ؟

وسأله عن شرائع الإسلام ، ورسول الله ﷺ يجيب في ذلك كله أجوبة تقنع النفوس وتأخذ بالألباب ، فرجع إلى قومه مسلما ، وأخبرهم بما رأى من خلق جم ، وما سمع من صدق الجواب وقوة الحجة . فما أمسى ذلك اليوم رجل ولا أمرأة الا أسلم ، وبنوا المساجد وأذنوا بالصلاة . [2]

أما عدي بن حاتم فقد قدم على رسول الله ﷺ بعدما سمع من أخباره ، ما سمعه من أخته ، فأكرم وفادته وانطلق به إلى بيته ، فرآى عدى من أخلاق رسول الله ﷺ ما يدعم نبوته عنده .

رآه يقف لامرة ضعيفة مسنة فيحادثها طويلا ، ورأى في بيته فرشا بسيطة ووسادة من أدم ، وتواضعا جما لم يعهده عدي لدى الملوك .

---

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ دار المعرفة بيروت .
(٢) هذه الحادثة مخرجة في الصحيحين وغيرهما مطولة وبأسانيد وألفاظ كثيرة عن أنس بن مالك .

ثم خاطبه رسول الله ﷺ بكلام فيه من الحجج ما جعله يصدق ويسلم بالحق الذي دُعيَ إليه .

قال عليه السلام :

« إيه ياعدي بن حاتم ؟ ألم تك ركوسيا ؟ »[1]

قال : قلت بلى .

قال : « أو لم تكن تسير في قومك المرباع ؟ »[2]

قال قلت : بلى .

قال عليه السلام .

« فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك »

قال : قلت أجل والله .

فانشرح صدر عدى لكلام رسول الله ﷺ وقال : عرفت أنه نبي مرسَل يعلم ما يُجهل .

ثم قال عليه السلام :

« لعلك ياعدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه »

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم . فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على

---

(١) الركوسية : دين بين النصارى والصابئين .

(٢) كان الناس في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصة له دون أصحابه ، وذلك الربع يسمى المرباع .

بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف .

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم .

« وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم »

قال : فأسلمت . (١)

وبالحجة البالغة والبراهين الساطعة التى أظهرها رسول الله ﷺ دخل خلق كثير في دين الله واستجابوا لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام .

---

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ط دار المعرفة ، بيروت .

(٥) تكليف الصحابة بالقيام الدعوة :

ـ أ ـ على المستوى الفردي :

(١) أبو ذر يدعـو غفـار :

كان جندبَ بن جنادة الغفـاري من سكان نواحي يثرب ويكنى بأبي ذر يعتبر من الـذين سبقوا إلى الإسـلام من خارج مكـة ، لما بلغ خبر مبعث النبي إلى يثـرب وصـل إلى أبي ذر فتفـاعل مع الحدث بسرعة وبادر بالتأكد من الخبر .

عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال . قال أبو ذر : كنـت رجلا من غفار فبلغنا أن رجلا قـد خرج بمكة زعم أنه نبي فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره . فانطلق أنيس بن جنادة فلقيه ثم رجع . فقلت مـا عندك ؟ قال : والله لقد رأيـت رجلا يأمر بالخير وينهي عن الشر . فقلت له : لم تشفني من الخبر .

فأخذت جرابا وعصا ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد .

قـال : فمـر بي علي بن أبي طالب فقـال : كأن الـرجل غـريب . قلت نعم . فقـال فـانطلق إلى المنزل فـانطلقت معـه لا يسألني عن شيء ولاأسألـه ولا أخبره فلما أصبحت غـدوت إلى المسجـد لأسأل عنه وليس أحـد يخبرني عنه بشيء . قال : فمر بي علي فقـال : أما آن للرجل يعرف منزله بعـد ؟ قال قلت لا . قال فانطلق معي . فقال : مـا أمرك ومـا أقدمـك هذه البلـدة . قلت : إن كتمت علي أخبرتك

قال فإني أفعل . قلت له : بلغنا أنه قد خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي الله فأرسلت أخي يكلمه فرجع ولم يشفعني الخبر ، فأردت أن ألقاه فقال لي : أما إنك قد رشدت هذا وجهي إليه أدخل حيث أدخل فإني إن رأيت أحدا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت . فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه إلى النبي فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرضه فأسلمت مكاني . فقال لي :اكتم هذا الأمر . وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل . فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم . فجئت إلى المسجد وقريش فيه فقلت : يامعشر قريش إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابىء فقاموا فضربت لأموت فأدركني العباس وأكب عليّ ثم أقبل عليه فقال : ويلكم أتقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار ؟

فأقلعوا عني . فلم أصبح الغداة رجعت فقلت مثل ما قلت الأمس فقالوا : قوموا إلى هذا الصابىء فصنع بى مثل ما صنع الأمس وأكب عَلَيَّ العباس فقال مثل مقالته بالأمس فأقلعوا) « ورواه البخاري »

لقد وجه رسول الله الصحابي أبا ذر أن يرجع إلى بلاده وقومه ((ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتنى) وذلك إبعادا لأبي ذر عن مواطن الخطر وإفادة لبلده وقومه غفار وضمانا لاستمرارية الدعوة وتجنبا للاستئصال .

ويصف أبو ذر استجابته لأمر رسول الله ودعوته لقبيلته غفار

فيقول :

(ثم أتيت رسـول الله ﷺ فقال : إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل لا أراها إلا يثـرب . فهل أنت مبلغ عني قومـك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟) .

فانطلق أبو ذر لأداء هذه المهمـة الشريفة يقول : (فأتيت أنيسا أخي فقال مـا صنعت ؟ قلت : صنعت أني قد أسلمـت وصدقت . وهي بداية سريعة في المهمة الدعوية عرضها على أخيه . فقال أنيس : ما بي رغبـة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت . فقـد كان أنيس يثق في أخيـه ويحترم فيـه رجاحـة عقلـه فكـانت استجابتـه سريعـة ومشجعـة للـداعيـة أبي ذر حتى يعرض الإسـلام على أفـراد قبيلتـه فينتفعوا بدعوته ويؤجر هو على تبليغه كما بشره رسول الله ﷺ .

يقول أبـو ذر : فاحتملنـا حتى أتينا قـومنا غفـار فأسلم نصفهم وقد كـان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفـاري وهو سيـدهم أما النصف الثاني من قبيلة غفار فقد قال : إذا قدم رسول الله المدينة أسلمنا.

فلما قدم رسـول الله ﷺ المدينة أسلم النصف الباقي بدعوة أبي ذر .

فقال الرسول ﷺ (غفار غفر الله لها).

(٢) الطفيل بن عمرو يدعو دوسا :

كان الطفيل بـن عمرو الدوسي سيـد قبيلته شريفـا شاعـرا لبيبا وكانت لدوس إمارة في بعض نواحي اليمن .

قدم مكة في السنة الحادية عشرة من النبوة فتلقفه أهلها وبذلوا له أجل تقدير وقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل [1] بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وزوجه وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا . فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئا) .

إنه موقف غريب : فيه تحذير من مجرد السماع وتخويف من الاتباع لمحمد ﷺ .

يقول الطفيل : (فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت أذني كرسفا (قطنا) حين غدوت إلى المسجد خوفا من أن يبلغني شيء من قوله .

فلما دخلت المسجد إذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبي الله إلا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا . فقلت في نفسي : والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفي عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من الرجل ما يقول فإن كان حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته . لماذا تحجر عليه قريش مجرد سماع محمد ؟ !

فمكثت حتى انصرف إلى بيته فتبعته وقصصت عليه ما حصل لي وقلت أعرض عليّ أمرك . فعرض علي الإسلام وتلا عليّ القرآن فو الله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فأسلمت

---

(١) أعضل : أيانا أمره .

وشهدت شهـادة الحق . ثم قال الطفيل بعـد أن ذاق حلاوة الإيمان وتطوع ليكون من جنود الدعوة يستنقذ بها أهله وقومه :

يانبي الله إني امرؤ مطـاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع اللـه أن يجعل لي آية تكون لي عونـا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال ﷺ : (اللهم اجعل له آية).

قال الطفيل : فخرجت إلى قـومي حتى إذا دنوت منهم وقع نور بين عيني مثل المصبـاح . فقلت اللهم في غير وجهي إني أخشي أن يظنوا أنـه مثُلة [1] وقعت في وجهي لفراق دينهم . فتحـول فوقع فى رأس سوطي . فجعل القوم يتراءون ذلك النـور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

دعوتـه لوالـده : فلما نزلت أتـاني أبي وكان شيخـا كبيرا فقلت : إليك عني يا أبت فلست منك ولست مني . قال : ولم يابني ؟! قال : قلت : أسلمت وتـابعت دين محمـد . قـال : أي بني ديني دينك . قـال قلت : فـاذهب فـاغتسل وطهـر ثيـابك ثم تعـال أعلمك مـا عُلِمت .

قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابـه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم وهكذا نجح الطفيل في كسب أول مدعـو وأضاف إلى رصيد المسلمين عنصرا جديدا .

دعوته لزوجته :

قـال الطفيل : ثم أتتنى صـاحبتـى . فقلت : إليك عني فلست

---

(١) مثلة : عقوبـة .

منك ولست مني . قالت : لم بأبي أنت وأمي ؟ قلت : قد فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد . قالت : فدينى دينك . قلت فاذهبى فتطهري .

فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت وانضم عضو جديد للدعوة وفتح الله على الطفيل فكسب قلب زوجته وأنقذها من الظلمات إلى النور .

دعوة قومه :

ثم دعا الطفيل قبيلته دوسا فلم يسارعوا بالاستجابة له بل أبطأوا عليه ولم يطق هذا الداعية المبتدىء إبطاء قومه عن قبول دعوته فرجع إلى رسول الله بمكة يشتكي قومه . فقال لرسول الله : (يانبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا . فادع الله علهم)

وذلك من شدة تأثره برفضهم الدعوة ويأسه من استجابتهم .

لكن الداعية القدوة الخبير النفوس المعاندة ﷺ يهدىء الطفيل وعلمه الدعاء للناس لا عليهم ويوصيه بالصبر والرأفة بقومه قال محمد ﷺ :

(اللهم اهد دوسا) وقال للطفيل : (ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم) .

قال الطفيل : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ومضى بدر وأحد والخندق وقدمت عليه بمن أسلم من قومي : سبعين أو ثمانين بيتا من دوس والنبي بخيبر فلحقناه بها وأسهم لنا مع المسلمين .

وقد كان الطفيل جادا في دعوة قومه حريصا على إنقاذهم وحطم صنم« ذى الكفين » وأحرقه ليؤكد لقومه أن الحجر لا ينفع ولا يضر وأن المستحق للعبادة هو الواحد الأحد الفرد الصمد .

(٣) أبو هريرة يدعو أمه :

وينحدر من نفس قبيلة دوس الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الذي أسلم سنة سبع من الهجرة وهاجر إلى المدينة ولازم النبي بها .

حثه رسول الله ﷺ على الدعوة إلى الله وكلفه أن يبدأ بدعوة أمه حتى تفوز برضوان الله وتنعم بالإسلام .

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يوما ، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت النبي عليه السلام . فقلت يارسول الله إنى كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبي وإني دعوتها فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة .

فقال رسول الله ﷺ : (اللهم اهد أم أبي هريرة).

فخرجت مستبشرا بدعوة رسول الله ﷺ فلما جئت قصدت الباب فإذا هو مجاف (مردود) . فسمعت حصحصة الماء (تحريكه) قال : ولبست درعها (قميصها وأعجلت عن خمارها ففتحت الباب وقالت :

(ياأبا هريرة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول

الله) فرجعت إلى رسول اللـه ﷺ لأخبره ، أسعى إليه وأنا أبكي من الفـرح كما بكيت من الحزن فقلت : أبشر يارسـول اللـه فقد أجـاب الله دعوتك قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام .

ثم قلت : (يـارسـول اللـه ادع اللـه أن يحببني وأمي إلى المؤمنين والمؤمنات) فقال ﷺ :

(اللهم حبب عُبَيْـدك هـذا وأمـه إلى كل مـؤمن ومـؤمنـة فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني)

(٤) عروة بن مسعود يدعو ثقيفا :

عروة بن مسعـود بن معتب بن مالك بن كعب الثقفي هـو أحد العظيمين اللذيْن تمني الكفار لو نزل القرآن على أحدهما .

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(سورة الزخرف / ٣١)

والقريتان مكة والطائف ، فعظيم قـريش الوليد بن المغيرة مات مشركا ، أما عظيـم ثقيف فهو عروة بن مسعود الـذي أراد الله له أن يستشهد فى قومه ثقيف .

لقد كان عروة سيدا يفـد على الملوك وسفيرا محنكا وقد حضر يوم الحديبية فلاحظ موقف المسلمين مع نبيهم ووصفه لقريش منبهرا

قال عروة : (ياقوم قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشي وإني والله ما رأيـت ملكا قط أطـوع فيما هـو بين ظهرانيـه من محمـد في أصحابه ، والله مـا يشدون إليه النظر وما يرفعـون عنده الصوت وما

يلفيه إلا أن يشير إلى امرىء فيفعل .. وقد حـزرت القوم فاعلموا إن أردتم السيف بذلوه لكم ، وقد رأيت قوما لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعـوا صاحبهم .. فـروا رأيكم .. ياقـوم أقبلـوا ما عـرض فإني لكم ناصح مع أني أخاف ألا تنصروا عليه) .

يبـدو من كلام عـروة أنه متأثـر بتربية محمـد ﷺ لأصحابـه وأن دعوته عليه السلام ستنجح لذلـك نصح القرشيين بقبول ما يعرضه محمد ﷺ .

وبعد انصراف رسـول الله ﷺ من غـزوة الطائف اتبع عـروة بن مسعـود أثـره حتى أدركـه قبل أن يصل المدينـة فأسلم . ثم استأذن رسول اللـه ﷺ أن يرجـع إلى قومه فيـدعوهـم إلى الإسلام فقـد كان فيهم محببا مطاعا.

فقال له رسول الله ﷺ : (إني أخاف أن يقتلوك) . فقال عروة : يـارسول اللـه أنـا أحب إليهم من أبكارهم ، ولـو وجـدوني نائما مـا أيقظوني) . فخرج عروة يدعو قومه إلى الإسلام .

روى ابن سعد في طبقاته قال :

(قدم عروة الطـائف عشاء فدخل منزلـه فأتته ثقيف تسلم عليه بتحيـة الجاهليـة فأنكـرهـا علهم وقـال : عليكم بتحيـة أهل الجنـة السلام . ثم دعاهم إلى الإسلام ، فـآذوه واتهموه وأغضبوه وأسمعوه ونالـوا منه فحلم عنهم وخرجـوا من عنده فجعلـوا يأتمرون به وطلع الفجر فأوفى على غرفة له فأذن بـالصلاة فخرجت إليه ثقيف من كل ناحية فرماه رجل من بني مالك يقال له أوس فأصاب أكحله (عرق في اليـد) ولم يرقأ دمـه ، فقام وجـوه الأحـلاف (رهط عروة) فلبسـوا

السلاح وحشدوا وقالوا : نموت عن آخرنا أو نثأر به عشرة من رؤساء بني مالك فلما رأى عروة ما يصنعون قال :

(لا تقتتلوا فيّ ، قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم فهي كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي وأشهد أن محمدا قد أخبرني بهذا أنكم تقتلوني .

ثم دعا رهطه فقال : إذا مت فادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فمات فدفنوه معهم) .

وأما قتل عروة قال رسول الله ﷺ :

(مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه) .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة يس ٢٠ـ ٢٥)

هكذا مضى عروة إلى قومه ليدعوهم ورغم أن رسول الله ﷺ أخبره أنهم قاتلوه لكنه لم يتراجع ولم يتوان بل قصد إنقاذ قومه وتخلى عن موضع العظمة الذي كان يحتله في قبيلته وكان جزاؤه على حرصه على إنقاذهم القتل مثلما رجم (حبيب النجار) صاحب يس الذي بشر بدخول الجنة . رحم الله الداعية عروة بن مسعود الثقفي .

ب ـ على المستوى الجماعي

البعـوث

بعث الرجيع : (صفر / ٤ هـ)

لم تزل مجالس رسول الله تزيد الصحابـة رسوخا في الدين وعزوفا عن الشهوة وتفـانيا في سبيل الـدعوة وحنينا إلى مـرضاة اللـه والفوز بـالجنة كـان يغـذي أرواحهم بالقـرآن ويـربيهم بالإيمان ويـوصيهم بـالاستمرار في استنقـاذ النـاس من النـار وغضب الجبـار بدعـوتهم لاعتناق الإسلام .

لذلك كان لا يدع ﷺ فرصـة إلا استغلها للدعوة . ولا يتأخر في توجيه أصحابـه لتعليم المسلمين الجدد وتفقيههم وخاصة إن طلب منه ذلك .

قدم رهط من قبيلـة عضل والقارة على رسـول الله ﷺ فقـالوا : (إن فينـا إسلامـا فابعث معنـا نفـرا من أصحابك يفهمـوننا الـدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام) .

فاستجاب النبي ﷺ لطلبهم واختار ستـة نفر من خيرة أصحابه فبعثهم معهم والنفر هم :

عاصم بن ثابت ـ مرثد بن أبي مرثد ـ خالد بن البكير ـ عبد الله ابن طارق ـ خبيب بن عدي ـ زيد بن الدثنة .

انطلق الـوفد وغـادر المدينة إلى عضـل والقارة دعـاة هدايـة لا محاربين ، ولم يعلموا ما يخفيه لهم هذا الرهط من خيانة وغدر .

فلما بلغ الوفد الرجيع ـ وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز استصرخوا عليهم حيّ بني لحيان فتبعوهم بمائة من الرماة واقتصوا آثارهم حتى لحقوهم وأحاطوا بهم وفاجأوهم بسيوفهم المشرعة وقالوا للدعاة : (لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا).

تأكد الدعاة من غدر المشركين وعلموا خداعهم في قولهم أنهم يريدون أن يصيبوا شيئا من أهل مكة بتسليمهم لهم .

فقال عاصم ومرثد وخالد : (لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا) وأبوا النزول وقاتلوا الغادرين فقتلوا منهم سبعة واستشهدوا.

أما عبد الله وخبيب وزيد فقد استسلموا ظنا منهم أن للمشركين عهدا وخدعوا ونسوا قوله تعالى :

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾

(سورة التوبة / ١٠)

فأسرهم الغادرون وربطوهم بأوتار أقواسهم وخرجوا بهم إلى مكة لبيعهم فقال عبد الله بن طارق : (هذا أول الغدر) وأبى أن يصحبهم ففك نفسه من القيد وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل غير مستسلم .

وانطلق ركب الغدر بخبيب وزيد فباعوهما بمكة ، فاشترى بنو الحارث خبيبا لينتقموا منه لأبيهم الذى قتله خبيب يوم بدر . فمكث عندهم مسجونا ولما أجمعوا على قتله خرجوا به من الحرم إلى التنعيم ولما أرادوا صَلبه قال : دعوني أصلي ركعتين ، فأداهما بخشوع

ولما سلم قال : (والله لولا أن تقولوا : إن ما بي جزع لزدت ثم قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا وقبل صلبه أنشد أبياتا يصف فيها مأساته فقال :

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي
وما جمع الأحزاب لي عند مضجعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي
فقد بضعوا لحمي وقد بؤس مطمعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه
فقد ذرفت عيناي من غير مدمع
ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله عقبة بن الحارث انتقاما لأبيه الحارث وبعد صلبه وكلوا من يحرس جثته فجاء صحابي فاحتمله بخدعة ليلا فدفنه .

وأما زيـد بن الدثنـة فابتـاعه صفـوان بن أمية فقتله بـأبيه وقبل صلبه سألـه أبو سفيان : أنشـدك الله زيد أتحب أن محمـدا مكانك يضرب عنقه وإنـك في أهلك فقال : واللـه ما أحبّ أن محمـدا وهو في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي .

فقـال أبو سفيـان (ما رأيت أحـدا يحب أحدا كحب أصحـاب محمد محمدا).

إن مأساة بعثة الرجيع تدل على تحريض قريش على الغدر وتبين أن ثاراتهم من بدر لم تشف وقد جدت في أحد ثارات جديدة لذلك لجأوا الى التحريض على أخس أنواع الخيانة والغدر .

فاستشهد هذا الوفد الـذي انطلق ليدعو إلى الله فذهب ضحية الغدر .

وقـد تألم رسـول اللـه ﷺ لهذه المأسـاة تألما شـديـدا ودعـا على الغادرين الذين فتكوا بخيرة أصحابه .

بعث : بئر معونة (صفر/٤هـ)

إثر مأساة الرجيع بأيام وفي نفس الشهر والسنة وقعت مصيبة أشد وأفظع لحقت بالدعاة الذين ابتعثهم رسول الله ﷺ ليواصلوا نشر الدعوة وإخراج القبائل من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد . وتعرف هذه الوقعة بمأساة بئر معونة .

فقد قدم المدينة أبو براء عامر بن مالك بن جعفر الملقب بملاعب الأسنه ولقي رسول الله فعرض عليه النبي ﷺ ودعاه إلي قبول الدعوة واعتناق دين التوحيد ، لكنه لم يسلم ولم يبعد عن الإسلام وقال لرسول الله .

(لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك) .

فقال رسول الله ﷺ : (إني أخشى عليه أهل نجد) فقال أبو براء : أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

اطمأن رسول الله ﷺ الحريص على تبليغ رسالة ربه حيث وجد موطنا جديدا لنشر الدعوة وخاصة في جوار ملاعب الأسنة .

واختار سبعين من أصحابه ـ على الصحيح ـ وأمّر عليهم المنذر بن عمرو وأكثرهم قراء وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وأرسلهم لدعوة أهل نجد فساروا يحتطبون بالنهار يشترون به الطعام ، ويتدارسون القرآن ويصلون الليل ، ولما نزلوا بئر معونة ــ وهي أرض بين بني عامر وحرة [1] بني سليم ــ بعثوا حرام بن ملحان

(١) حرة : جبل .

بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلم يقرأ الكتاب بل وثب على حرام فقتله طعنا بحربة من الخلف فلما نفذت قال حرام : فزت ورب الكعبة . وكان أول شهيد .

ثم استنفر عدو الله بني عامر لقتال الباقين فلم يجيبوه احتراما لجوار أبي براء ، فاستنفر بني سليم فأجابته : عصية ورعل وذكوان وجاؤوا فأحاطوا بأصحاب رسول الله ؛ فقال وفد الدعاة المسلمين :

(والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي) .

ولكن الغدر بدا على المهاجمين ، فلما رآهم المسلمون محيطين بهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى استشهدوا عن آخرهم إلا عمرو بن أمية الضمري الذي بقي في سرح المسلمين ، فلما رأى الطير تحوم علي موضع الوقعة رجع إلى المدينة يحمل أنباء المصاب الفادح : مصرع سبعين من أفاضل المسلمين ذهبوا في غدر شائن . فتأثر رسول الله ﷺ تأثرا بالغا بهذه المأساة .

لقد ذهب الدعاة كما أمرهم رسول الله هداة مرشدين وأرسل معهم كتابا إلى عامر بن الطفيل يبين فيه أنهم مبلغون لا محاربون لكن عدو الله لم يرع جوارا ولا ذمة صاحبه أبي براء .

روي ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال :

(مارأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة) .

وفي صحيح البخاري عن أنس أيضا قال :

(دعا النبي ﷺ على الذين قتلوا أصحابه ببئر مونة ثلاثين يوما

يدعـو في صلاة الفجر على رعـل وذكوان وعصية ويقـول : (عصية عصت الله ورسوله) .

لقد قنت رسول الله شهرا يدعو على الغادرين ثم ترك قنوته وفي هذا دليل على أن القنوت شرع بسبب غدر هـذه القبائل بالدعاة ثم نسخ بعدم مواظبة رسول الله عليه [1] .

وفي طريق عـودة عمر بن أميـة الضمري الى المدينة إثـر الحادثة المؤلمة لقي رجلين من بني عـامـــر كـان لهما عقـد مع النبي وهـو لا يعرف ففتك بهما انتقامـا لقتل رفاقه ببئر معونة فـدفع رسول الله ﷺ ديتهما .

ورغم جسامـة يوم بئـر معونـة فإن رسول الله ﷺ لم يتـوقف عن إرسال أصحابه للدعـوة وتفقيه الناس وتعلم القرآن واستمر في بعث الوفود لنشر الإسلام .

---

(١)أنظر : فقه السيرة لسعيد رمضان البوطي .

بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن

بعدما جاءت وفود ملوك حمير من اليمن الى رسول الله ﷺ وأعلنت إسلامها اختار النبي عليه السلام من أصحابه : أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ومالك بن عبادة وغيرهم ليكونوا دعاة لأهل اليمن يعلمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين .

وقد وزع رسول الله ﷺ المسؤوليات على وفده فكلف أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري بالدعوة والتعليم والإفتاء وعينه واليا على المنطقة القريبة من ساحل البحر الأحمر موطن قبيلة الأشعريين .

بينما كان معاذ بن جبل أميرا على منطقة المشرق وجهته عدن ثم على صنعاء يصلى بالناس ويجمع الزكاة ويدعو إلى الإسلام ويقضي بين الناس .

وقد كتب رسول الله ﷺ الى زرعة ذي يزن :

(إذا أتاك رسلي فأوصيك بهم خيرا وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضيا وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم فأمركم بهم خيرا فإنهم منظور إليهم) .

لقد أرسل النبي ﷺ إلى أهل اليمن من يثق بعلمه ودينه وحذقه وفطنته اهتماما بهذه الناحية العزيزة من الوطن الإسلامي .

وعندما بعث رسول الله ﷺ الداعيين أبا موسى ومعاذا قال : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وتطاوعا ولا تختلفا ـــ رواه الشيخان) .

لقد كـان عليه السلام يحسن اختيـار الدعاة ولا يسنـد المهام إلا لمستحقيها ولا عيّن في حمل الأمانة من يطلبها .

عن أبي بـردة بن أبي موسـى قال : قـال أبـو موسى الأشعـري : أتاني ناس من الأشعريين.فقالـوا : اذهب معنا إلى رسول الله فإن لنا حـاجة فقمت معهم فقـالوا : يـارسـول الله استعن بنـا في عملك . فـاعتـذرت إلى رسول اللـه ممـا قـالوا وقلت : لم أدر مـا حـاجتهم . فصدقني رسـول الله ﷺ وعـذرني وقال (إنـا لا نستعين بعملنا بمن سألَنَا) (رواه النسائى)

وفعلا صـدّق رسول الله ﷺ أبا مـوسى وأسند إليه هـذه المهمة الدعـوية فبـذل كل مايستطيع من جهـد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل بلاد نزل فيها .

واستعان بصـوته الجميـل وقراءته النـدية فـاجتمع عليـه طلاب العلم في المسـاجـد في اليمن وخاصـة في البصرة بعـد وفـاة الرسـول فكـان يقسمهم حلقـات ويطـوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويصحح لهم ويضبط لهم قراءتهم .

لقـد صرف معظم وقتـه في التعليم والدعـوة إلى العمل بكتـاب الله في حله وسفره .

عن أنس بن مالك قال : بعثني الأشعـري إلي عمر فقال عمر : كيف تركت الأشعري ؟ فقلت له : تـركته يعلم الناس القرآن فقال : (أما أنه كيّس) .

وقد أثمرت جهـود أبي موسى وقرّت عينه برؤيـة عدد من حفاظ

القـرآن حولـه . وقد كـان في اليمن يعظ وينصح ويفقه واستمـر فى الدعوة يبلغ الأحكام حتى السنـة العاشرة حيث حج مع رسول الله ﷺ ثم عاد إلى اليمن فواجه فتنـة المتنبي الأسود العنسي وقضى عليه هو ومعـاذ ، واستقر بـاليمن يقيم شعائر اللـه ويطبق أحكام الشرع وبقي هناك إلى أن مات رسول الله ﷺ .

أمـا معـاذ بن جبل الأنصاري الخزرجـي فقد كـان هـو المكلف بـالإمـارة على اليمن وهو يـودعـه : (حفظك اللـه ودرأ عنك شرور الإنس والجن) وقال عنه لما بعثه : (إني بعثت لكم خير أهلي) .

كان أبـو عبد الرحمن مقـدما في الحلال والحرام وهو أحـد القراء الأربعـة الذين يـؤخذ عنهم القـرآن وقد رشحـه النبي عليه السـلام للقضاء .

روى أحمد عن معـاذ . قـال : لما بعثنـي النبي إلى اليمن قـال لي: كيف تقضي إن عرض قضاء ؟

قال قلت : أقضي بما في كتاب الله .

فإن لم يكن بما فى كتاب الله ؟

قلت : بما قضي به رسول الله ﷺ .

قال : فإن لم يكن فيما قضي به الرسول ؟

قلت : أجتهد رأيي ولا آلو .

فضرب صدري وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي به رسول الله .

انطلق معاذ إلى المنطقة التي وجه إليها فضرب فسطاطا (خيمة) وبدأ يمارس الدعوة ويبلغ اليمنيين من كتابيين وغيرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة وشرع الزكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقراءهم ودعاهم إلى التوحيد والاقتداء برسول الله ﷺ .

وكان معاذ وأبو موسى يتزاوران ويتدارسان القرآن . قال معاذ لأبي موسى : كيف تقرأ القرآن ؟

قال أبو موسى : قائما وقاعدا وعلى راحلتي وأتفوقه تفوقا (اقرأ كتاب الله شيئا بعد شيء في آناء الليل والنهار لا مرة واحدة).

قال معاذ : أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي .

وفي إحدى زيارات معاذ لأبي موسى وجد عنده رجلا موثقا فقال ما هذا ؟ قال أبو موسى : يهودي أسلم ثم ارتد . فقال معاذ لأضربن عنقه .

هكذا كان الدعاة يتعاونون على إقامة حدود الله وتطبيق شرع الله يواصلون نشر الدعوة ويؤدون أشرف وظيفة وينتظرون ثواب الله والفوز برضوانه .

(٦) ـ الرسائل شكل من أشكال الدعوة إلى الله تعالى

إن المتتبع للسيرة النبوية الشريفة يلاحظ أن رسول الله ﷺ كان حريصا في دعوته المباركة على تحقيق المنجزات التالية :ـ

ـ الخروج بالدعوة من فترة الإقليمية إلى مرحلة العالمية وإيصالها إلى الأقاليم المتباعدة بحسب الوسائل المتاحة والقدرات الممكنة .

ـ توظيف الهدنة التي تمت بينه وبين مشركي مكة في صلح الحديبية في سبيل نشر الدعوة .

ـ تأمين وطن الدعوة ـ المدينة المنورة ـ وذلك بالخروج بالدعوة إلى التجمعات المجاورة وكسب أنصار للإسلام .

هذا أهم ما كان رسول الله ﷺ يحرص على إنجازه فيما يخص مجال الدعوة ونشر دين الله تعالى .

فلما تم له ذلك تطلع إلى العالم الخارجي وشرع إلى التنفيذ ، وذلك بإعطاء الدعوة الجديدة دورها الدولي والعالمي .

إن الوقائع الدقيقة والمعلومات المفصلة التي تصل إلى حد التواتر تدل على أن رسول الله ﷺ يتحلّ بأسلوب دبلوماسي فى منتهي الرقي والتقدم ، وكان يتميز أيضا برؤية سياسية شاملة تتناول العالم بأسره .

فمن المدينة المنورة (وطن الدعوة) إلى مناطق النفوذ الأجنبي خارج المدينة الذي تطوق به الدولتان المهيمنتان آنذاك بدءاً بالممالك والإمارات التابعة لنفوذ الدول الكبرى ومرورًا بالقبائل

والتجمعات التى تتمتع بنوع من الاستقلال وتؤثر فيمن حولها من البلاد والعباد ، وانتهاء بالدولتين الكبيرتين المتصارعتين على اقتسام العالم القديم .

وعلى ضوء هذا الواقع أرسل رسول الله ﷺ سفراءه إلى رؤوس الإمارات والممالك المحيطة به من قبل دولة الفرس .

كما أرسل إلى رؤوس دول الأذناب المحيطة به من قبل دولة الروم .

كما لم يغفل عليه السلام شأن التجمعات القبلية المؤثرة في المنطقة [1].

أرسل عليه الصلاة والسلام رجالا من أصحابه إلي ملوك العرب والعجم ، دعاة إلى الله عز وجل في الفترة ما بين الحديبية ووفاته .

ولاتمام هذه الخطوة التي أقدم عليها ، اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة وكان نقشه ثلاثة أسطر :

محمد (سطر) ـ رسول (سطر) ـ الله ـ (سطر)

تقرأ من أسفل إلى أعلى



وبهذا الخاتم ختم رسول الله ﷺ الكتب التي بعث بها إلى ملوك عصره .

لم يكن رسول الله ﷺ يكتب بنفسه ، وإنما كان حوله فريق كبير ـ نسبيا من الكتبة يأمرهم بأن يكتبوا ويولى عليه السلام إملاء النص عليهم [٢] .

إن مثل هذه الحملة الدبلوماسية التي شملت العالم القديم كله ، وسجلت تحركا تاريخيا كان له ما بعده في حياة الدعوة الإسلامية ، تشتمل على استراتيجية سياسية مثيرة الإعجاب .

اختار رسول الله ﷺ في سفرائه ميزات كثيرة أدت إلى نجاحهم في مهماتهم في أغلب الحالات .

فقد اختار بعضهم بنفسه وتطوع البعض الآخر من تلقاء نفسه على أثر الطلب العام الذي كان يطلقه رسول الله عليه الصلاة والسلام .

كقوله عليه السلام : « أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى فلان» وكان يريد السفارة إلى المقوقس فتطوع كذلك حاطب بن أبي بلتعة.

وكان غالبيتهم يتميزون بميزة جذابة كالشجاعة أو السابقة في الإسلام ، أو شهود بدر ، أو الدهاء ، أو الصبر على المكاره ، أو أنهم كانوا يكثرون التردد على الجهة التى بعثوا إليها [٣] .

(١) الرسائل إلى الممالك المحيطه
بموطن الدعوة من قبل دولة الفرس

١ ـ المنذر بن ساوى : ملك البحرين .
٢ ـ جيفر وعبد ابني الجلندى : ملك عمان .
٣ ـ هوذة بن علي : صاحب اليمامة .
٤ ـ وائل بن حجر .
٥ ـ أهل حضرموت .

الامارات التي تمثل فك الكماشة الايسر
الرسائل إلى رؤوس الأذناب من قبل دولة الروم

١ ـ الحارث بن شمر الغساني : ملك الشام .
٢ ـ جرايح بن مينا : مقوقس مصر .
٣ ـ الأصحم بن أبجر : نجاشي الحبشة .

الممالك التى تمثل فك الكماشة الايمن
رسالة الى هرقل عظيم الروم
رسالة الى كسرى عظيم الفرس

المجمعات القبلية

١ ـ طهفة النهدي : سيد بني نهد .

٢ ـ قبيلة همدان باليمن .
٣ ـ نصاري نجران .
٤ ـ دوحة الجندل .

(٢) ثَبت بكتاب رَسُول الله ﷺ
بالترتيب الأبجدي

١ ـ ابان بن عيد بن العاص الاموى .
٢ ـ أبي بن كعب الانصاري (أول من كتب له من الانصار).
٣ ـ الارقم بن أبي الارقم الزهري .
٤ ـ بريدة بن الحصيب الاسلمي .
٥ ـ أبو بكر الصديق .
٦ ـ ثبت بن قيس بن شامس الخزرجي .
٧ ـ جهيم بن الصلت المطلبي .
٨ ـ حاطب بن عمرو العامري .
٩ ـ الحصين بن عمرو العامري .
١٠ ـ حنظلة بن الربيع الاسدي .
١١ ـ حويطب بن عبد العزى القرشي .
١٢ ـ خالد بن زيد الانصاري .
١٣ ـ خالد بن سعيد بن العاص الاموي .
١٤ ـ خالد بن الوليد .

١٥ ـ الزبير بن العوام .
١٦ ـ زيد بن ثابت الانصاري .
١٧ ـ سعيد بن سعيد بن العاص الاموي .
١٨ ـ صخر بن حرب (أبو سفيان) الاموي .
١٩ ـ أبو سلمة الخزرجي .
٢٠ ـ شرحبيل بن حسنة الكندي .
٢١ ـ طلحة ابن أبي سفان .
٢٢ ـ عثمان بن عفان .
٢٣ ـ عامر بن فهيري التميمي .
٢٤ ـ عبد الله بن الأرقم الزهري .
٢٥ ـ عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي .
٢٦ ـ عبد الله بن زيد الضمري .
٢٧ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري .
٢٨ ـ عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .
٢٩ ـ عبد الله بن عبد الله بن أبي الانصاري الخزرجي .
٣٠ ـ العلاء بن الحضرمي .
٣١ ـ العلاء بن عقبة .
٣٢ ـ علي بن أبي طالب .
٣٣ ـ عمر بن الخطاب .
٣٤ ـ عمرو بن العاص .
٣٥ ـ محمد بن مسلمة الاوسي .
٣٦ ـ معاوية بن أبي سفان .

٣٧ـ ميقيب بن أبي فاطمة الدوسي .
٣٨ـ المغيرة بن شعبة .
٣٩ـ النزال بن سبرة .
٤٠ـ يزيد بن أبي سفيان .

السفير	الجهة المرسل إليها وملكها	سابقته في الإسلام	ميزاته الأخرى	نتيجة سفارته
١ ـ حاطب بن أبي بلتعة	مصر ـ المقوقس	بدري ـ شهد الحديبية	كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية	استقبال حسن وهدية للنبي
٢ ـ دحية بن خليفة الكلبي	الروم ـ هرقل	قديم الإسلام ـ شهد المشاهد	كان مضرب المثل في جمال الصورة.	استقبال حسن اشترط هوذة للاسلام اشراكه في الامر
٣ـ سليط بن عمرو العامري	اليمامة ـ هوذة بن علي	قديم الإسلام ـ بدري	كان يختلف إلى اليمامة ويعرف ملكها اخوه سهيل ابن عمرو المفاوض بأسم قريش في صلح الحديبية	استقبال سيء ورفض
٤ـ شجاع بن وهب الاسدي	دمشق ـ الحارث بن أبي شمر الغساني	بدري ـ من السابقين الاولين	هاجر الى الحبشة .	تمزيق الرسالة وتهديد بالحرب
٥ـ عبد الله بن حذافة السهمي	فارس ـ إبروي بن هرمز	بدري	كان يتردد كثيرا على ابرويز بن هرمز ـ واسرة ملك الروم في احدى الغزوات التي وجهه فيها عمر وعرض عليه التنصير واشراكه في الملك فأبى فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام فلم يجزع ، وأمر بأن يلقي امامه بأسير مسلم في قدر به ماء يغلي حتى إنه شاهد عظام الأسير تلوح من جسمه وأمر بالقائه إن لم يتنصر ، فبكى . فسئل عن بكائه فقال : تمنيت أن لي مائة نفس تلقي هكذا .. فخلى عنه .	

٦ـ العلاء بن الحضرمي	البحرين ـ المنذر بن ساوي	من سادة الصحابة ، كان له عدة أخوة في صفوف المشركين واخوه أول قتيل منهم .	مجاب الدعوة ـ خاض البحر بكلمات قالها مشهورة	أسلم المنذر واجاب للنبي بالطاعة .
٧ـ عمرو بن أمية الضمري	الحبشة ـ الاصحم بن ابجر النجاشي	اسلم منصرف الناس من أحد . أول مشاهدة بئر معونة ـ مشهور بالشجاعة .	كان من مشاهير العرب جرأة ونجدة.	اسلم النجاشي واجاب النبي كتابة
٨ـ عمرو بن العاص	عمان ـ جيفر وعبد ابني الجلندي	اسلم قبل الفتح ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقربه ودينه لمعرفته وشجاعته .	كان أحد دهاة العرب المعدودين للمعضلات وله فتوح مشهورة .	تودد من الاخوين الملكين انتهى بإسلامهما .

حملت هذه الرسائل في طياتها عناصر أساسية أهمها :

ـ عرض أفكار الاسلام الأساسية ببساطة وبدون أي تعقيد ولاتكلف وتتلخص في :

ـ الدعوة إلى توحيد الله دون سواه .

ـ التصديق برسالة محمد .

ـ الدعوة إلى اتباع الهدى والترغيب فيه .

ففي رسالته ﷺ إلى المقوقس ركز على دعوته إلى الإسلام والتذكير باليوم الآخر وما فيه من جزاء للمؤمنين ، كما ختمها بدعوة إلى التسليم بالتوحيد النقي من شوائب اعتقادات أهل الكتاب الزائفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام . فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (*).

وبنفس العبارة يتوجه ﷺ إلى هرقل فيدعوه إلى الاسلام ويرغبه فيه ويعده بالأجر في الآخرة ويختم الرسالة بآية فيها دعوة إلى توحيد الله ونبذ العبودية الزائفة .

---

* فتوح مصر ـ لابن عبد الحكم طبعة لايدن ص ٤٦

*عيون الاثر ـ لابن سيد الناس ـ طبعة القدسي ٢ / ٢٦٥

نص رسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام . فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين [1] ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

أخرجه الشيخان : البخاري ومسلم

أما في رسالته ﷺ إلى النجاشي فقد ركز في دعوته على الثناء على عيسى عليه السلام مع بيان أنه روح الله ونبيه المرسل والتركيز على القول الصحيح فيه فهو بشر من خلق الله وهو ابن مريم البتول الطاهرة كما رغبه في اتباع الهدى وقبل النصيحة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة ، سلم [2] أنت ،فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءنيفإنى

(١) الاريسيون : دهاقين القرى ، وكانوا اذ ذاك مجوسا .
(٢) أي أنت سالم لان السلم يأتي بمعني السلامة .

رسول الله وقد بعثت اليك ابـن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فإذا جـاءك فأقرهـم ودع التجبر فإني أدعوك وجنـودك إلى الله فقـد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى.

كما دعا ﷺ كسرى عظيم الفرس إلى الإسلام والتصـديق بالنبوة والرسالة بعبارات مختصرة وحذره من عاقبة التكذيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمـد رسول اللـه إلى كسرى عظيم فـارس ، سـلام على من اتبع الهدى وآمن بـالله ورسـولـه وشهـد أن لاإله إلا اللـه وحـده لا شريك لـه وأن محمدا عبـدة ورسـوله وأدعـوك بـدعاء اللـه فإنى أنا رسـول الله إلى النـاس كافـة لأنـذر من كان حيـا ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك أثم المجوس .

الطبري ـ المعارف ٢/ ٦٥٥

أما رسالة الرسول ﷺ إلى عمان فقد كان السفير الحامل لها عمرو ابن العاص ، وكان داهية العرب أدى دوره بفطنة نادرة لاحظ عمرو أن أحـد الأخوين الملكين وهـو عبد أسهل خلقـا ، وأجلد ، وأقـرب انقيـادًا ، فإنفرد بـه وزوده بمعلومـات مـؤثرة أدهشتـه ومهدت لـه طريق الايمان بالدعوة والاستجابة لها منها :

ـ إيمان كبراء العرب بمحمد وأتباعهم إياه .

ـ إيمان النجاشي وتمرده علي هرقل وامتناعـه بعد أسلامه من أداء الخراج له .

ـ تصـويره البسيط لما يدعو إليـه محمد ﷺ إذ قال له : إنـه يأمر

بطاعة الله ، وينهي عن معصيته ، ويأمر بالبر وصلة الرحم ، وينهي عن الظلم والعدوان ، وعن الزنا وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والصليب .

وتمكن عمرو من أن يدخل شعاعًا من الإسلام فى قلب أحد الملكين ، إلا أن الآخر ، حين عرضت عليه الرسالة ، تردد ثم استمهل ، ثم أجاب إلى الإسلام هو وأخوه .

فجاء إسلامهما طواعية وبرغبة نفس ، وأسلم إثر ذلك أهل عمان ودانوا بدين التوحيد دون أن يشهروا سيفا أو يرموا نبلا .

نصر رسالة النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله الي جيفر وعبد ابني الجلندي ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوكما بداعية الإسلام ، أسلما تسلما ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرأ بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما .

ابن سيد الناس : ٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩

أدى رسل رسول الله ﷺ دورهم خير أداء فقد توجهوا إلى الجهات التى حددت لهم بكل عزم وإخلاص يحدوهم الأمل في خدمة الدعوة الجديدة وكسب أنصار لها وقد كللت مساعيهم في أغلب حالاتهم بالنجاح .

وقد سبق أن رأينا نجاح عمرو بن العاص في كسب ود الملكين بعمان وإسلام إهلها .

وقد اختلف الامر نوعا ما مع بعض الملوك والأمراء .

أما المقوقس فقد استلم الرسالة من سفير الإسلام حاطب ابن أبي بلتعه . وناقشه ، وحاوره ورأى فيه حكمة وقال له : أنت حكيم جئت من عند حكيم .

فأحسن المقوقس استقباله وكاتب رسول الله ﷺ وبعث إليه بهدية : جاريتين ، إحداهما : مارية القبطية أم المؤمنين ووالدة إبراهيم ، والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت .

أما سفير الإسلام دحية الكلبي إلى هرقل فقد صادف آنذاك ملك الروم بحمص متوجهاً إلى بيت المقدس . فلما علم بالسفارة دعا أبا سفيان ، وكان في تجارة هناك . فاستفهم منه عن نسب النبي وصدقه ومكانته ، وما إذا كان طامعا في ملك ، وعمّن تبعه من الناس ، وهل خرج أحد من دينه بعد أن دخل فيه ، فصدقه أبو سفيان القول وقال في الرسول خيراً رغم أنه كان على كفره وقتئذ .

ولما قرىء عليه الكتاب أظهر ميلا له وظهرت عليه علامات التصديق ، فلغط أهل دولته استنكاراً وضجوا ، فخافهم على ملكه ولم يسلم ، ووضع كتاب رسول الله ﷺ في قصبة من ذهب تعظيما له [1] .

---

(١) ومازال القياصرة يتوارثونه ردحا من الزمن اعتقاداً منهم أن دوام ملكهم مرهون ببقاء هذا الكتاب عندهم .

تقديس ملوك الروم للرسالة المحمدية :

ذكـر الحافظ ابن حجر أن الملـك المنصور قـلاوون أرسل بعض أمـــرائه إلى المغرب بهدية ، فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعـة فقبله وأكرمـه وقال له : لأتحفنـك بتحفة سنية ، فأخـرج له صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة ،أو قصبة من الذهب ـ (وقد روى السهيلي رحمه اللـه أن هرقل وضع الكتاب ـــ يعني كتاب رسول اللـه ـ في قصبة من ذهب تعظيما له) ـــ فأخرج منها كتابـا قد زالت أكثر حروفه ، وقد ألصق عليه خرقة حرير ، فقال : هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ، مـا زلنـا نتوارثـه إلى الآن وذكـر لنا آبـاؤنـا عن آبائهم انه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا) .

السيرة الحلبية ٢٧٦

أمـا النجاشي فقـد بعث إليه عمـرو بن أميـة الضمرى بـرسالـة رسول الله ﷺ .

ولما وصله الكتاب احترمه وكرم حامله .

وقد اختلفـت الروايات عـن إسلامـه ففي رواية أنـه قال لسفير الإسـلام : إنى أعلم والله أن عيسى بشر بـه ولكن أعـواني بالحبشـة قليل ، فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب .

وفي روايـة أنه أسلم وروي خـلافه ورجحـه بعضهم [1] اعتمادا

---

(١) محمد بن محمد ابو شهبة : السيرة النبـوية في ضوء القرآن والسنه ص ٣٦٣ ط دار القلم دمشق .

على مـا جـاء في صحيح مسلم عـن أنس أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجـاشي ، وإلى كل جبار يـدعـوهم إلى الله تعالى ، وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

وتـروي بعض الروايـات أن النجاشي عظم كتـاب النبي ﷺ ثم أسلم وشهـد شهـادة الحق وكان من أعلم النـاس بـالإنجيل وصلى عليه النبي ﷺ يوم مـات بالمدينـة وهو الحبشـة . هكذا قـال جماعة منهم الواقدي وغيره [1] .

وقد رجح هـذا الرأي العلامة محمـد حميد الله في كتابـه «مجموعة الوثـائق السياسيـة» إذ أورد نص جواب الأصحم بن أبجـر نجاشي الحبشه إلى رسول الله ﷺ يحسن أن نثبته هنا [2] .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمـد رسـول الله من النجـاشي لأصحم بن أبجـر ، سـلام عليك يانبي اللـه ورحمة الله وبركـاته ، من الله الذي لا إلـه إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، أما بعد .

فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى .

فوَربّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على مـا ذكرتثفْروقًا. إنه كما قلت . وقـد عـرفنـا مـا بعثت بـه إلينـا ، وقـد قَـرَينـا ابن عمك

---

(١) ابن قيم الجوزية : فقه السيرة النبوية ص ٥٠ تنسيق د . السيد الجميلي ط دار الفكر العربي بيروت ط ٢

(٢) محمد حميد اللـه : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافـة الراشدة ص ١٠٤ ط دار النفاش بيروت الطبعة السادسة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

وقد أحال صاحب الكتاب على المراجع الاساسية المعتمدة في اثبات هذه الرسالة فليراجع .

وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صدقا مصدّقا ، وقد بايعتك وبايعتُ ابن عمك وأصحابه وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وقد بعثت إليك بابني أرها [1] بن الأصحم بن أبجر ، فإني لا أملك إلا نفسي . وإن شئت أن آتيك فعلتُ يارسول الله فإني أشهد أن ما تقول حق .

والسلام عليك يارسول الله

أما كسرى وكان السفير إليه عبد الله بن حذافة فما كاد أن يطلع على الرسالة حتى مزقها وكتب إلى بعض أمرائه في اليمن أن يقصد محمدًا وأن يستتيبه . والا فليبعث برأسه فعلم رسول الله بذلك ودعا عليه قائلا : «اللهم مزّق ملكه» وكان عامله آنذاك واسمه (باذان) قد أرسل رجلين إلى النبي لتنفيذ أمر سيده . فلما قدما على النبي ﷺ قال لهما : «أبلغا صاحبكما أن ربّي قتل ربه في هذه الليلة» وهو إخبارهما بمقتل كسرى على يد ابنه شيرويه .

وبعد عرض مختصر لدبلوماسية الرسول الخارجية من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء من حوله ، نرى أنه عليه الصلاة والسلام كانت له نظرة دقيقة لقضية الدعوة ، حيث انه عرف بحكمته كيف يوصل الدعوة إلى الله خارج محيطها المحلي انطلاقا من مهدها (المدينة المنورة) ، كما عرف كيف يخاطب هؤلاء المدعوين ، ورغبهم في الإسلام ، بعد أن رسخت الدعوة في المدينة وأثبتت قدرتها لاعلى الدفاع عن نفسها فحسب بل على الوصول إلى مواطن خصومها

---

(١) وفي رواية : أريحًا : نفس المرجع السابق ص ١٠٧

ولو بعدت الديار وكان من نتائجها أن انتقلت هذه الدعوة المباركة من مهدها الوطن إلى حلقات النفوذ الأجنبي لتكتمل معالم العالمية فيها وتتم رحماتها على البشرية .

(٧) الوفود :

تم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واستسلمت قريش العدو الأكبر للدعوة الإسلامية ، وصار الرسول ﷺ سيّد الجزيرة العربية وتحطمت قوى المعارضة المسلحة فما كان من القبائل التي كانت تهاب قريشا وتجاملها وتتحالف معها إلا أن وفدت على رسول الله ﷺ لتحاوره أو تناقشه أو تفرض شروطها عليه إن تمكنت من ذلك أو أن تسلم .

ولذلك عدّ كتاب السيرة السنة التاسعة للهجرة سنة الوفود رغم أن بعض القبائل جاءت إلى رسول الله ﷺ تعلن إسلامها قبل السنة المشار إليها .

١ـ وفد هوازن :

عاد رسول الله ﷺ من حصار الطائف إلى الجِعّرانة [1] ونزل بها ومعه من السبايا والغنائم الشيء الكثير ، كان ذلك إثر غزوة حنين وفيها انهزمت هوازن في المعركة وحقق رسول الله ﷺ وأصحابه

(١) الجِعّرانة : موضع بين الطائف ومكة ، قريب من مكة .

نصرا ساحقا عليهم حتى ساق نعمهم ونساءهم وأبناءهم سبايا من هذه المعركة وفرّ قائدهم إلى ثقيف .. فلما أصاب ﷺ منهم ما أصاب أدركه وفد منهم بالجعّرانة وقد أسلموا .

فقالوا : يارسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك .

وأضاف خطيبهم زهير بن صُرد قائلا : يارسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك .

وكان رسول الله ﷺ أعرف بالجميل وأرحم بالناس فقال لهم :

«نساؤكم وأبناؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم ؟ وقد كنت استأنيت بكم»

وقد انتظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف وأحرز قسمة السبي عسى أن يحضروا مسلمين فيشفع لهم إسلامهم .

فلمّا خيرّهم رسول الله ﷺ بين النساء والأولاد أم الأموال اختاروا أن يردّ لهم أبناءهم ونساءهم أحب إليهم من الأموال .

وتكريما لهؤلاء المسلمين الجدد وبيانا لمنهجية دعوة رسول الله ﷺ التي تعتمد على الرحمة والرأفة الناس وتوضيحا لغاياتها النبيلة ردّ إليهم نساءهم وأولادهم على الشرط أما الأموال فقد قام رسول الله ﷺ بتقسيمها على المجاهدين كما أمره الله عزّ وجلّ .

ـ وليزيد رسول الله ﷺ من برّه وصلته بهم سأل وفد هوازن عن رئيسهم مالك بن عوف فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف .

فقال ﷺ : أخبروه أنه إذا أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل .

ـ فلما بلغ ذلك مالكا انسلّ من ثقيف خفية وقدم إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه ، فردّ عليه رسول الله ﷺ ماله وأهله وأعطاه مائة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه .

ـ تلك هي حكمة الداعية رسول الله ﷺ التي أثرت على مالك وأسرته ، وبمثل هذه المعاملة الكريمة أصبح مالك بن عوف يقاتل ثقيفا بمن أسلم من قومه بعد أن كان لاجئا عندهم .

٢ ـ وفد ثقيف :

كان قدومهم على النبي ﷺ بعد أن فك حصارهم ورجع عنهم .

اتبعه أحد أشرافهم : عروة بن مسعود الثقفي حتي أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأل رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم الي الإسلام فقال له عليه السلام :

«إنهم قاتلوك»

فقال : عروة : يارسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

ـ ولما عاد عروة بن مسعود إلي قومه ودعاهم إلى الإسلام رموه بالنبال وقتلوه كما توقع رسول الهدي «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحي»

ـ وبعد استشهاد عروة بأشهر رأى القوم أن لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين بايعوا وأسلموا ، فأجمع بنو ثقيف أن

يرسلوا رجالا منهم إلى رسول الله ﷺ يبايعونه علي الإسلام بشروط منها :

أ ــ أن يدع لهم الطاغية صنمهم (اللات) ليتألفوا به سفهاءهم فأبي رسول الله ﷺ ولم يقبل المساومة .

ب ــ أن لا يصلوا ، فرفض الشرط وبيّن الدّاعية محمد ﷺ أن لا خير في دين لا صلاة فيه .

ج ـ أن لا يكسّروا أصنامهم بأيديهم .

قبل رسول الله ﷺ الشرط وكلّف أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه بهدم هذه الأصنام .

د ـ أن لا يستعمل عليهم غيرهم فأعطاهم رسول الله ﷺ ذلك .

هـ ـ سألوه عن الزنا والربا والخمر فحرّم عليهم ذلك .

ـ فلما أسلموا صاموا مع رسول الله ﷺ مابقي من شهر رمضان وكان رسول الله ﷺ يأتيهم كل ليلة فيعظهم ويفقهم ، ثم أمَّرَ عليهم أحدًا منهم كما وعد هو عثمان بن أبي العاص أصغر من في الوفد ، أمَّرَهُ لحرصه على القرآن والتفقه في الإسلام .

٣ ـ وفد بني تميم :

أغار بنو تميم على قوم من خزاعة فبعث إليهم رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري في خمسين رجلا فأسر منهم أحد عشر رجلا وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فكان هذا سبب قدومهم إلى رسول الله ﷺ .

فتجمع رؤساؤهم وأشرافهم في وفد عظيم واتجهوا نحو المدينة المنورة ولما دخلوا المسجد النبوي الشريف وجدوا الناس ينتظرون رسول الله ﷺ ليخرج إليهم لأداء صلاة الظهر وعوض أن ينتظروا كغيرهم من الناس حتى يخرج إليهم تعجّلوا وصاروا ينادونه من وراء حجرات نساء النبي ﷺ «اخرج يامحمد فإن مدحنا زيْن وذمنا شيْن» وأكثروا من هذا النداء الجافي العاري وألحوّا في الطلب فأنزل الله تعالى بسببهم هذا التأديب الإلهى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾

(٤ ـ ٥ الحجرات)

ولما مثلوا بين يدي رسول الله ﷺ وبعد منتاقشته أسلموا .

ولما أسلموا أجزل لهم الرسول ﷺ العطاء وأحسن جوائزهم .

٤ ـ وفد بني عبد القيس

قدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو في وفد بني عبد القيس وكان نصرانيا .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ عرض عليه الإسلام ورغبه فيه فقال «إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي دينى ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه .

فأسلم وأسلم أصحابه .

وتظهر هنا حكمة الـدّاعية محمد ﷺ أنه لم يجامل الجارود ولكن رغّبه في الإسلام بكلمات مؤثرة ، فالإجابة بنعم لا تعني أن النصرانية هي الإسلام ولذلك وضح له الرّسول ﷺ بأسلوبه الرائع أن الإسلام خير من النصرانية المحرّفة...

٥ـ وفد بني حنيفة :

قدم وفد بني حنيفة إلى المدينة وفيهم مسيلمة الكذّاب .

نزلوا في دار رملة بنت الحارث ـ وكـانت معدّة للضيوف ـ فجعل مسيلمة يقول : إن جعل لي محمد الأمر بعده اتبعته .

ـ ولما التقـوا برسـول اللـه ﷺ أسلمـوا فإنصرفوا ولما انتهـوا إلى اليمامة ارتـدّ عدوّ اللـه مسيلمة وبعـث برسـالة إلى رسـول الله ﷺ يقول فيها :

«من مسيلمة رسـول الله إلى محمد رسول الله سـلام عليكم، أما بعد»

فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا يعتدون ...

ـ فبعث رسول الله ﷺ إلى مسيلمة كتابا مع مبعوثيه جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسـول الله إلى مسيلمة الكـذّاب السلام علي من اتبع الهدى أما بعد ، فإن الأرض للـه يورثها من يشاء من عبـاده والعاقبة للمتقين .

٦ـ وفـد نجـران :

روي أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران كتابـا يدعوهم فيه إلى عبادة اللـه وحده ونبـذ عبادة العبـاد فإن أبـوا فالجزيـة وإن أبوا فالحرب .

ـ فلما وصلهم الكتاب جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ودخلوا المسجد النبوي الشريف وهم يلبسون ثيابا من حرير وفي أيديهم خواتيم من ذهب .

فأعرض عنهم النبي ﷺ ولم يكلمهم من أجل زيّهم .

وفي الغد أتوه بثياب الرّهبـان فقبلهم ودعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وقالوا : كنا مسلمين قبلكم فقال النبي ﷺ :

يمنعكم من الإسلام ثلاث :

عبادتكم الصليب

وأكلكم لحم الخنزير

وزعمكم أن لله ولدًا

ـ وكثـر الجدال والحجـاج بينـه عليـه السـلام وبينهم ولما لم تجد معهم المجـادلة بـالحكمة والموعظـة الحسنة دعـاهم إلى المباهلـة أي الدّعاء باللعنة امتثالا لقول الله عزّ وجلّ :

(فمن حاجك فيـه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعـالوا ندع أبنـاءنـا وأبنـاءكم ونسـاءنـا ونسـاءكم وأنفسنـا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)

ـ فتشـاوروا فيما بينهم وخافـوا الهلاك لعلمهم أن محمدا ﷺ نبي حقا

وأنه ما بـاهل قوم نبيا إلاّ هلكوا فأبوا أن يلاعنـوا وقالوا : أحكم بما أحببت .

ـ فصـالحهم عليـه السـلام على الجزيـة واشترط عليهم أن لا يتعاملـوا بالـرّبا وأمّنهم على أنفسهم ودينهم وأمـوالهم ثم رجعوا إلي بلادهم .

ـ وبعث معهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح ليقبض منهم مال الصلح وقال : هذا أمين هذه الأمة ...

ـ فلم يلبث العاقب وهـو أميرهم وصـاحب مشورتهم والسيـد وهـو صـاحب رحلتهم إلاّ يسيرا حتى رجعـا إلى النبي ﷺ فأسلما وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري .

٧ ـ وفـد طيـىء

ـ قدم على رسـول اللـه ﷺ وفـد طيىء وفيهم زيد الخيل وهـو سيدهـم ، ولما انتهوا إليـه كلمّوه وعرض عليهـم الدّاعيـة محمد ﷺ الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم .

وأجـازهم رسول اللـه ﷺ بعطـايا ومنح وسمّى سيّـدهم بزيـد الخير .

ـ ومن قبيلة طيىء عـدّي بن حـاتم الطائي وقـد أشارت عليـه

أخته سفّـانة بأن يعود إلى رسـول الله ﷺ ، وكان ذلك بعـد إطلاق سراحها من الأسر وقد أكـرمها رسول الله ﷺ أيما إكرام وأعادها إلي قومها معززة مبجّلة ، وحرّضته على ملاقاة الرسول ﷺ .

ـ ولما التقـي عدي بالنبـي محمد ﷺ وبعد جـدال طويل تـأكد عـدي من تواضـع رسول اللـه ﷺ وسمـوّ أخلاقـه فأسلم وحسن إسلامه وشارك في فتح بلاد فارس .

٨ ـ وفد بني عامر :

ـ قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر وفيهم عامر بن الطفيل وأربـد بن قيس واشترطـوا لإسلامهـم أن يعود الأمـر إليهم من بعـد رسول الله ﷺ فرفض الرّسول الكريم أن يخصّهم بشيء .

ـ وعاد عامر وأربد إلى قومهما كـافرين أما عامر فقد أصيب بغدّة مات على إثرها قبل أن يصل إلى قومه .

وأما أربـد فقد أحرقته صـاعقة عقابا لهما من رب العـزّة إذْ تواطأ على اغتيـال رسـول اللـه ﷺ فعصمـه اللـه منهما وأنـزل في شأنهما الآيات الكريمة التالية :

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾

(١٠ـ ١٣ الرّعد)

٩ـ قدوم مبعوث ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ :

بعد رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك «رمضان سنة ٩ هـ» وفد عليه مالك بن مرارة الرّهاوي رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم .

ـ فأمر ﷺ بلالا أن ينزله ويكرمه

ـ وكتب رسول الله ﷺ رسالة إلى ملوك حمير هنئهم فيها على هداية الله لهم وإسلامهم .

١٠ـ وفد أهل اليمن :

ـ استقبل رسول الله ﷺ وفد أهل اليمن عامة ووجدوا عنده وفد بني تميم ولكنهم كانوا أفقه منهم وأرق في حديثهم وتعاملهم وتأدبهم مع الرسول ﷺ فمدحهم النبي عليه السلام بقوله :

«أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم» ..

١١ـ وفد الأزد :

ـ ومن اليمن أيضا قدم على رسول الله ﷺ وفد الأزد ، جاؤوا

طائعين مؤمنين مصدّقين يعلنون إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ ممتثلين لأمره فيهم فسألهم عن حقيقة إيمانهم فأخبروه فأعجب بفقههم وعلمهم وقال فيهم :

«حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء» .

١٢ ـ وفد الأشعث بن قيس :

قاد الأشعث بن قيس وفدا يضم ثمانين راكبا من أشراف كندة وكان من ملوكهم ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ ليعلنوا إسلامهم ودخلوا عليه المسجد وهو يلبسون الحرير فقال لهم: ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟! فشقوه وألقوه وأسلموا .

١٣ ـ وفد الدّاريين :

يتكون وفد الدّاريين من عشرة أنفار وفيهم تميم الدّاري وأخوه نعيم وكانوا نصارى ولما قدموا إلى المدينة والتقوا برسول الله ﷺ أسلموا وأقاموا بالمدينة حتى توفي رسول الله ﷺ .

١٤ ـ وفد تغلب :

كان وفد تغلب يضم ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى ولما وصلوا المدينة ومثلوا بين يدي رسول الله ﷺ صالح النصارى منهم على مال يدفعونه وأقرّهم على دينهم وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم .

١٥ـ وفد بجيلة والأحمس :

قدم جرير بن عبد الله البجلي في رمضان سنة عشر للهجرة على رسول الله ﷺ ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا فأسلموا وبايعوا .

عن جرير قال :

بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

ـ وقدم قيس بن عزرة الأحمسي في مائتين وخمسين رجلا من أحمس ـ إخوة بجيلة .

ـ فأعطى رسول الله ﷺ للأحمسيين ولبُجيلة وأجزل لهم ، وكلف رسول الله ﷺ جريرا بهدم بيت باليمن لخثعم يضاهئون به الكعبة وبه نصب تعبد فإنطلق في مائة وخمسين من أحمس فخرّبها وحرّقها وبعث إلى رسول الله ﷺ يبشره بذلك .

١٦ـ مازن بن غضوبة :

يرجح معظم من ترجم للصحابي الجليل مازن بن غضوبة أنه قاد وفدا إلى المدينة لملاقاة رسول الله ﷺ وإن لم يعلم من يضم هذا الوفد إلاّ أنه لايعقل أن ينتقل مازن من عمان إلى المدينة بمفرده قاطعا البراري والفيافي على راحلته ..

والثابت لدى المؤرخين وكتاب السيرة أن مازن بن غضوبة سعى إلى رسول الله ﷺ والتقى به إذ يقول عن نفسه :

«فركبت راحلتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ فسألته عمّا

بعث به فشرح لي الإسلام ونوّر الله قلبي للهدى فأسلمت .»

ــ وطلب مازن من الرّسول الكريم أن يدعو لقومه أهل عمان وكلما دعا الرّسول ﷺ استزاد من الدّعاء مغتنما فرصة وجوده مع الرّسول ﷺ ولقائه به ، مؤمنا ومتيقنا في الآن نفسه أن دعاء الرّسول ﷺ مستجاب .

فقال عليه السلام :

«اللهم اهدهم وأثبهم»

«اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدّرت لهم»

«اللهم وسّع لهم وعليهم في ميرتهم [1] وأكثر خيرهم من بحرهم ولا تسلط عليهم عدوّا من غيرهم»

ـ أدب جمّ تأدب به هذا الصحابي الجليل بحضرة رسول الله ﷺ عندما طلب الدّعاء لقومه أولا ولم يطلبه لنفسه ، وحتى يستفيد أكثر من هذه الجلسة المباركة الطيبة مع أشرف خلق الله طلب مازن من رسول الله ﷺ أن يدعو له قائلا :

يارسول الله : إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفذ مالي في هذا فادعُ الله أن يذهب عني ما أجد .

ـ فقال النبي ﷺ :

«اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال والعُهر عفّة الفرج وبالخمر ريّا [2] لا إثم فيه وآته الحياء وهب له ولدًا .

---

(١) ميرتهم : تجارتهم ومعاشهم .
(٢) رِيا : ارتواء ـ ضد العطش .

ـ ولما كان العام القابل وفد مازن على رسول الله ﷺ بالمدينة ليبشره بإسلام قومه وتحقق دعوته ﷺ ولقومه وأنشد قائلا وموثقا هذه الرحلة المباركة :

إليك رسـول اللـه خبّت مطيتي
تجوب الفيافي من عمان إلى العَرْج (١)
لتشفع لي يـاخير من وطىء الحصى
فيغفـر لي ربّي فأرجع بالفَلْج (٢)

ـ وفعلا تحقق دعاء رسول الله ﷺ لمازن إذ يقول عن نفسه واصفا استقامة سلوكه وصلاح أمره بالإسلام :

«فأذهب الله تعالى عنّي ما كنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب وحججت حججا وحفظت شطر القرآن وتزوجت أربع عقائل من العرب ورزقت ولدًا فسميته حيّان بن مازن .

ـ هذه هي أشهر الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ وقد جاءت إليه مختارة لا تزعمها على ذلك قوة وقد أعلنت الغالبية منها إسلامها بين يدى رسول الله ﷺ وقد كلف بعض من أسلم منهم بدعوة أقوامهم إلى الإسلام .

أما من لم يسلم من الوفود كنصارى نجد صالحهم النبي ﷺ على مال يدفعونه ضمانا لدينهم وأنفسهم وأولادهم على أن لا يتعرضوا أو يقفوا ضد استمرارية الدّعوة لتأخذ طريقها حرّة بين الناس ولا

---

(١) العَرج : مكان قريب من المدينة .
(٢) الفلج : الفلاح والفوز .

يتعرض أي مسلم إلى الأذى وفي هذا دليل على الحرّية التي كان يتمتع بها كل وفد في اعتناق الإسلام من عدمه امتثالا لقول الله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾

(٢٥٦ البقرة)

ثم إن هذه الوفود تمثل مختلف القبائل العربية وتمثل أهل الكتاب أيضا وبذلك تمّ للرسول الدّاعية ﷺ تنفيذ ما أمره الله به في قوله :

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ ﴾

(٢٠ آل عمران)

لقد قال لهم ذلك فاستجاب منهم من استجاب وامتنع من امتنع وما على الرسول إلاّ البلاغ .

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

(٢٠ آل عمران)

رابعا : نتائج الدّعوة

١ ـ إقامة دولة الإسلام
٢ ـ الانتشار الواسع للإسلام في وقت ضيق
٣ ـ فتح مكة انتصار للدّعوة
٤ ـ تكوين جيل من الدّعاة

رابعا : نتائــج الدّعــوة :

(١)إقامة دولة الإسلام :

بدأ التخطيط لإقـامة الـدولة الإسـلامية في مكـان آمن غير مكة ووقع الاختيار علي يثرب لتكون عاصمة للدولة الفتية مستقبلا .

ومنذ بيعة العقبة الأولى أصبـح للرسول محمد ﷺ أنصار «جدد خـارج مكة إذ شـاع ذكـره بين النـاس في تلك الـربوع ، وفي البيعـة الثانيـة وعند العقبـة بايع الأوس والخزرج الـرسول ﷺ على الإسلام والدفاع عنـه وسميت البيعة الحرب (القتال) فكان مـن نتائج وآثار البيعتين أن حقق الدّاعيـة محمد ﷺ انتصارات عـدّة تساعـده على تحقيق الهدف من دعـوته وإنشـاء دولـة إسلاميـة مستقرة ينعم فيهـا أتباعـه بالأمن والاستقرار خـاصة وأن الأتباع بـدؤوا يتكاثرون يـوما بعد يوم.

ولما تهيأت الأرض المناسبة لاستقبـال الرّسول محمد ﷺ وأتباعه تمت الهجـرة من مكة إلي يثـرب لتصبح ـ كما سمّاهـا الرسـول ﷺ ـ المدينة عـاصمة مستقلة بـذاتها وبذلك تـوفر المناخ المنـاسب الذي يرتفع فيه صوت الإسلام بلا خوف ولا وجل .

ومنذ وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة سعـى إلى إنجاز المهام الملقـاة على عـاتقـه في مطلع المرحلـة الجديــدة من الـدّعـوة والتي تستهدف أولا وقبـل كل شيء إنشاء دولـة إسلامية مبنيـة على أسس ثابتة وقوية .

ولقد كان بناء المسجد الخطوة الأولي ، تلاه إصدار الوثيقة والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وتكوين جيش إسلامي مقاتل قوي يملك القدرة على حماية الدّولة الناشئة ويمنع تقويض أركانها من البداية .

فكان المسجد هو البرلمان وهو «مجلس الشورى» منه تنطلق التوجيهات العسكرية وفيه تعقد الاتفاقيات والتحالفات وتقام فيه علاقة الدّولة في الدّاخل والخارج .

أما الوثيقة والتي استمد الرسول ﷺ أصولها وبنودها من القرآن الكريم أرادها أن تكون أساسا متينا نقوم عليه الدّولة الإسلامية حيث حدّدت ونظمت العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي ذاته وبينه وبين الكتل البشرية المتعايشة معه وخاصة اليهود .

ومن خلال هذه الوثيقة وبنودها وحّد الرسول ﷺ المجتمع الإسلامي وعدّه أمة واحدة من دون الناس واعتبر الأمة مقوما من المقومات الأساسية للدّولة الإسلامية فألغى بذلك الحدود القبلية ولم يجعل لها وجودًا رسميا في الدّولة الجديدة ليصبح الإسلام ملكا لمن يدخل فيه .

وبناء على هذه القاعدة دخلت شعوب كثيرة في الإسلام وكوّنت أمة واحدة ذكرها الله عزّ وجل في كتابه الكريم بقوله :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾

(٥٢ المؤمنون)

أمة أعطت ولاءها المطلق لهذا الدّين الجديد واعتمدها رسول

الله ﷺ ركيزة ودعامة قوية لدولته الفتيّة وجعلها أمة قائمة على رابطة العقيدة وذلك بإقرار مبدأ الأخوة بين المسلمين ليجعل رابطة العقيدة من أقوى الروابط التي تقوم عليها علاقات المسلمين بعضهم ببعض ولا عبرة بعد الأخوة بالنسب أو القومية أو القبائلية أو اللون .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾

(٩٢ الأنبياء)

وقال أيضا :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(١٠ الحجرات)

إن هذه الدّولة التي أسسها رسول الله ﷺ في المدينة فذّة في تاريخ البشرية لأنها أقرّت مبدأين هامين :

أولهما : مبدأ حرية العقيدة حتى لا يكون اليهود أو النصارى عقبة أمام الدّعوة الإسلامية وانتشارها .

ثانيهما : مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع أفراد الدولة على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم .

بهذه الإجراءات الهامة وضع الرسول ﷺ القواعد الأولى لبناء دولة الإسلام في المدينة المنوّرة .

وأخذت التشريعات بعد ذلك تنمو وتتسع يوما بعد يوم

فأخذت الصلاة شكلها النهائي وفرضت الزكاة وكتب الصوم وشرعت الحدود وأذن في القتال .

قال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾
(٣٩ الحج)

وبعد نزول الإذن بالقتال بدأ رسول الله ﷺ بإعداد الأمة عمليا لمواجهة أعداء الدّولة في ميادين القتال وكان هذا الإعداد شاملا للتعبئة المعنوية والإعداد المادّي ومنه التدريب وصناعة السلاح والتزوّد بالقوة قدر المستطاع .

قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (٦٠ الأنفال)

وفرض الجهاد ، وبذلك استكملت الدّولة الإسلامية عناصرها ومكوناتها إذ الجيش من المقوّمات الأساسية لكل دولة تزيد الحفاظ علي كيانها والتمتع بسيادتها في الدّاخل والخارج .

وينبغي أن يكون الجيش قويا قادرا على الدّفاع عن شخصيتها وصدّ العدوان عنها للحفاظ على ذاتيتها .

وقد نزلت الآيات الكريمة توضّح للأمة فضل الجهاد ومكانته وفيها دفع معنوي وإعداد للأمة لتكون قادرة على حماية أرض

الدّعوة ونشرها .

فبيّن الرّسول الكريم أن غاية الجهاد في الإسلام نصرة دين الله وإقامة حكم الله في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلي .

قال تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾

(٣٩ الأنفال)

ولذلك رغّب الله تعالى في الجهاد مبينا بقوله :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقْتَلُون وعْدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

(١١١ التوبة)

وقال ﷺ :

ذروة سَنام الإسلام الجهاد لا يناله إلاّ أفضلهم .

(الترمذي)

وأثبتت هذه الدولة الإسلامية جدارتها ونفوذها وسيطرتها على الجزيرة العربية ولقنت الأعداء دروسا لن ينسوها سجلها التاريخ بأحرف ذهبية ، لتكون مثالا حيّا لكل من يريد أن يؤسس دولة إسلامية قوامها الأخوة والعدالة والمساواة والشورى كما فعل حاكمها

رسول الله ﷺ .

وبذلك قضى رسول الله ﷺ على الوثنية القضاء المبرم وأعلن براءته من المشركين صراحة عند تلاوته لقول الله تعالى :

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣ ـ التوبة)

كما صرّح الرّسول ﷺ علنا وأمام الملأ بنجاسة المشركين ومنعهم من الدّخول إلى المسجد الحرام وتلا قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن
شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٢٨ التوبة)

لم يعد للمشركين مكان بين المسلمين فهم محاربون في كل مكان منبوذون ممنوعون من الدّخول إلى المسجد الحرام .

وهذا دليل على قوة الدّولة الإسلامية وتماسكها وسيطرتها على الأوضاع .

وبفضل من الله ومنّته استكملت دولة الإسلام كل مستلزمات البناء للدّولة وقامت على أركان راسخة ثبتها رسول الله ﷺ لتكون دولة العقيدة تستمدُّ سلطتها وحاكميتها من الله تعالى .

قال تعالى :

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾

(٥٧ الأنعام)

وما على أفراد هـذه الدولة إلاّ الطاعـة لله ورسوله ولـولاة الأمور ماداموا في طاعة الله ورسوله :

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾

(٥٩ النساء)

(٢) الانتشار الواسع للإسلام في وقت ضيّق :

دامت رسالة النبي محمد ﷺ أقل من ربع قرن من الزمن ، ورغم قصر المدّة فإن الإسلام تخطى الجزيرة العربية وبلغ صداه الروّم وفارس ووصلت دعوة الحق إلى أماكن بعيدة رغم قلة وسائل الاتصال ومحدوديتها مقارنة مع ما هو متوافر حاليا .

ولقد ابتدأ الإسلام بشخص واحد هو الرّسول محمد ﷺ في جبل بغار حراء وبعد ثلاث وعشرين سنة من الدعوة والتبليغ وقريبا من المكان نفسه التفّ حول رسول الله ﷺ مائة وثلاثون ألفا [١] من المسلمين أو يزيدون يمثلون جزيرة العرب وحدها ؛ هذا لمن حجّ منهم مع رسول الله ﷺ أما من آمن بدعوته فالعدد كثير .

ولو استعرضنا انتشار الإسلام في الفترة المدنية فقط واعتمدنا أهم الغزوات ومشاركة المسلمين فيها للاحظنا النموّ العددي السريع للمجتمع الإسلامي في المدينة .

---

(١) المنهج الحركي : الغضبان ص ٧١٠ تحت عنوان : الحج الأكبر ومائة وثلاثون ألفا من المسلمين .

م	الغزوة	تاريخها	عدد المشاركين من المسلمين
١	بدر الكبرى	رمضان ٢ هـ	٣١٣
٢	أحد	شوال ٣ هـ	٧٠٠
٣	الخندق	شوال ٥ هـ	٣٠٠٠
٤	مؤتة	جمادى الأولى ٨ هـ	٣٠٠٠
٥	فتح مكة	رمضان ٨ هـ	١٠٠٠٠
٦	حنين	شوال ٨ هـ	١٢٠٠٠
٧	تبوك	رجب ٩ هـ	٣٠٠٠٠
(الحصيلة : سبع غزوات في ست سنوات وعشرة أشهر)			

وبقراءة سريعة لهذا الجدول الذي يشمل سبعا من أهم الغزوات وتواريخها وعدد المشاركين من المسلمين فيها يلاحظ التزايد المطّرد للمجاهدين المسلمين بين غزوة وأخرى .

وهذه بعض النتائج التي يمكن التوصّل إليها واستخلاصها من خلال هذا الجدول .

أ ــ تضاعف عدد المجاهدين إلى ما يقارب المائة مرّة ابتداء من غزوة بدر إلى غزوة تبوك في زمن قدره ست سنوات وعشرة أشهر تقريبا .

ب ــ وفي سنة واحدة وخلال ستة أشهر فقط تضاعف عدد المجاهدين في سبيل الله أربع مرّات مع أن الخروج إلى الجهاد فرض كفاية للمسلم وكم مرّة يمنع رسول الله ﷺ بعض المندفعين إليه من الشباب .

روي أن شابا استأذن رسول الله ﷺ في الجهاد فقال له : أحيّ والداك ، قال نعم : قال عليه السلام : ففيهما فجاهد .

ويكون الجهاد فرضا عينيا عندما تغزى أرض المسلمين .

كل هذه المؤشرات تدل على نجاح دعوة محمد ﷺ وسرعة انتشارها لأنها قامت على الحرّيات وضمنتها ومن نتائجها أن بدأ الناس يقتنعون بالدّين الجديد ويتنافسون للدخول فيه أفواجا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ (صدق الله العظيم)

هكذا أيدّ الله تعالى نبيّه محمدّا ﷺ وأنزل عليه هذه السورة التي تسمي بسورة النصر ، وهي آخر سورة نزلت على الدّاعية محمد ﷺ كاملة .

كان ذلك بمنى في أوسط أيام التشريق من حجة الوداع وتتضمن دلالة واضحة على ما كان من إقبال الناس على اعتناق الإسلام من الجزيرة العربية وخارجها .

ولما بعث رسول الله ﷺ كتبه إلى ملوك العرب وغير العرب وأرسل رسله وانتشروا فى أماكن مختلفة داخل الجزيرة العربية وخارجها بدأ الناس يفدون علي رسول الله ﷺ ويعلنون إسلامهم بين يديه ويؤكدون ولاءهم وطاعتهم وينعمون بصحبته ﷺ حتى لا تفوتهم الفرصة ليكونوا من صحابته الكرام وهو يعلمون المصير

المحتوم لكل إنسان ولو كان رسولا .

قال تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

(١٤٤ آل عمران)

وقال جلّ وعلا مشيرا إلى نبيه محمد ﷺ :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾

(٣٠ الزمر)

ووراء كل وفد من هذه الوفود المتدفقة على المدينة المنورة عدد كبير من الناس آمن منهم من آمن ، ومن لم يؤمن من غير العرب رضى العيش تحت ظل الإسلام مقابل جزية يدفعها يحفظ بها نفسه وماله وعرضه .

وهكذا يمكن القول بأن النبي محمدًا ﷺ لم يمت إلاّ والإسلام قد وصل إلي كل ناحية من الجزيرة العربية وخارجها وبذلك أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة وحجّ حجّة إسلامية خالصة برئت من الشرك والمشركين .

قال تعالى :

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(٣ المائدة)

(٣) فتح مكة انتصار للدعوة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أنزلت سورة النصر على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس خطبة الوداع .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال (إنه قد نعيت إليّ نفسي) .

إن الفتح والنصر ودخول الناس في دين الله أفواجا نعم عظيمة أمر الله رسوله أن يقابلها بالتسبيح بحمد الله والاستغفار .

فالتسبيح توحيد وعبادة وشكر والاستغفار عبودية وافتقار .

يسمي كثير من كتاب السيرة فتح مكة بالفتح الأعظم وهي تسمية دقيقة إنه فعلا فتح أعظم لأن المسلمين فتحوا أعتى قلاع الشرك ودانت لهم أقوى قبائل العرب وقريش .

لقد كانت أحياء العرب تنتظر فتح مكة لتسلم يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله مكة دخلوا في دين الله أفواجا ولم تمض سنتان حتى عم الإيمان جزيرة العرب .

روي البخاري عن عمر بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ .

وتيقن العرب جميعا أن هذه الدعوة هي الحق الذي يجب اعتناقه وانهارت كل مقاومة بعد هذا الانتصار وتوالت الوفود بعد الفتح

على رسول الله تبايع علي الإسلام .

إن الفتوح كثيرة في حياة الدعوة وكلها عظيمة في نتائجها وآثارها لكن فتح مكة هو الفتح الأعظم مقارنة بما سبقه من فتوح .(١)

إن فتح مكة فتح أعظم أعز الله به دينه ونصر جنده واستنقذ به بلده وبيته من أيدي المشركين .

بعد أن دخل رسول الله ﷺ مكة ظافرا منتصرا أدى صلاة الفتح ثَمَانيَ ركعات في بيت أم هانىء ، ثم جلس عليه السلام على الصفا في اليوم الثاني من الفتح يقبل البيعة من الناس فبدأ بالرجال ولما فرغ منهم أخذ في بيعة النساء (٢) .

علم أهل مكة أن لا سبيل الى النجاة إلا بالإسلام فأذعنوا له وتبين لهم الحق وشهدوا أن دعوة محمد ترشد إلى الهدى والتقي ومكارم الأخلاق وأنها انتصرت بمبادئها السمحة على الشرك والقيم

---

(١) شيق فتح مكة الأعظم بفتحين قريب ومبين .
الفتح المبين هو الذي تم في صلح الحديبية ٦ هـ وقال فيه سبحانه وتعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ـ الفتح/١)
الفتح القريب هو فتح خيبر ٧ هـ ودمر العدو اليهودي الماكر . قال تعالى (وأثابهم فتحا قريبا .الفتح / ١٨) .
وقال سبحانه (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا . الفتح / ٢٧).
ومن الحق أن نقول : إن الفتح القريب والفتح الأعظم كان ثمرة للفتح المبين في غزوة الحديبية .

(٢) روى أحمد عن أميمة بنت رقيقة قالت (أتيت رسول الله في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان ولا نعصي في معروف . فقال : فيما استطعتن وأطقتن .. قلنا يارسول الله ألا تصافحنا قال : إني لا أصافح النساء أنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة أمرأة) . وكان يضع يده في إناء ثم تضع المبايعة يدها في الإناء وتبايع ولم تمس يده يد امرأة قط في المبايعة .

الجاهلية .

لقد فتحت هذه الغزوة أعين الناس إلى نور الله وأزالت الحجب التي كانت تحول بينهم وبين الإسلام واستطاع المسلمون بعد هذا الفتح أن يوجهوا جهودهم لنشر الدعوة آمنين في طول الجزيرة العربية وعرضها فتوجه الدعاة ووفدت الوفود تعتنق الإسلام وتبايع الرسول ﷺ وتحمل الدعوة الخيّرة إلى من حرمها .

فشتان بين دخول النبي عليه السلام المدينة المنورة أول الهجرة مطاردا يبغي الأمان . غريبا ينشد الإيواء فأكرمه الأنصار وأيدوه ، وبين عودته إليها بعد فتح مكة وقد دانت له وألقت تحت أقدامه كبرياءها وجاهليتها فأعزها بالإسلام .

لقد تواصلت نجاحات الدعوة بعد فتح مكة فأرسل النبي إلى القبائل التي أسلمت عمالا لجمع الزكاة كما وجه سرايا لسيادة الأمن في عامة مناطق الجزيرة .

إن فتح مكة غزوة فاصلة بين الحق والباطل لم يبق بعدها مجال للشك في دعوة محمد فدخل الناس في دين الله أفواجا ونالت الدعوة قبولا تاما وبسط نفوذها في أرجاء جزيرة العرب .

لقد استطاع الرسول ﷺ بعد فتح مكة أن يغير وجه الأرض فارتفعت راية التوحيد وقضي على الشرك وسقطت المعسكرات المعادية للإسلام فهزم اليهود في خيبر والنصارى عند مؤتة وأهل الشرك في مكة . وشق الأذان الأجواء وانطلق الدعاة يتلون كتاب الله ويعلمون أحكامه ويخلصون الفرد من اوهام العبودية والفساد

ويخلصون المجتمع من الظلم والتفكك والطبقية ويبنونه على العفة والعدالة .

(٤) مدرسة النبوة تخرج جيلا من الدعاة

جاء الرسول ﷺ رحمة للعلمين بعثه ربه عز وجل برسالة التوحيد .

لا إله إلا الله ، ولا دين إلا الإسلام ، والناس لآدم وآدم من تراب .

مبادىء سامية ترفع الانسان إلى أعلى مراتب التحرر .

مبادىء تستجيب لها فطرة الإنسان التي جبلت على الخير ويستجيب لها العقل الذي طُبع على معرفة الحق .

بهذا المبادىء دعا رسول الله ﷺ الناس ، وعليها رباهم وأدبهم وأقام دعوته فيهم ، فاستجابوا له ، واتبعوه .

وأقبلت عليه الوفود من أطراف الجزيرة تعلن الولاء والطاعة وتدين بالإسلام وتسلم بالرسالة الخالدة .

فاستطاع عليه السلام أن يربي رجالا كانوا رعاة للإبل ، وإذا بهم يتخرجون من مدرسة النبوة أساتذة الدنيا وقادة لبشر .

استطاع عليه السلام أن يحرر وجدانهم من كل ما هو زائف يحط من قيمة الإنسان وأن يرفعهم عليين رجالا صادقين ودعاة مخلصين وأتباعا علماء نشطين في حقل الجهاد ، يحملون راية

التوحيد في حلقات الدرس ، وميادين الدعوة ، وعلى صهوات الجياد وأسنة السيوف .

كان أتباع محمد ﷺ دعاة الى الله ، أدبهم بكتاب ربه وأشبعهم من لبانه سنن أصبح فيهم يقينا ، ثم وجه كل واحد منهم إلى ميدانه ، ووضعه في محله ، فكأنما خلق له ، وكأنما كان المكان شاغرا لم يزل ينتظره ويتطلع إليه ، ومن هذه النخبة الممتازة صنع رسول الله ﷺ أمة الدعوة وأمة الجهاد .

أمة تخرج من الضياع إلى الوجود ، لم يكن لها ذكر بين الأمم وإذا بها تصبح خير أمة أخرجت للناس .

أمة كانت غائصة في وحل الوثنية والرذائل التي أوهنتها وجعلتها حقيرة مستصغرة ، وإذا بها تصبح أمة داعية إلى التوحيد تحمل رايته عالية وتحارب الشرك والفوضى وترفض العبث والاباحية.

أمة تَرَبَّتْ على يد الداعية الأول فتغذت من لبان دعوته وأخذت من معينها الصافي فنشأت على الصحوة واليقظة والاستعداد للجهاد .

أمة ترفض التبعية والانقياد لغير الواحد الأحد .

أمة مجاهدة ترفع راية الدعوة لتوصلها إلى الأماكن البعيدة لا تبالي بالمخاطر أمامها فيصل صداها الى أقاصى الأرض شرقا وغربا، شمالا وجنوبا .

وهذا واحد من أولئك الدعاة المخلصين وهو ربحي بن عامر

القائد المجاهد يدخل على رستم قائد جيش الفرس .

فيقول له رستم : ماذا جاء بكم إلى بلادنا ؟

فيرد عليهم : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

ما الذي جرّأ ربحياً أن يقطع الصحارى ويجتاز الجبال والوديان ليصل إلى أرض مليئة بالمفاوز [1] كثيرة المخاطر ، لولا تلك المبادىء التى تربي عليها واكتسبها من مدرسة النبوة التي لا ينضب معينها واقتنع بها وسرت فيه مسرى الدّم .

خرج داعيا الى الله ، مجاهدا في سبيله ينشر الإسلام لكون حلقة وصل بالمدرسة النبوية العطرة .

ربت مدرسة النبوة الأولى رجالا :

- أمناء على دينهم حتى يبلغوه .
- أمناء على شريعة ربهم حتى يبثوها .
- أمناء على أموال الناس وأعراضهم حتي يحفظوها .
- أمناء على أرضهم وديارهم حتى ينافحوا عنها ويحموها .

دعا قائد الروم واسمه «جرجة» خالد بن الوليد ــ أحد خرجي مدرسة النبوة ــ وهو آنذاك مشرف على بلاد الروم أيام الفتح ودار بينهما هذا الحوار .

- ياخالد ، اصدقني ، ولا تكذبني فان الحرّ لا يكذب .

---

(١) المفازة : ج مفازات ومفارز : المهلكة الفلاة لا ماء فيها .

هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك أياه فلا تسُلّه علي أحد إلا هزمته ؟

قال خالد : لا

قال القائد الروماني : فبم سميت سيف الله ؟

قال خالد إن الله بعث فينا رسوله فمنا من صدقه ، ومنا من كذبه ، وكنت فيمن كذب ، حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام وهدانا برسوله فبايعناه .

فدعا لي رسول الله وقال لي : أنت سيف من سيوف الله ؟

فهكذا حيث سميت سيف الله .

قال القائد : وإلامَ تدعون ؟

قال خالد : إلى توحيد الله والي الإسلام .

قال : هل لمن يدخل في الإسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبه والاجر ؟

قال خالد : نعم وأفضل .

قال الرجل : كيف وقد سبقتموه ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ورأينا آياته ومعجزاته وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم في يسر .

أما أنتم يامن لم تروه ، ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم .

عندئذ صاح القائد الروماني وقد دفع جواده إلى ناحية خالد

ووقف بجواره : علمني الإسلام يا خالد .. وأسلم .

وصلى لله ركعتين لم يصل سواهما . فقد قاتل الى جانب خالد حتى آستشهد .

إن الشخصية الإسلامية التى تخرجت من مدرسة النبوة كانت شخصية فذة ، العدل قيدها ، والحق حكمها ، والخوف من الله هدفها ، ورسول الله ﷺ وجّهها فى إطارها الصحيح .

فخرجت الدعاة المجاهدين ، والعلماء المخلصين الذين تركوا الديار والبلاد وخرجوا مجاهدين في سبيل الله . همهم تبليغ الإسلام إلى الناس ، وبلوغ مرضاة الله عز وجل .

فهذا ابن عباس رضي الله عنهما حبر الامة يوقف حياته على الدعوة وتعليم المسلمين أمور دينهم .

وهؤلاء : عبد الله بن مسعود صاحب طهور النبي ﷺ وسعد ابن مالك مجابُ الدعوة وحذيفة صاحب رسول الله وعماد الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ . وسلمان صاحب الكتابين ـ الأنجيل والقرآن ـ ينطلقون إلى مشارف العراق ويقربهم القرار في الكوفة دعاة الى الله وأنوارًا يسطع ضياؤها على تلك الربوع بالعلم والمعرفة ونور الهداية [1] .

وهذا رسول الله ﷺ يثني على أولئك الرجال الذين تربوا عل يديه ورضيهم ورثة له بعد وفاته ومعلمين لأمته حيث يقول :

«نعم الرجل أبو بكر : نعم الرجل عمر ، نعم الرّجُل أبو عبيدة

(١) سعيد حوى : الأساس في السنة ج ٣ ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن الجراح ، نعم الرجل أسيد بن حُضير ، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ، نعم الرجل معاذ بن جبل ، نعم الرجل عمرو بن الجموح» .[1]

إنهم رجال تتألق حياتهم وتسمو بما بذلوه في سبيل الإسلام لقد شيدوا بكتاب الله وسنة المصطفي عالماً جديدا يتألق عظمة وأمة مسلمة نضرة قادت العالم بأسره إلى سبيل السلام وشاطىء الأمان .

خرج معاذ بن جبل ، وعبادة ، وأبو الدرداء إلى الشام بأمر من عمر بن الخطاب أمير المومنين رضي الله عنه يعلمون الناس دينهم .

يودعهم عمر ويوصيهم «ابدأوا بحمص ، فانكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة منهم من يلقّن[2] فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس ، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد ، وليخرج واحد إلى دمشق والاخر إلي فلسطين» .

فقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة ورجع أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين وبقوا يعلمون الناس مبادىء الإسلام ويؤدون واجب الدعوة الى الله تعالى حتى وافاهم الأجل هناك رضوان الله عليهم[3] .

ونختم هذا العرض عن جيل الدعاة الذي نهل من معين النبوة الصافي بما كتبه أبو الحسن علي الحسني الندوى عن أولئك الرجال الذي ورثوا الدعوة من صاحبها ، وتحملوا الأمانة على أعناقهم

---

(١) رواه الترمذي عن ابي هريرة .
(٢) يلقن : تلقن الكلام من فلان : أخذه عنه مشافهة وفهمه . ولقّنهُ الكلام : فهمه إياه مشافهة من كتاب المنجد في اللغه والاعلام .
(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير (انظر مختصر حياة الصحابه للكندهلوي .

وخرجوا الى الدنيا ينشرونها بين الناس : يقول :

رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها ، وصدقتها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾

(آل عمران ١٩٣)

ووضعوا أيديهم في يد رسول الله ، وهانت عليهم نفوسهم ، وأموالهم وعشيرتهم ، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، وسيطر على نفوسهم وعقولهم ، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب ، والحب لله والرسول ، والرحمة على المؤمنين والشدة على الكافرين ، والهداية على الجباية ، والحرص على دعوة الناس ، واخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جوهر الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا الي سعتها ، والاستهانة بزخرف الدنيا ووحطامها ، والتشوق إلى لقاء الله والحنين الى الجنة وعلوّ الهمة، وبعد النظر في نشر رفدِ [١] الإسلام وخيراته في العالم ، وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها ، وسهولها وحزونها ، وزغوارها وأنجادها ، ونسوا في ذلك لذاتهم ، وهجروا راحاتهم ، وغادوا أوطانهم ، وبذلوا مهجهم وحُرّ أموالهم حتى القى الدين بجرانه [٢]، وأقبلت القلوب إلى الله ، وهبت ريح الإيمان قوية عاصفة ، طيبة مباركة وقامت

---

(١) الرفد : العطاء

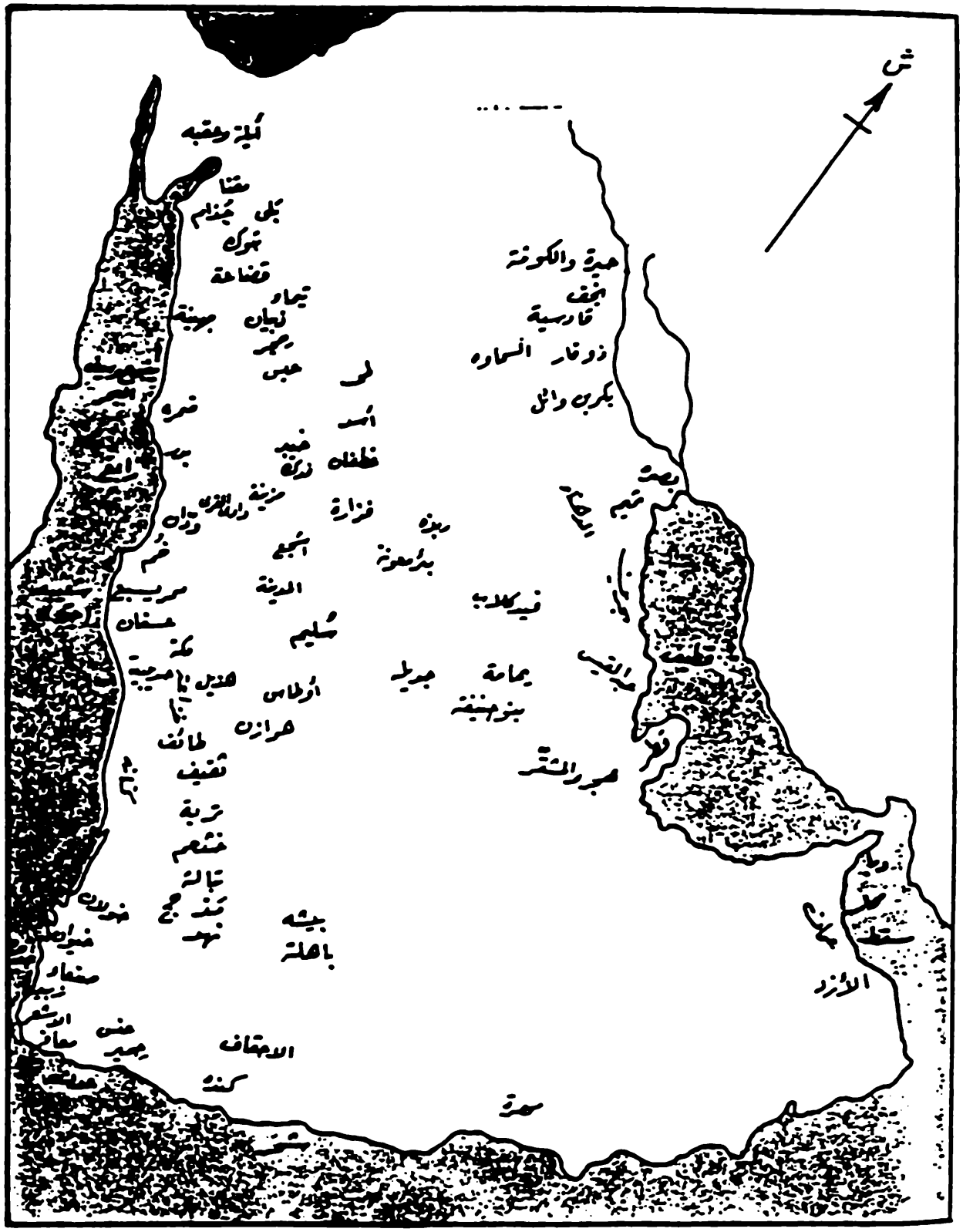
(٢) بجرانه : القي فلان على هذا الامر جرانه أي وطن نفسه عليه ، وضرب الإسلام بجرانه أي ثبت واستقر .

دولـة التـوحيد ، والإيمان ، والعبـادة و والتقـوى ، ونفقت [1] سوق الجنة وانتشرت الهداية في العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا [1] .

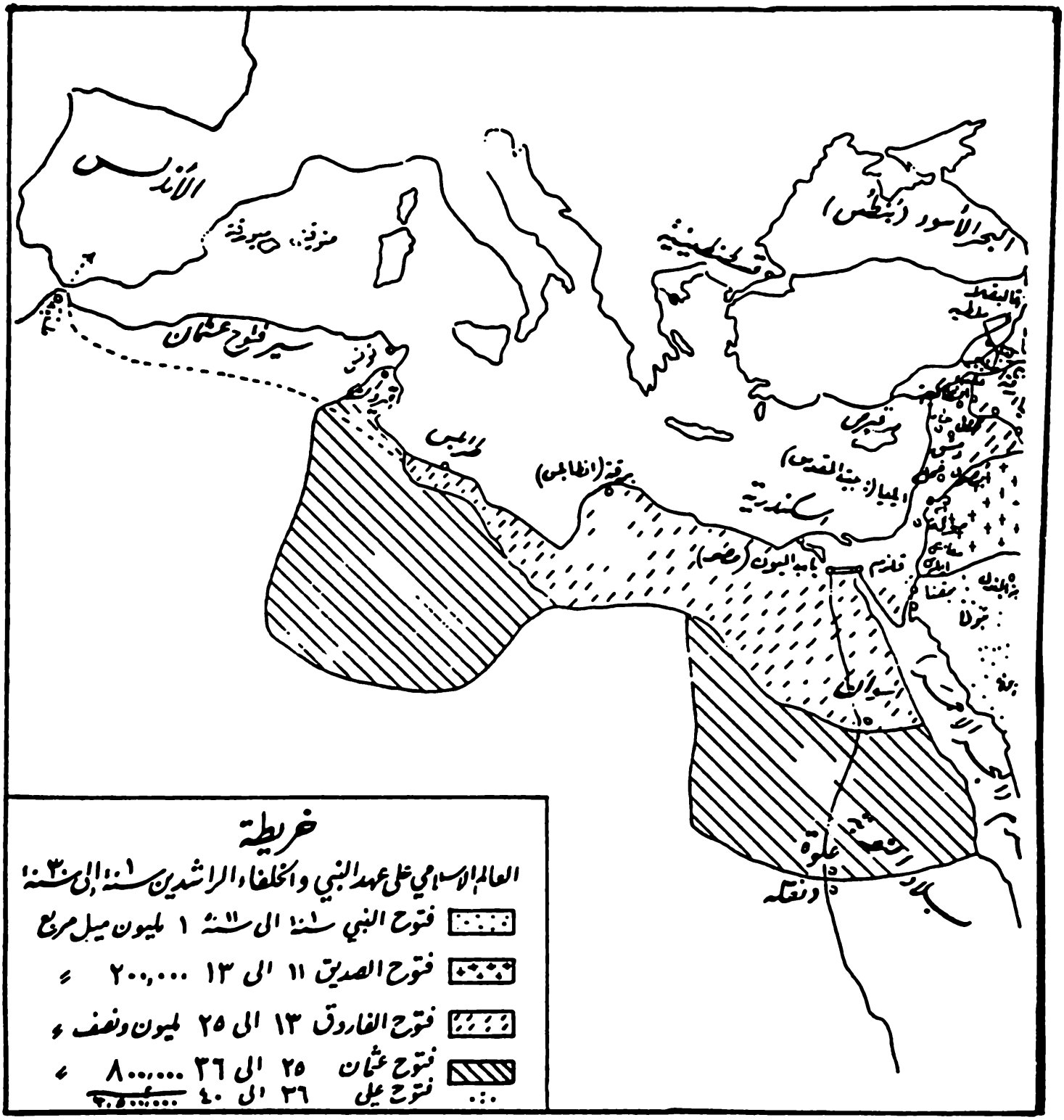
***

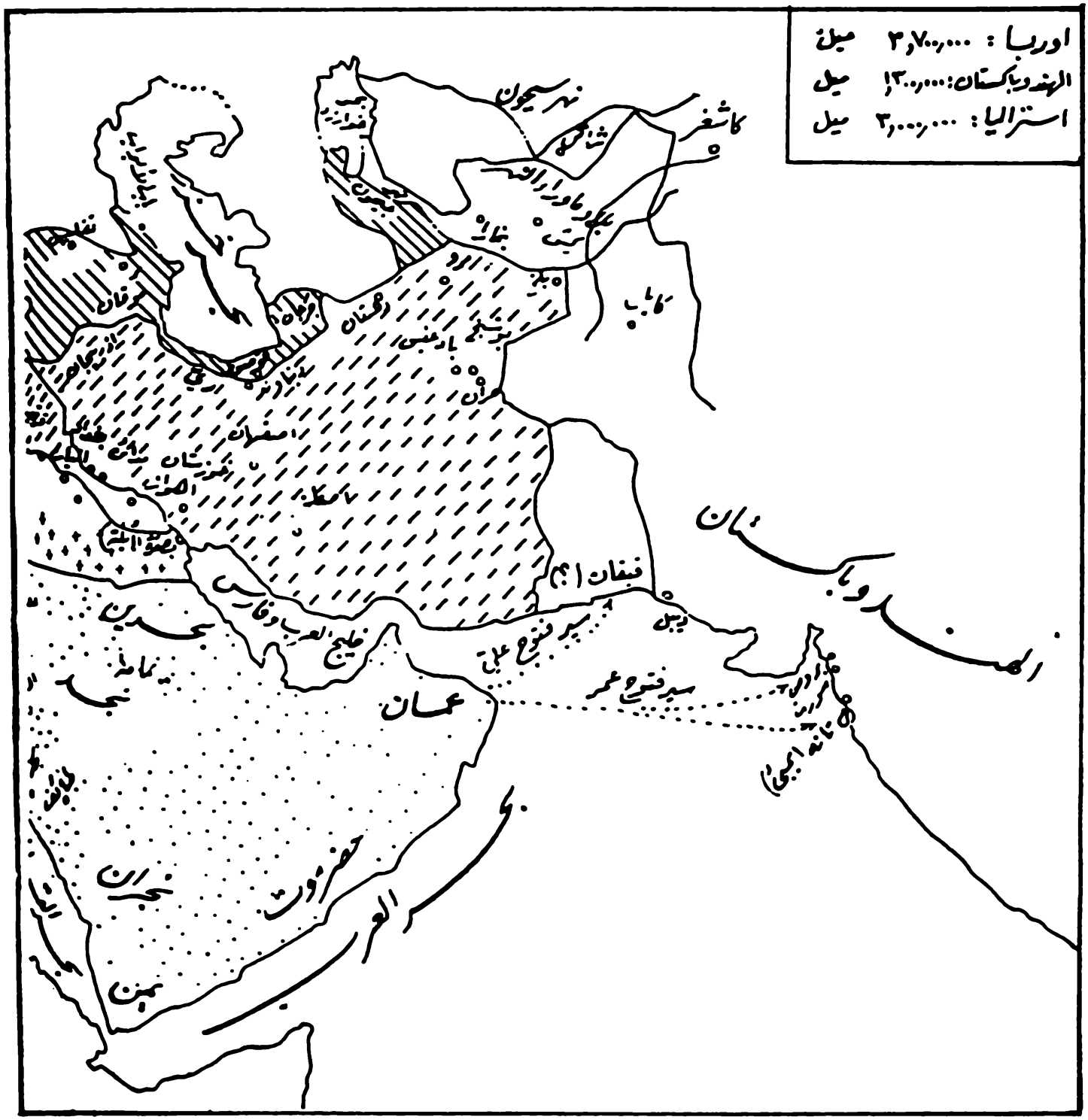
(١) نفق الشيء نفـاقـاً : نفـدَ وقلَ . ونفـقَ البيع : راج ورغَب فيـه . ونفَقَت السـوق : قامت وراجت تجارتها .
(٢) محمد يوسف الكاندهلوي : مختصر حياة الصحابة ، ط . دار الإيمان .

ملحق الخرائط



جزيرة العرب على عهد النبي


الأندلس
البحر الأسود (بنطس)
سير فتوح عثمان
قبرص
الإسكندرية
بابليون (مصر)
أسوان
النوبة
علوة
سنار
خريطة
العالم الإسلامي على عهد النبي والخلفاء الراشدين سنة ١ إلى سنة ٣٠
فتوح النبي سنة ١ الى سنة ١١ مليون ميل مربع
فتوح الصديق ١١ الى ١٣ ٢٠٠,٠٠٠ "
فتوح الفاروق ١٣ الى ٢٥ مليون ونصف "
فتوح عثمان ٢٥ الى ٣٦ ٨٠٠٠٠٠٠ "
فتوح علي ٣٦ الى ٤٠


اوربا : ٣,٧٠,٠٠٠ ميل
الهند وباكستان: ١٣٠,٠٠٠ ميل
استراليا : ٣,٠٠٠,٠٠٠ ميل
نهر سيحون
كاشغر
بخارى
كابل
فيفان (؟)
خليج العرب وفارس
بحر عمان
عمان
حضرموت
نجران
اليمن
البحر العربى

خريطة
حدود الروم والفرس
وقت مولد النبي العربي
١٢٦٠/١/١٢
١٢٢

قائمة المراجع والمصادر

م	المؤلف	المرجع أو المصدر
		القرآن الكريم
١	ابن القيم الجوزية	فقه السيرة النبوية
٢	ابن كثير	السيرة النبوية
٣	ابن منظور	لسان العرب
٤	ابن هشام	السيرة النبوية
٥	أبو الحسن الندوي	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
٦	أحمد بن حمد الخليلي	جواهر التفسير
٧	أحمد الشرباصي	توجيه الرسول للحياة والاحياء
٨	أمين دويدار	صور من حياة الرسول
٩	حسين أدهم جرار	الدعوة إلى الإسلام
١٠	حسين محمد علي جابر	الطريق إلى جماعة المسلمين
١١	خليفة حسن العسال	معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المكي
١٢	رؤوف شلبي	الدعوة الإسلامية في عهدها المكي
١٣	سعيد حوى	الرسول ﷺ
		جند الله
		الإسلام
		من أجل خطوة إلى الأمام
١٤	سعيد رمضان البوطي	فقه السيرة
١٥	سيد سابق	دعوة الإسلام
١٦	سيد قطب	في ظلال القرآن
١٧	صفي الرحمن المباركفوري	الرحيق المختوم
١٨	عبدالحميد طهماز	أبو موسى الأشعري
١٩	عبدالرحمن النجلاوي	التربية بالآيات
٢٠	عبدالرب نواب آل نواب	الدعوة إلى الله
٢١	عبدالكريم زيدان	أصول الدعوة
٢٢	عبدالمنعم محمد حسين	الدعوة إلى الله على بصيرة
٢٣	عبدالودود شلبي	الدعوة الإسلامية في عهدها النبوي

تابع : قائمة المراجع والمصادر

م	المؤلف	المرجع أو المصدر
٢٤	عطيـة صـقر	الدعوة الإسلامية دعوة عالميـة
٢٥	عـلي جريشـة	على هامش فقه الدعوة
٢٦	علي سرور الزنكواني	الدعـوة والدعـاة
٢٧	عـلي محفـوظ	هداية المرشدين
٢٨	عمـاد الدين خليـل	دراسة في السيرة
٢٩	عون الشريف قاسم	نشأة الدعوة الإسلامية
٣٠	القرطبي	الجامع لأحكام القرآن
٣١	محمد أبو زهرة	خاتـم النبيين
٣٢	محمد أحمد أبو شهبة	السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة
٣٣	محمد أمين المصري	سبيل الدعوة الإسلامية
٣٤	محمد البهي	خمس رسائل إلى الشباب المسلم
٣٥	محمد حميد الله	مجموعة الوثائق السياسية
٣٦	محمد زكي بيضون	موكب النور في سيرة الرسول
٣٧	محمد الغزالي	مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)
		فقه السيرة
		الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الـ ١٥
٣٨	محمد عبدالقادر أبو فارس	أسس في الدعوة ووسائل نشرها
	محمد قطب	منهج التربية الإسلامية
	محمد يوسف الكاندهلوي	مختصر حياة الصحابة
	مروان ابراهيم القيسي	معـالم التوحيـد
٣٩	منيـر الغضبـان	فقه السيرة النبوية
		المنهج الحركي للسيرة النبوية

فهرس الدعوة

صفحة

تقـديم ٣

أولاً : الدعـــوة : ٧

تعريف الدعوة من خلال القرآن والسنة ٨

(١) حاجة الناس الى دعوة الرسول ١٦

(٢) مواصفات الداعية : ١٩

(أ) العناية الإلهية ١٩

(ب) الداعية هو القدوة ٢٢

(ج) الصبر على متاعب الدعوة ٢٥

(٣) منهجية الدعوة : ٢٩

(أ) أسلوبه ﷺ في الدعوة ٢٩

(ب) معايشته لواقعه وقدرته على حل المشكلات ٣٣

ثانياً : الدعوة في عهدها المكي ٤٣

(١) مراحل الدعـوة ٤٥

(أ) الدعوة سراً ٤٥

(ب) الدعوة جهراً ٤٧

(٢) مميزاتهـــا ٤٩

(أ) السرية ٤٩

(ب) انتقـاء العناصر ٥٠

(ج) الاتصال الفردي ٥٢

(د) تكوين عناصر الدعوة ٥٣

(هـ) الجهر والإعلان ٥٧

(٣) موضوعـــاتها ٦١

(أ) الوحدانية المطلقة ٦١

فهرس الدعوة

صفحة

(ب) البعث والجزاء ٦٥
(ج) تزكية النفس ٧٠
(٤) وسائلها : ٧٥
أ ـ القدوة الحسنة ٧٥
ب ـ التعليم والتربية ٧٨
ج ـ الترغيب والترهيب ٨١
(٥) دعوة الرسول ﷺ لأقاربه ٨٩
(٦) دعوته عليه السلام لبطون قريش ٩٥
(٧) أوائل من أسلم ٩٩
(٨) هموم الداعية ١٠٤
(أ) الإيذاء والاضطهاد ١٠٤
(ب) حصار الشعب ١١٢
(ج) المفاوضات ١١٦
(د) عام الحزن ١٣٠
(هـ) اللجوء إلى الجوار ١٣٣
(و) ظلم ذوي القربى ١٣٦
(ز) الثبات والاستمرار في الدّعوة ١٣٩
(٩) الرحلة من أجل تبليغ الدّعوة ١٤١
(أ)الهجرة إلى الحبشة ١٤١
(ب) الرحلة إلى الطائف ١٤٥
(١٠) عالمية الدعوة ١٥٠
(١١) عرض نفسه عليه السلام على القبائل ١٥٦
(أ) دعوته للقبائل الوافدة على مكة ١٥٦
(ب) وفد الأنصار الأول ١٦٢

فهرس الدعوة

صفحة

(ج)وفد الأنصار الثاني وبيعة العقبة الأولى ١٦٣
(د) وفد الأنصار الثالث وبيعة العقبة الثانية ١٦٥

ثالثا : الدعوة في عهدها المدني ١٧١
(١) مصعب بن عمير ١٧٣
(٢) مميزاتها ١٧٩
(أ) خلوّها من السرّية ١٧٩
(ب) لا إكراه في الدّعوة ١٨٠
(ج) الفتح وسيلة لنشر الدعوة ١٨٣
(٣) موضوعاتها ١٨٦
(أ) التوحيد ١٨٦
(ب) الاخوة ١٨٨
(ج) تزكية النفس ١٩٤
(د) ملازمة الجماعة ١٩٦
(٤) وسائلها ١٩٩
(أ) الحلقات بالمسجد ١٩٩
(ب) التعليم والمتابعة ٢٠٢
(ج) إقامة الحجة ٢٠٧
(٥) تكليف الصحابة بالقيام بالدّعوة ٢١٧
(أ) على المستوى الفردي ٢١٧
(ب)على المستوى الجماعي ٢٢٧
(٦) الرسائل شكل من أشكال الدعوة ٢٤١
(٧) الوفود ٢٥٥

فهرس الدعوة

صفحة

رابعا : نتائـج الدّعـوة : ٢٧١

(١) إقامة دولة الإسلام ٢٧٣

(٢) الانتشار الواسع للإسلام ٢٨٠

(٣) فتح مكة انتصار للدّعوة ٢٨٤

(٤) مدرسة النبوة تخرّج جيلا من الدّعاة ٢٨٧

ـ ملحـق الخـرائط ٢٩٥

ـ قائمـة المراجـع: ٢٩٩

ـ الفهرسـت : ٣٠١

﴿ تم بحمد الله تعالى ﴾

رقـــم الأيـــداع
٩٤/١٥١